

ترجمة نخبة من العسكريين

أسرار عسكرية

الدار العربية للموسوعات

أسرار عسكرية فوق العادة

ترجمة

نخبة من العسكريين

الدار العربية للموسوعات

الطبعَة الاولى
١٩٨٦



الدار العربية للموسوعات
ص. ب : ٥٣٤٨/ ١٣ تلكس : ARA TRD LE٢٣١٠٧
بيروت ـ لبنان .

تصديــر

يتناول هذا الكتاب نشاطا مهما من الأنشطة العسكريـة السريـة، وتكاد مادته الاساسية تدور حول محور واحد وهـو استراق الـرسائـل السريـة للقيادة العسكرية الالمانية العليا خلال الحرب العالمية الثانيـة وحل رمـوزها وتسليمهـا لقيادات الحلفاء العسكـرية، وتكمن أهميـة الكتاب في معـالجته لهـذه الناحيـة المهمة، إذ تمكن البريـطانيون من الحصـول على آلـة ترميـز الرسـائل الالمـانية (أنيكـما)، وبتضافـر جهود الكثـير من المتخصصين في الـرياضيـات والفيزيـاء والالكترونيات تمكنوا من حل الرسائل الالمانية وفك رمـوزها. حيث كـانت هذه الرسائل تصل بعد أقل من ساعـة على أرسـالها من قبـل القيادة الالمـانية العليا إلى أيدي قادة الحلفاء وقد حلت رموزهـا، وبهذا تمكن الحلفـاء من منع الالمـان من تحقيق أهم مبدأ في الحـرب وهو المبـاغتة كـما نجحـوا في عمليـات التضليل والخداع طيلة تلك الفتـرة، ووضعوا تـرتيباتهم الـدفاعيـة وعملياتهم العسكرية على ضوء المعلومـات التي تصلهم عبر الـرسـائـل الالمانيـة، بعد أن يفكوا رموزها.

وبـالرغم من مضي مـا يقارب نصف قـرن من الـزمـان عـلى أحـداث ومجريات الحـرب العالميـة الثانيـة، فإن قيمـة هذا الكتـاب تكمن في ناحيتـين أسـاسيتين همـا: الناحيـة العسكريـة البحتة وخـاصة فيـما يتعلق بـالمعلومـات الاساسية عن عمليات الحرب العالمية الثانية وأهمية استـراق الرسـائل السـرية للاعداء وحل رموزها واتخاذ الاجراءات على ضوئها، وكذلك عمليات الغش

والخدعة على المستوى السوقي حيث نجح الحلفاء في عمليات المخادعة والتضليل لكبار القادة الالمان، والناحية الثانية تكمن في كشف هذا الكتاب للكثير من المعلومات والحقائق الاساسية عن سير الحرب العالمية الثانية والتي ظلت غالبيتها في الكتمان.

ومهما يكن الأمر فلا بد من الاشارة إلى أن الفئة التي قامت باستراق الرسائل السرية الألمانية والتي يسميها المؤلف (جماعة الأسرار فوق العادة) أو القيادة الألمانية العليا في الظل ، قد أحاطت عملها بالسرية التامة والكتمان الشديد طيلة فترة الحرب واتبعت مبدأ (المعلومات لمن يحتاجها فقط) وهكذا مكنت قادة الحلفاء من كشف الخطط والنوايا الالمانية ولم تلفت أنظار القادة الألمان إلى أن رسائلهم السرية تقرأ من قبل الحلفاء فور إرسالها من قبلهم .

ليس الغرض من إصدار هذا الكتاب نشر آراء وأفكار مؤلفه أو التعريف بجهوده، وإنما الهدف الاساس هو إفادة منتسبي قواتنا المسلحة عامة والأجهزة الاستخبارية والأمنية خاصة وإغناء تجاربهم وتطوير خبراتهم خدمة لجيشنا العزيز.

كلمة الدار

ظهرت كتب وبحوث كثيرة عن الحرب العالمية الثانية، كلها تسرد أحداث المعارك الضارية التي دارت بين دول المحور من جهة والحلفاء من جهة أخرى، غير أن هناك جانباً خفياً لم يتطرق إليه المؤرخون بشكل مفصل، بل مروا عليه مر الكرام، لا لسبب سوى أنهم لم يجدوا المصادر التي تبحث عن هذه الناحية وأعني بها دور مصلحة الاستخبارات السرية البريطانية، لأن معظم الدول الكبرى لا تسمح بنشر المعلومات المتعلقة بأعمالها إلا بعد مضي فترة طويلة من الزمن.

فحينا يقرأ المرء هذا الكتاب تمر بذاكرته أحداث الحرب العالمية الثانية ويبرز فيها دور مصلحة الاستخبارات السرية، فيطلع كيف أنها تمكنت من سرقة جهاز الجفرة الالمانية المسماة (أنيكما) وبذلك أصبح البريطانيون على علم بجميع الأعمال التي يقوم بها الألمان إزاء الحلفاء.

والعسكريون يثمنون ما للحصول على المعلومات عن العدو وقوته وترتيباته ومقاصده من قيمة حيث يتمكنون من إعداد خططهم بشكل دقيق يعتمد على معلومات صحيحة بدلا من إعدادها اعتمادا على الحدس والتخمين، وكان من ثمار أعمال مصلحة الاستخبارات السرية إحراز النصر النهائي وتسريع عملية الانتصار وانقاذ آلاف الأرواح من جنود الحلفاء كما جاء ذلك في الكتاب الذي وجهه الجنرال أيزنهاور، قائد قوات الحلفاء في أوروبا

إلى رئيس مصلحة الاستخبارات السرية البريطانية يشكره فيها ويهنئه وكل العاملين معه على جهودهم المضنية في الحصول على المعلومات التي استفاد منها استفادة تامة في إدارة دفة الحرب.

ويعتبر ذا الكتاب كمصدر ثمين للمعنيين في أمور الاستخبارات لأنهم يأخذون ثمرة جهود وتجارب الدول المتقدمة في هذا المضمار، ولا يستغني عنه المؤرخون لأنه يظهر لهم الخفايا التي كانت غامضة من قبل، بحيث تكمل عند ذاك صورة الأحداث بشكل واضح وكامل في مخيلتهم.

ومؤلف هذا الكتاب هو العقيد الطيار فريد وينتر بوثام أمضى معظم سني خدماته في مجال الاستخبارات السرية، واكتسب بذلك خبرة جيدة وأصبح ماهرا في إيجاد الطرق الكفيلة لنجاحه في عمله، كما أصبحت آراؤه موضع اهتمام رؤسائه بحيث نال ثقتهم مما كان حافزا له في المضي في عمله.

ويتكرر ذكر (الاسرار فوق العادة) في هذا الكتاب، ونعني به، النخبة الممتازة من رجال الاستخبارات السرية المعينين خصيصا لغرض التقاط رسائل الالمان الرمزية المرسلة عبر جهازهم المسمى (الأنيكما) الذين حسبوا أنها في مأمن وفي حصن حصين لا يستطيع أحد أن يعرف كنهها والغازها فخاب ظنهم ألا ساء ما يظنون، و أصبحت الرسائل تردهم مثلما ترد إلى أية قيادة ألمانية.

وإني في الوقت الذي أنقل فيه مضمون هذا الكتاب إلى قراء اللغة العربية آمل أن ينال رضاهم واستحسانهم وبذلك أكون قد أسديت قسطا من واجبي نحو أبناء جلدتي ووطني. ومن الله العون والتوفيق.

الدار العربية للموسوعات

فاتحة الكتـاب

هذه هي قبل كـل شيء القصة التي تـدور حول كيفيـة حصول النـظام الأعلى للاستخبارات خلال الحـرب العالميـة الثانيـة على معلومـات سريـة من جهاز الجفرة الألمانية بعد أن تمكنت من الحصول عليـه والوقـوف على أسـراره والمفروض أنه جهاز لا يمكن حل أسراره والغازه، فتم توزيع المعلومات بسرية تامة إلى الرئيس روزفلت والمستر شرشل وإلى جميع رؤساء الأركان والقادة في الميدان طوال زمن الحرب.

كما أنها تخبرنا أيضا عما كانت تحتويه الرسائل الرمـزية المهمـة جدا ومـا هي ردود فعل مختلف القادة وكيف استخـدموا هـذه المعلومات، وأنها تـوضح لنا أخيرا الدور الحاسم الذي لعبته في انتصارات الحلفاء.

لقد أعطيت بعض المعلومات الأولية عن عمليـة حل رمـوز الجفرة التي أنجزت من قبل زمرة بارعـة من المتضلعين في علوم الـرياضيـات وفي فن فك رموز الجفرة في منـطقة تسمى (بليجـلي بارك) بـالقرب من لنـدن، غير أنني لم أعط تفاصيل هذه العملية القريبة من المعجزة لاسباب أمنية ولكوني لست من الأشخـاص المتضلعين في فن فـك الرموز. وفي الحقيقة، طـالما أن جميـع هـذه الـرسائـل الرمـزية المقتبسـة أو التي نشير إليهـا في هذا الكتـاب هي في جهـاز الجفرة (أنيكما)، فإنني أرى عدم لزوم إعطاء عنوان لكل واحدة منها، لـذلك فقد أدخلتها جميعـا تحت اسم رمزي «فـوق العادة». وهـو الاسم الذي اعـطي لهذه الاستخبارات الخاصة.

وسيتم تكرار هذه الكلمة الرمزية من حين لآخر وذلك لنذكر القارىء بأن هذه القصة إنما تدور حول الاستخبارات المتيسرة في ذلك الوقت و أنها ليست تأريخا يستند على الإدراك الذي يتم بعد حصول الحادثة.

ومن سوء الحظ لم أتمكن من الحصول على السجلات الرسمية، لذلك فقد كتبت الكتاب مستندا على ذاكرتي عن الأحداث وعلى مئات الرسائل التي تركتها في صناديق مقفلة في سراديب (وايت هول). وعليه إذا ما أخطأت من ناحية فك الرموز أو الجفرة فإنني ألتمس العذر والصفح، وقد تضاف على أي حال، على أمنية فن فك الجفر؛ وإنني لم أقصد في كتابي هذا أن أبحث بإسهاب عن دوري في المجهود الحربي، كما أنني آمل أن أضيف اسهاما لازما إلى تاريخ الحرب العالمية الثانية، ذلك الاسهام الذي نتج في العمل الذي كلفت به من قبل رئيس هيئة الاستخبارات البريطانية. ويعود الفخر في عملية جهاز الجفرة (أنيكما) إلى أولئك القائمين بفك الرموز في (بليجلي Beletchley).

أف. دبليو. وينتر بوثام

مقدمة الكتاب

بقلم المهيب الطيار

في القوة الجوية الملكية البريطانية

السير جون سليسر

قد يتعجب بعض قراء هذا الكتاب عما إذا كان من الحكمة نشر مثل هذه المعلومات المهمة جدا من مصادر معلومات الاستخبارات التي وصفها الجنرال أيزنهاور تماما من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية: ـ بأنها عامل حاسم في نصر الحلفاء، وبأنها أنقذت حياة آلاف الأرواح من البريطانيين والامريكيين، أن ما كان يعرف خلال (٣٤) سنة الماضية لعدد قليل نسبيا من الناس، حتى داخل القوات المقاتلة، من أن «الاسرار فوق العادة» كانت في الحقيقة مصدرا من الاستخبارات ثمينا بحيث لا يمكن تصديقه تقريبا أكثر من أي نصر بريطاني آخر في الميدان، وذلك حينما سيطرنا بصورة جدية على منظومة التجسس الالمانية وبدأنا نديرها في بريطانيا العظمى والتي وصفها السيرجون ماسترمان رئيسها الاعلى في كتابه الرائع المسمى جهاز الاستخبارات المعاكس. هنالك شيء ما يسحر القلوب بصورة خاصة عن كل قصة حقيقية صحيحة تدور حول الاستخبارات في الحرب.

كان (فريد وينتر بوثام) حينما اندلعت الحرب في سنة ١٩٣٩ يشغل منصب الضابط الاقدم الممثل للقوة الجوية في الاستخبارات لمدة عشر سنوات. وكان في خلال الايام الأولى من الحرب مسؤولا عن التعاون مع أناس مثل (آر. في. جونس) ومع (دينستون ونوكس) ومع أشخاص بارعين آخرين يعملون في الفرق الخلفية في (بليجلي) عند ابتداء جماعة (الاسرار فوق العادة) العمل وخلال أعمالها، وبالتالي عن طريق وحدات الارتباط الخاصة

طوال زمن الحرب، ولا أعتقد أن هناك أحدا يجد أكثر متعة من هذا العمل خلال تلك السنوات، وهو يعمل مباشرة حسبما يريد مع جميع القادة العمليين في أعلى المستويات سواء من البريطانيين أو الامريكيين ابتداء من رئيس الوزراء حول هذه الوسائل الموثوقة كليا والمفيدة والتي لا تضاهيها أية وسيلة أخرى في إبلاغهم حول ما يدور من أحداث (في الجانب الآخر من التل)، وسيظهر من خلال قراءة هذا الكتاب أنه ليس هناك أي شخص أكثر معرفة من الشخص الذي يجد الحاجة الضرورية فعلا إلى السلامة الكاملة للجهاز في ذلك الوقت، وأنه لمن الفضول التأمل عرضا في نظام الألقاب والمكافآت التي حصل عليها من بعد انتهاء الحرب حينما تقاعد برتبة عقيد طيار حيث منح وسام الامبراطورية البريطانية في مزرعة هادئة في مقاطعة ديفون Devon.

ولم يكن هناك شيء جديد حقا حول فن حل الغاز العدو حينما يبعث برسائله المجفورة بالرموز مثل هذا - يرجى الرجوع إلى كتاب كسر طوق الرموز لمؤلفه الالماني وإلى كتاب بيرل هاربر لمؤلفه (روبيرتا هولزتيتر) مثلا. غير أن اقتباس الأسرار من بولندة عن جهاز الجفرة الألمانية (أنيكما) المفروض نظرياً أنه غير قابل لحل الغازه ومعرفة كنهه ، وقد سبب أخيراً لولادة (الأسرار فوق العادة) بحيث جعل ذلك الفن يأخذ أبعاداً جديدة تماماً ؛ وبالتأكيد ليس هناك أي عمل في التأريخ يبحث عن أعمال خداعية مضمونة رسمياً قد أعطى نتائج مثمرة قابل للمقارنة .

إن المنع الرسمي حول أية إشارة الى (الاسرار فوق العادة) إلى حد ربيع هذه السنة ١٩٧٤ كان ساري المفعول وله تأثير بالتأكيد على الكتابة في كافة حقول التاريخ العسكري. وإني شخصيا قمت بعدة محاولات، لدى المستويات العالية، خلال العشرين سنة الماضية لكي أرفع ذلك المنع غير أن جهودي لم تكن مثمرة.

وإنني على يقين من أن عدم إفشاء هذه الاسرار لمدة طويلة عن أعمال (الاسرار فوق العادة) وعن تأثيرها الخرافي تقريبا على العمليات الاستراتيجية

للحلفاء ـ وأحيانا حتى على العمليات التعبوية ـ في الحروب التقليدية العظمى الاخيرة لن يكون خطيرا جدا، ولن يكون لها تأثير خطير حتما فيما بعد على الحروب النووية في المستقبل.

وإنني كنت على علم بأعمال (الاسرار فوق العادة) بحكم منصبي كمدير الخطط في هيئة الأركان الجوية وذلك منذ بدايتها في العمل. وإنني أتذكر جيدا عند سقوط فرنسا حبي العميق إلى الفترة التي قضيتها بين عملي في هيئة الأركان الجوية وعملي في الاستخبارات وددتُ أن لا تقع الهدايا الالهية في أيدي الأعداء، ويعود الفضل في ذلك إلى العقيد الشهم والمخلص جوبرت Jovbert حيث أنها لم تقع في أيديهم.

ومن المؤسف بأن المؤلف أدرك أنه غير قادر على العمل تماما مع نفوذ (الاسرار فوق العادة) على الجانب البحري الذي (أحيانا وليس على الدوام لم تكن نتائجه سعيدة)؛ كانت القيادة البحرية تبقي هذه الرسائل المتعلقة بالاستخبارات في أيديها. لكنني أملك أفضل الاسباب في معرفة أن (الاسرار فوق العادة) بالاشتراك مع جماعة الذبذبة العالية/ إيجاد المكان، هي التي أدت إلى كسب معركة الاطلسي حقيقة.

اعتدت في سنة ١٩٤٣ حينما كنت القائد العام للقيادة الساحلية الحضور في المؤتمر الصباحي، وخاصة في الأوقات الحرجة، حول موضوع التشويش على الهواتف والتي أشير إليها في هذا الكتاب بين (روجروين) في القيادة البحرية وبين مقر قيادة ماكس هارتون في ليفربول ومقري في نورثود حيث لم يبق شيء أو هناك شيء قليل لا نعرفه عن وجود الغواصات في أعالي المحيط الاطلسي في ذلك الوقت.

وبالنسبة لي فإن الشيء الممتع في هذا الكتاب هو الضوء الذي يلقيه على صفات وأساليب بعض القادة العظام ـ مثل شرشل ومونتغمري وجورج باتون ودودنغ (البدين) ـ.

وقد نحط من قدرهم قليلا حينما نقول إن بعضهم لم يعمل بصورة جيدة حينما كانت بأيديهم تفاصيل كثيرة عن قوات العدو وترتيباته وعن مواقفه الادارية وعن خططه المتعلقة بالعمليات قبل المعارك وفي خلالها.

ويسرني بأن يثق المؤلف بـ (دودنغ) بسبب عدم إفشائه سرا خلال مؤتمرات هيئة الأركان الجوية غير المفرحة (وغير الضرورية كلية) في شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٠ وهو يعرف الشيء الكثير من (جماعة الاسرار فوق العادة) عن خطط القوة الجوية الألمانية طوال معركة بريطانيا. وكنت حاضرا في تلك المناسبة وما كنت شاعرا ـ ولو أنه كان من المفروض أن أعرف ذلك ـ بأن دودنغ كان في جماعة (الاسرار فوق العادة) ـ لكنني أعرف أنه لو كنت محله لاستخدمت بقوة معلوماتي لادحض انتقاداته الطفيفة جدا، ومن سوء الحظ بل من الصحيح تماماً أنه لم يعرف ـ لأسباب أمنية ـ هذا السر عديم القيمة .

وقد تتكرر بعض الكلمات التي تدل على الاطراء والمديح كثيرا في مقدمات الكتب وعند المراجعة، لكنني أشعر بثقة بأن قراء هذا الكتاب سيوافقون بأن هذا الكتاب إنما يستحق هذا الوصف بجدارة.

٩ نيسان ١٩٧٤ .

جي. س. سليسر
المهيب الطيار

الباب الأول

مقدمة الكتاب

ف يوم ٢٥/ أيار/ ١٩٤٥، أبرقت رسالة رمزية، بناء على طلب رئيس الوزراء، إلى جميع قادة جيوش الحلفاء وهيئة أركانهم في ساحات الحرب في أوروبا والذين كانوا يتلقون المعلومات من المصدر الذي كان يسميه السير ونستون شرشل (من أعظم المصادر سرية).

رجوت منهم في هذه الرسالة عدم إفشاء طبيعة هذا المصدر أو المعلومات التي يستلمونها منه وذلك لئلا يحدث أي ضرر على العمليات المستقبلية لمصلحة الاستخبارات السرية ولا أن ندع العدو يضع اللوم عليها لاندحاره، وبعد مضي (٣٠) سنة غيّر الزمن هذين الشرطين من السرية.

ولقد انتشرت الأعمال الفنية التي استخدمتها مصلحة الاستخبارات السرية وجماعة فك الرموز بشكل واسع وكانت معروفة حقيقة من قبل الحكومات ومصالح الاستخبارات في كافة ارجاء العالم ولو أن أعداءنا في زمن الحرب هم الآن حلفاؤ نا.

وعلى أي حال فإنه من امتياز النصر في الحرب عدم إفشاء الطريقة التي كانت تحل بها رسائل العدو الرمزية، وعليه سيبقى الامتياز ساري المفعول في هذا الكتاب، وكان الالمان يبعثون يوميا ما يزيد على الفي رسالة رمزية عندما بلغ العداء ذروته، وعليه يمكننا أن ندرك أنه حينما كنا نعترض عددا من رسائلهم من وقت لآخر ونحل رموزها، نجد بأن محتوياتها تضم مجالات واسعة جدا.

إن رسائل العدو الرمزية التي نشير إليها في هذا الكتاب هي تلك الرسائل التي لعبت حسبما أظن دورا حاسما في سير وإدارة الحرب العالمية الثانية، وهي فقط جزء من تلك الرسائل التي مرت بواسطتي ولها صلة طفيفة بالنسبة إلى العدد الذي فككنا رموزها أو بالنسبة إلى تلك الفترات التي تمكنا خلالها من فك رموزها.

ومع ذلك فبوسعي أن أقول بأنه لن يكون تاريخ الحرب العالمية الثانية كاملا ما لم يؤخذ بنظر الاعتبار معلوماتنا عن نوايا أعدائنا والتي كشفناها بواسطة (أعظم المصادر سرية).

إن رسالة تثمين السير ونستون شرشل لهذه الاستخبارات غير متيسر للنشر، لكن تثمين الجنرال دوايت دي. أيزنهاور لهذه الاستخبارات والذي بعثه إلى رئيس مصلحة الاستخبارات البريطانية هو موجود بين الأوراق في المكتبة الرئيسة في أبيلين Abilene، خانزاس Khansas لكي يقرأه العالم بأسره:

تموز ١٩٤٥

عزيزي الجنرال مينزيز

كنت آمل أن أتمكن بأن أزوركم في (بليجلي بارك) لأقدم الشكر لكم وإلى السير ادوارد ترافز[١] وإلى أعضاء اركانكم شخصيا وذلك بسبب الخدمات الجليلة التي قدمتموها إلى قضية الحلفاء.

إنني أعلم تماما مقدار العمل والجهد المضني الذي أرهق كاهلكم في استخراج المادة التي زودتمونا بها، كما أنني أدرك تماما أيضاً العدد الكبير من المعوقات والصعوبات التي جابهتكم في كفاحكم وكيف أنكم بجهودكم

(١) منح القائد البحري ادوارد ترافس وسام الفارس في سنة ١٩٤٢ وكان في خلال الثلاثينات رئيس قسم البحرية في مدرسة الرموز والجفر الحكومية ولما كان أيضا الشخصية الثانية بعد رئيسها المقدم البحري الاسيتر دينستون.

المضنية تمكنتم دوما من التغلب عليها.

إن المعلومات التي جاءتني منكم قبل هذه الحملة ومن خلالها هي شيء لا يثمن بالنسبة لي، إنها سهلت علي واجبي كثيرا كقائد كما أنها انقذت حياة الاف الأرواح من البريطانيين والامريكيين وأسهمت على نطاق واسع بالنسبة الى السرعة التي تقهقر بها العدو واضطر فيها اخيرا الى الاستسلام.

وعليه، إنني سأكون شاكرا إن عبرتم عن شكري إلى كل فرد من أولئك الأفراد الذين انهمكوا في هذا العمل وعن مشاعري القلبية وشكري الخالص الى اسهامهم الحقيقي بالنسبة إلى مجهود الحلفاء الحربي.

المخلص

دوايت دي. ايزنهاور

إن الدور المثير الذي لعبته المعلومات الخاصة هذه في الحرب خلقت في قادة الحلفاء الكبار الذين استلموا هذه المعلومات الخيرة الفريدة من نوعها معرفة ليس فقط تأليف قوات العدو بشكل مضبوط وقوته ومواقعه بل إنما أيضا، مع شيء قليل من الاستثناءات، معرفة ما ينوي القيام به من الأعمال سلفا بالضبط وذلك في كثير من العمليات الحربية والمعارك التي دارت في الحرب العالمية الثانية. ومما لا شك فيه أن مؤرخي المستقبل سيستمرون على مناقشة النقاط الجيدة والضعيفة في أهمية المعلومات السرية. وإنني ركزت هنا فقط على سرد القصة عن كيفية استلام هذه المعلومات السرية للغاية والحصول عليها من قبل زمرة ممتازة من الرجال والنساء وعن كيفية توزيعها بأمان إلى القادة في الميدان وعن كيفية الدور الحيوي الذي لعبته في بقائنا على قيد الحياة في سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤١، وهذا هو رأي الشخص الأول، وفي الانتصارات الاخيرة في الحرب، لم تكن قابليتنا على قراءة الرسائل الرمزية السرية الجارية بين قيادات العدو العليا بما في ذلك هتلر نفسه، في معظم الفترات المهمة من فترات الحرب، غير مساوية فقط للأهمية السوقية الايجابية فحسب بل إنما كانت لها الفائدة السلبية الثمينة في إخبارنا عما لا يعرفه العدو

عن عملياتنا الحربية.

وبما أنني كنت محظوظا لحد ما في معرفة معظم قادة الحلفاء الكبار شخصيا فكان شيئا ملذا واحيانا مثبطا للهمة بأن أجد هذه الشخصيات المختلفة تتخذ مواقف مختلفة إزاء هذه المعلومات ـ وكان يظن هؤلاء القادة من ذوي الآراء الصلبة وذوي الاساليب التقليدية في خوض الحرب مع العدو بأن ليس من الصواب تماما معرفة ما سيقوم به العدو، أما القادة الآخرون، ذوو العقول المرنة جدا فكانوا على استعداد للاستفادة من كل المعلومات المقدمة إليهم.

وإذا ما تيسرت جميع الوثائق السرية البريطانية كاملة بعد فترة من الزمن لغرض الانتقاد والتعليق، فإن التاريخ قد يغير تثمينه لبعض قادة وشخصيات الحرب العالمية الثانية، لأن في الحقيقة كان جميع القادة في الميدان يعرفون أن جميع المعلومات التي يستلمونها كانت تصل إلى رؤساء الأركان والوزراء السياسيين في الوطن ويجب أخذ ذلك في الحسبان، لأن هذه الحقيقة التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار كانت تستحق الحذر من قبل البعض، بينما كان الاخرون يحاولون ذلك وينجحون عادة في عملهم.

وبما أن كثيرا من المواقف، كانت عجيبة أو شاذة بدرجة كافية بحيث تثير الشكوك في بعض العقول بالنسبة إلى صحتها، لذلك فكرت أنه من المعقول أن أبين رأيي الخاص قبل الاستمرار بالسير بهذا الكتاب وشرح الطريقة التي أصبحت فيها المسؤول عن كثير من المنظومات التي استخدمت هذا الموضوع (الحساس).

كنت بعمر سبعة عشر عاما حينما بدأت الحرب العالمية الأولى وكنت آنذاك برتبة ملازم أول في الحرس الوطني لكتيبة كلوستر الملكية. لغير أنهم أخذوا خيولنا في سنة ١٩١٦ وأعطونا دراجات هوائية ثم انتقلنا أخيرا الى صنف المشاة. ولما كان الطيران بالنسبة لي البديل المفضل، لذلك أصبحت

ضابطا طيارا مقاتـلا أو كشافـا في صنف الطيـران الملكي ثم ذهبت أخيرا إلىٰ فرنسا لالتحق بالسرب (٢٩) وذلـك في أوائل شهـر نيسان من سنـة ١٩١٧. ولكن مع الاسف الشديد سقطت طائرتي في قتال جرى فـوق أراضي بلجيكا يـوم ١٣ تموز ١٩١٧ من قبـل الطيـار الالماني الشهـير (ريختـوفن كيشفيـدر). وأصبحت عنـد ذاك أسيرا وأمضيت (١٨) شهـرا في معسكر لاسـرى الحـرب وأمضيت الوقت في تعلم اللغة الالمانية. وحينما عدت إلى الـوطن دخلت كلية كريست جيرج في جامعة أوكسفورد وذلك بفضل تراكم رواتبي المؤخرة حيث أعانتني على الدراسة وحصلت على شهادة القانون، وعلى أي حال، لم أمارس مهنتي أبدا بل قررت أن أتعالج عوضا عن ذلك لاستعادة صحتي التي اصابهـا الضرر حين أمضيت حياتي في الاسر وذلك بالقيام ببعض الأعمال الـزراعية. وبما أنني لا زلت في سن المراهقة فقد تعلمت اللغة الفرنسيـة بطلاقـة، وقمت برحلة حول العـالم. وفي كندا كنت أعمـل كقاطـع أشجار، لـذلك أصبحت قاطع أشجار في ضواحي استراليا. ثم قمت مرة أخرى برحلة للقنص في سنة ١٩٢٩ وتنقلت خلالها في السـودان وكينيا وروديسيـا وكنت كئيبا في كـل هذه الأماكن لذلك قررت العودة إلى لندن والحصول على عمل.

كـانت القـوة الجـويـة الملكيـة تنـاضـل خـلال العشـرينـات من أجـل استقلاليتها وأنها بحلول سنة ١٩٢٩ تأسست بشكل تام كسلاح ثالث للأمة، وعلى هذا الاساس، شكلت هيئة أركان القوة الجوية شعبة استخبارات خاصة بهـا وأنها تحتاج الآن بـأن يكون ممثلوهـا مع مصلحـة الاستخبـارات السـريـة يعملون بجانب زملائهم من البحـرية والجيش: ففي شهـر كانـون الأول من سنة ١٩٢٩ حصلت على عمـل وكان واجبي أن أجـد المستوى الـذي وصلت إليه القوات الجـوية الأجنبيـة وذلك من مصـادر سريـة. وبحلول سنة ١٩٣٣ حيث بـدأت الحركـة النازيـة بالانتعـاش مما أدى إلى تعـطيل معـظم العمـلاء السريين الذين تمكنت من العثور عليهم في ألمانيا وبـدأ دور إعادة التسليـح في ألمـانيا. وقـررت بأن أقـوم بعمل مـا حول المـوضوع شخصيـا وأقلب مـواثيق الدائرة الرئيسية لمصلحة الاستخبارات السرية وتقاليدها رأسا على عقب وذلك

بذهابي شخصيا إلى ألمانيا.

وبحلول سنة ١٩٣٤ تمكنت من الاتصال الشخصي مع رئيس الدولة وهو الهر هتلر ومع الفريد روزنبرغ وهو الفيلسوف الرسمي للحزب الوطني وخبير الشؤون الخارجية ومع رودولف هيس وهو نائب هتلر ومع أريك كوخ ومع بعض كبار ضباط الجيش والقوة الجوية العاملين في الخدمة، وبما أن رغبتهم الشديدة كانت تدور حول إبقاء بريطانيا خارج نطاق حروبهم التوسعية المقبلة والاعتقاد بأن القوة الجوية الملكية ستستجيب الى الاقناع والتهديد، تمكنت من أن أدعهم يتحدثون وأحصل على الكثير من الأمور التي وددنا معرفتها.

وقد عرفت من اجتماعاتي الشخصية مع هتلر ما يدور في خلده من اعتقاد أساسي بأن الأمل الوحيد لحكم العالم هو أن تحكمه الدول العظمى الثلاث وهي الامبراطورية البريطانية وأمريكا العظمى والرايخ الالماني الجديد العظيم، وقد أكد لي بأن الألمان أنفسهم سيدمرون الشيوعيين باحتلال روسيا. وقد اعترف بأن قادته العسكريين تحدثوا اليه كثيرا في سنة ١٩٣٤ وأخبرني بأنه كان يتوجب عليه أن (يبيعهم نصف ما يستحقه من حق المولد). وقد رفض معاهدة فرساي إجمالا وبين لي الأرقام والخطط لقوته الجوية العظيمة الجديدة. كما أن المحادثة معه جعلته يكشف من دون تعمد بأن له شخصيتين مزدوجتين بحيث يتمكن من تغيير الحديث وقطعه متى يشاء، وأخيرا، لم يكن أي شك من أن هذا الفرد غير المعقول سيتولى الحكم.

وقد عرفت من الجنرال ولترفون رايخناو وهو الجنرال المحبوب من قبل هتلر في سنة ١٩٣٤ تفاصيل الخطط الالمانية إزاء روسيا واستراتيجية الحرب الخاطفة ورأس الرمح من الدبابات الهائلة العدد المسنودة بالمدفعية السيارة والقاصفات المنقضة. وقد اكتشفت من الجنرال البرت كيسلرنغ من القوة الجوية تأليف الاساطيل الجوية وكيفية انجاز الطائرات القاصفة والمنقضة أعمالها، ولقد تحقق كل ذلك في معركة فرنسا.

وقد عرفت بمرور الأيام والأسابيع الكثيرة التي أمضيتها مع روزنبرغ كل آمال النازيين وخوفهم وخططهم عن رايخ الالف سنة. وقد اكتشفت من إيريك كوخ الذي أراني جميع الأعمال الكونكريتية العظيمة الجارية في كل مكان في شرق بروسيا لغرض عملية (أوتو OTTO) إزاء روسيا. وربما أكثر من أي شيء آخر، حصلت على مكنونات وصفات وعقليات هذه الشخصيات النازية البارزة وعلى مواقفهم وأساليب تفكيرهم وعلى تصوراتهم المجازية والعقلية بحيث أثبتت فائدتها العظمى خلال الحرب. ومنذ ذلك الوقت، التحقت بمصلحة الاستخبارات السرية في سنة ١٩٢٩، وأدركت أن المسؤولين في وايت هول سوف لن يصدقوا كل شيء تقوله لهم مصلحة الاستخبارات السرية، وكان تجاهل المعلومات المتعلقة حول إعادة تسليح ألمانيا أمرا مخيبا للآمال.

وبما أن أميرال البحر السير هوغ سنكلير ساند تقاريري عن هتلر وصحبه لذلك، فقد اشتكى لدى رئيس الوزراء حينما رأى عدم اهتمام المسؤولين في المعلومات التي قدمتها. وفي سنة ١٩٣٥ استدعاني مجلس الوزراء للمثول أمام لجنة وزارية لاثبات ما ورد في تقاريري وكانت هذه الاثباتات مقبولة من قبل اللجنة. وحينما أحيل بولدوين على التقاعد وتولى اللورد سوينتون وزارة الطيران بدلا من اللورد لندندري Londonderry حصلت على كل المساعدات والمؤازرة التي أردتها.

ومع الاسف، نسف عملي الحقيقي بحلول سنة ١٩٣٨ وذلك بالنسبة إلى ألمانيا حيث أنذرني روزنبرت بعدم العودة إلى المانيا كما أنذرت أيضا بعدم الاعتماد على الجيش الفرنسي، ولكي أسد هذه الفجوة المتعلقة بالمعلومات قدمت طلبا لشراء طائرة ذات مقصورة حامية من أمريكا عن طريق الخطوط الجوية البريطانية وذلك بموافقة هيئة الاركان الجوية، على أن تقوم بتجارب أخذ الصور، وفي هذا الوقت لم يكن بالامكان أخذ التصاوير من ارتفاع يزيد على ثمانية آلاف قدم بسبب تكاثف الضباب على العدسات. وان هذا الارتفاع

مع وجود العداء مع ألمانيا شيء انتحاري، لذلك وجدنا طريقة تتمكن من تمرير الهواء الحار أسفل العدسات بحيث ساعدتنا على أخذ التصاوير إلى حد ارتفاع (٣٠) الف قدم وبذلك واصلنا العمل فوق المانيا حتى شهر أيلول من ١٩٣٩. وكانت طائرتي من نوع (لوكهيد) السباقة على جميع الطائرات التجسسية التي كانت مسؤولة عن معظم المعلومات الأرضية الدقيقة خلال الحرب وبعدها على حد سواء.

ومن الصعب أن نقول للناس الآن، بعد ثلاثين سنة من الدعاية المعتدة بنفسها حول الطريقة التي سير فيها الحلفاء القوات النازية الفاشية الشريرة كيف أنها لم تحدث مصادفة أبدا تقريباً.

إن أولئك الاشخاص الذين يعرفون مقدار قوة الآلة الحربية الالمانية ويعرفون الحقائق الصحيحة عن قتالنا من أجل البقاء يعجبون من التفاؤل الأعمى لهيئة أركان الجيش وللسير ونستون شرشل نفسه التي مكنتنا من ايقاف الالمان في فرنسا.

وإن سقوط فرنسا والضغط الكبير من هيئة الأركان الجوية قد أقنعته بأن الأمور قد تبدلت منذ الحرب العالمية الأولى. وأنه في هذه اللحظة الحرجة جاء نصر الاستخبارات العظيم جدا من كل الأوقات لينقذنا. ذلك هو السر الذي ظل في الكتمان طوال سنوات الحرب وبعدها .

الباب الثاني

العلم انقذنا : ميلاد الأسرار فوق العادة

كانت المعلومات تجمع عن عمليات العدو على الأكثر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ من التصاوير الجوية واطئة الارتفاع ومن الغارات التي تشن من الخنادق وقد أثبتت هاتان الطريقتان خطورتهما الشديدة ، والاسراف في استخدام الطاقة البشرية والطائرات . كما كانت هناك بدايات من نظام مراقبة حجم كبير من النقل اللاسلكي والتي كانت تعطي بعض الدلائل عن فعالياته ، وأما المعلومات القيمة التي كانت البحرية تحصل عليها من فك رموز الاشارات اللاسلكية التي كانت تبثها البحرية الألمانية ، ويعزى النصر إلى الجماعة المتخصصة في فك الرموز والقابعين في الفرقة رقم (٤٠) في القيادة البحرية .

والآن ، وفي نهاية سنة ١٩٣٨ كان يتم اغتيال جماعات الأمن الألمانية بواسطة العملاء العاملين خارج ألمانيا، وفي الحقيقة، لم يكن هؤلاء ذوي فائدة كبيرة بالنسبة إلى الشعبة الجوية التي أعمل فيها ، لكنني كنت قادراً على أن أزن ، الأمور إلى حد ما بالزيارات الشخصية التي أقوم بها إلى ألمانيا وبواسطة طيران طائرتي التجسسية .

وفي أوائل عام سنة ١٩٣٩ شكلت أول وحدة استخبارات علمية في شعبتي الجوية من مصلحة الاستخبارات السرية ، وكنت أحصل على كثير من الاستفسارات عن تقدم الرادار الألماني وعن الوسائل العلمية الأخرى التي يمكن أن تستخدمها القوة الجوية الألمانية من المستر روبرت واطسن ـ واط ،

مخترع جهاز الرادار البريطاني وتمكنت بمساعدة السير هنري تيزارد ، المستشار العلمي في وزارة الطيران والمستر روبرت واطسون ـ واط من أن يعين العالم الشاب الدكتور آر . في جونس معي ، وبوجوده أقمت مكتبا قريباً من مكتبي في شارع برودو اي بالقرب من فيتكوريا ليبدأ عمله في فن فرز المعلومات الجيدة والرديئة وتقييم المعلومات التي تتمكن من الحصول عليها ، وكان اختيار الدكتور جونس اختياراً جيداً وان تقاريره الأولى عن تطور رادار العدو ثم تقاريره الأخيرة عن القصف بالاشارات اللاسلكية وعن التجارب في المحركات النفاثه وفي أسلحة هتلر السرية (٧١) و (٧٢) هي أمثلة من النماذج الممتازة عن دور العلم الحيوي الذي يتوجب علينا القيام به في استخباراتنا خلال الحرب .

وإنني أدركت في الحال ، بالرغم من نجاحاتنا السرية في أخذ التصاوير الجوية من ارتفاعات عالية ، بأن حرب الحركات السريعة ، كالذي وصفه لي الجنرال رايخناو في سنة ١٩٣٤ ، يعني تماماً بأن الحصول على المعلومات الصحيحة بسرعة، عن نوايا العدو هي بمثابة الفرق بين الانحدار السريع والنصر النهائي .

وكان يعمل في طابق يقع تحت الطابق الذي أعمل فيه بطابقين جماعة فك الرموز والجفر التابعة للحكومة . وكنت اتمكن من مساعدتهم من حين لآخر وأبين لهم المصطلحات المستعملة في الطيران وأسماء أنواع الطائرات الواردة في الرموز المنهمكين في حلها ، وكانت هذه الجماعة المؤلفة من أشخاص ذوي ثقافة عالية جداً والعاملين في الغرف الخلفية تحت أمرة المقدم البحري الاسيثردبتستون الذي كان أحد أشخاص فك الرموز في الفرقة رقم (٤٠) في القيادة البحرية خلال الحرب العالمية الأولى .

كان رجلا هادئا ومتحفظا يبلغ من العمر خمسين عاما تقريبا وذا قامة قصيرة ولكن بالتأكيد لا تدل على الذكاء ، إشكل هذا الفريق الحالي، ومن كثرة التحدث معه بدأت أعرف أن هناك امكانيات هائلة لكسر الجفرة الألمانية .

- حدثني عن الفشل والنجاح خلال سنوات الحرب وعن الآمال والامكانيات في المستقبل ، وعرفت فيه أيضاً العامل الوحيد الذي يجب أن يخدمني عند الحاجة فيما بعد ومن أن الجفرة المضمونة الوحيـدة حقيقة في ذلـك الوقت كـانت تلك الجفرة التي استخدمت مرة واحدة فقط .

وقد شرح لي دينستون بأنه كانت هناك أساليب عديدة مستخـدمة لحـل الرسائل المجفورة وتستند بشكل أساسي على استعمال الكتب التي تحتوي على الأرقام على أن يكون نفس الكتاب لـدى المرسـل والمستلم كما أنـه أتم تجربـة استعمال الآلات ، وكان أسلوب حل الجفرة عبارة عن استخدام كل مصلحة استخابرات لحد الآن كتاب الـرموز الخـاص بها التي تستخـدم تلك المصلحة عـدداً هـائـلا من الكلمـات والعبـارات المحتملة الاستعمـال من قبـل تلك المصلحة الخاصة وتعكس كل عبارة أو كلمة مجموعة من الاعـداد . فمثلا إذا كـان العنوان (إلى الآمـر) علينـا أن نقـرأهـا بـالأرقـام (٥٤٧٣) وإن قلنـا (ستتحـرك الفـرقـة) علينـا أن نقـرأهـا بـالأرقـام (٠٨٤٢) ، يـوم الاثنـين (٤٥٩٣) لا تعتبر معظم سجلات الرموز سرية تماماً طالمـا تفقد أو تسـرق أو لأن معنى مجموعة الكلمات ستصبح بمرور الزمن معروفة على العموم .

وعليه لكي نجعل الـرسالـة سريـة يجب اضافـة مجموعـة أرقام أخـرى معـروفة فقط من قبـل المرسـل والمستلم بحيث لا يمكن حل الـرموز من قبـل جماعة ثالثة .

وإن أسلم طريقة لاتباع هذا الأسلوب من قبل المرسـل والمستلم هو أن يملكا أوراقاً من النوع الذي تتم الكتابة فيه بسرعة والتي تحتوي كل ورقة منها على أربعة أعمدة بحيث يتسع كل عمود لأربع مجموعات من أربعة أرقام .

يشير المرسل إلى رقم الصحيفة والعمود والسطر الذي تبدأ الرسالـة منه في المجموعة الأولى من الـرسالـة الرمـزية وهكـذا فان الـرقم (١٣٤٨) يعني الصفحة (١٣) ، العمود (٤) ، السطر ، (٨) . وإن كانت المجمـوعات الثلاث الأخـرى على الـورقة كـما يـلي (٤٤٣١) ، (٧٦٢٨) ، (٥٠١٦)

وتضاف إلى المجموعة التي اقتبسنا منها الآن ، فنجد بأننا سنقرأ الرسالة كما يلي : (١٣٤٨ ـ ٩٩٠٤ ـ ٨٤٧٠ ـ ٩٦٠٩) وفحواها هي :

(إلى الآمر ، الفرقة ستتحرك يوم الاثنين) .

ولما يتم استخدام الصفحة بكاملها يتم تمزيقها واتلافها . ويعرف هذا الأسلوب بأسلوب إستخدام الورقة مرة واحدة وكانت هذه الطريقة معروفة بأنها أسلم الاساليب في ذلك الوقت تماما . وإذا كانت مجموعة الجفرة في سجل لا يمكن إتلافه ويتم إستخدامه مرات عديدة فيتمكن العدو بمرور الزمن من حل رموزها وقراءة الرسالة . وقد حدث هذا الشيء مع شديد الأسف في الجفرة التي استخدمتها البحرية خلال الحرب .

وعلى أية حال ، فإن أسلوب استخدام الورقة مرة واحدة هو أسلوب مطول وبطيء الاستعمال إذا أردنا استخدامه على نطاق واسع جداً .

ومن النادر أن ترتب جميع المطابع في المانيا الأوراق الكتابية التي تتم الكتابة عليها بسرعة ولذلك نعتقد بأن ألمانيا ستعود إلى استعمال الجهاز الميكانيكي الذي يكون سريعا وسهل الاستعمال ، تلك الطريقة التي يتم فيها تبديل أحرف الكلمات في الرسالة الرمزية بشكل كبير بحيث يستطيع الشخص المستلم فقط الذي يعرف مفتاح جهاز الجفرة من تنظيم جهاز جفرته لفرز الاحرف ثانية إلى معانيها الأصلية . لا أريد التحدث بصورة مطولة عن موضوع الرموز والجفر ذلك الموضوع الذي بحثه باسهاب وبشكل ممتاز المستر ديفيد خان في كتابه المسمى محللو الرموز؛ غير أنه اتضح لي من أحاديثي مع المستر دبنستون بأنه يتوجب علينا معرفة كل ما يمكن معرفته عن المخابرات الألمانية والرموز التي تستعملها ، واتضح لي بأن آلة الحرب الألمانية العظيمة التي تكرس همها في حرب خاطفة لا بد وأن تكون لها منظومة مخابرات لاسلكية سريعة لأن مد الأسلاك على الأرض أمر صعب للغاية . إن استعمال الجفرة المستخدمة لمرة واحدة أمر صعب جدا وأمر غير وارد لمثل هذه المجموعة الهائلة من الرسائل . وهكذا بدأت الاستفسارات تنهال بكثرة على وكلائنا في

أوروبا ليبذلـوا جهودهم في اكتشـاف الطريقـة التي ستتبعها ألمـانيا حـول هذا الموضوع وفي اكتشاف نوع أسلوب الجفرة التي سيتم استخدامها ؟

ولقد تم استخدام شخص ميكانيكي بولندي سنة ١٩٣٨ في معمل يقع في ألمانيا الشرقية والـذي كان يعمـل في صنع مـا خمنه بصـورة صحيحة ذلـك الشاب بأنه نوع من آلة مخابرة سرية .

وبما أنه بـولندي فـإنه لم يكن يحب الألمـان ، بأي حـال من الأحوال ، ولكونه ذكياً جداً فإنه بدأ يراقب بامعان أعمال زملائه القـائمين في العمـل ، وإنني أعتقد بأنهم اكتشفوا قوميته من بعد أحد التدقيقـات الأمنية التي قـامت بها الجستابـو على جميـع المعامـل ذات الأمنية العالية، ولهـذا السبب طردوه من عمله وأعادوه إلى بولندا . وإن ملاحـظاته الـدقيقة جعلت منـه الرجـل الجيد وبدأ بالاتصال مع رجالنا في وارشـو . كان الجستـابو في بـولندا نشـطا لذلـك أوعزنا له بالبقـاء مختفيا . وكنـا نتسلم المعلومات في غضـون ذلك الـوقت من لندن . ومن الواضـح أن الموضـوع كان دقيقـا جدا لـذلك قـرر رئيسنا اللواء البحري سنكلير بأنه من الأفضل جدا أن يعرف بالموضوع عدد قليل جدا من الناس حتى من أفراد مكتبنا . لذلـك وضع مـوضوع تـطوير الفكـرة في أيدي نـائبـه العقيـد ستيـوارت مينـزيـز وتقـرر أن يحـاط رؤسـاء الشعب فقط علما بالموضوع .

وبمرور الزمن أمرنا الشاب البولندي بأن يغـادر وارشو وتم تهـريبه سـرا إلى الخارج بواسطة جواز سفر مزيف وبمساعدة مصلحة الاستخبارات السـرية البولندية ثم تقرر بقاؤه في باريس حيث زود بمعمل بمساعـدة مؤسسة دوكسيم Deuxiem . ثم بـدأ يعمل نمـوذج جهاز من الخشب بمساعدة نجـار ، مثـل ذلك الجهاز الذي كان يصنعه في ألمانيا .

كان هناك عدد من الأجهزة المخترعة المستخدمة لأغراض الجفرة طـوال سنـوات عديـدة كما كـان لدى رجـالنا العـاملين في الفرق الخلفيـة سجـلات ورسـوم معظم هـذه الأجهزة ..وسـرعان مـا اكتشفوا بـأن هـذا النمـوذج من

الجهاز انما هو نوع محسن من أجهزة الجفر الميكانيكية وتسمى (أينكما) والذي أطلق أصحاب المعامل الألمانية هذا الاسم عليه .

ثم طلبوا من هذا الشخص البولندي بأن لا يصنع النموذج الخشبي لهذا الجهاز حسب المقياس، وفي الحقيقة كلما كان الجهاز كبيراً كلما كان ذلك أفضل ، لأنه سيستطيع اضافة كل التفاصيل التي تخطر بباله فيما بعد .

وبعد اكماله صنع الجهاز بدا لأعيننا كأنه القسم العلوي لجهاز البيانو ، غير أنه كان يدلنا على أننا سنستفيد منه حينما نصنع الجهاز الحقيقي إذا ما حالفنا الحظ وتمكنا من الحصول على أسلوب تشغيل هذا الجهاز . وهكذا ، بينما كان هذا الشخص البولندي موضع رعاية في باريس ، بدأنا نحن في بذل أقصى الجهود بمساعدة أصدقائنا في بولندة الذين كانوا حاذقين واذكياء مثلنا لغرض الحصول على جهاز كامل من ألمانيا ، وكنا نعلم مكان المعمل الذي يتم فيه صنع هذا الجهاز كما كنا نعرف كل شيء عن الأساليب الأمنية وبأن هناك عدداً من البولنديين لا يزالون يعملون هناك تحت اسماء ألمانية ، وعلى أية حال ، رأت مصلحة الاستخبارات السرية البولندية من أن فرص النجاح تكون أكثر إذا ما زودوا بالمال حيث يقومون هم بالواجب لأنهم يعرفون الأرض والناس أكثر مما نعرفه ، لذلك وافقنا على فكرتهم هذه بكل سرور .

ولقد ذهب المستر دينستون إلى بولندة في غاية من السرية وجلب معه وهو في غاية النصر الجهاز الكامل ، جهاز (أنيكما) للجفرة الذي يشتغل كهربائياً ، ذلك الجهاز الذي عرفنا أنهم صنعوا منه آلاف الأجهزة وقصدوا من ذلك نقل جميع رسائلهم الرمزية السرية تلك الرسائل التي تستخدمها الآلة الحربية العظيمة . ومن الصعب أن نشرح لكم هذا الجهاز ببضع كلمات، لذلك فانني لا أنوي شرح عمل هذا الجهاز المعقد المحتوي على طبلات دوارة متصلة كهربائيا والتي توضع حولها الحروف الأبجدية ، يضع كاتب الطابعة أحرف الرسالة في هذه الآلة التي تنتشر في طبلاتها أعداد كبيرة

من الحروف الأبجدية بحيث قدرنا بأن يستغرق زمناً مقداره شهر واحد أو أكثر لزمرة من الأشخاص المتضلعين في الرياضيات ليغيروا ترتيب الأحرف لكي يجدوا الحل الصحيح لمجموعة واحدة من الجفرة . وكان ترتيب الأحرف على الطبلة وعلاقة كل واحد منها مع الآخر هو المفتاح الذي يتوجب على المرسل والمستلم من غير شك الاحتفاظ به بدقة .

ولا عجب من أن يعتبر الألمان بأن جفرتهم هي في وضع أمين تماما .

وبالرغم من حقيقة أننا نملك الجهاز الحقيقي فهل أننا الآن نواجه معضلة مستحيلة ؟ لقد انتقل دينستون بحلول شهر آب **١٩٣٩** مع جماعة الجفرة والرموز الحكومية إلى (بليجلى بارك) ، إلى البيت المنعزل في تلك المنطقة والذي حصل عليه الرئيس في السابق كمخبأ خلال الحرب وأخذوا معهم هذه الآلة .

ومع الأسف ، لقد مات المستر سنكلير Sinclair في نهاية هذه السنة وقبل أشهر فقط من قيام المجموعة في (بليجلي) باعمالها كاملة . وكان موته بالنسبة خسارة كبيرة ، لأنه كان ينازع الحكومة في ذلك الوقت حول اقرار المعلومات التي كتبتها عن النازية ، وأنه لم يكن بحاجة أو نية بأن يسمح لأي كان بأن يفسد أعمال مصلحة الاستخبارات السرية المستقلة تماما ، هذا ما كان يفعله رئيسنا الأخير من الأعمال ، وكنا نضحك بهدوء طوال السنوات حول زياراتي إلى هتلر وصحبه .

ويبدو أنه كان الشخص الوحيد الذي يفهم كيف ولماذا أصبحت موضع ثقة عند التسلسل الهرمي النازي . وكان النازيون يبدون أحيانا أنهم غير قادرين على التعامل مع الدبلوماسيين المحترفين . ولقد فضل الهاوي روزنبرغ نفسه بأن يفسر السياسة النازية هاو آخر .

وفي قضيتي كشخص المفروض منه أنه معجب بنظام الحكم النازي ، اعتقدوا بأنني ساتمكن من التأثير على أصدقائي في الوظائف العليا في لندن

لصالحهم واتمكن من أن اجعل بريطانيا تقف على الحياد في حروبهم القادمة .

إنني لم أحاول قط أن أخفي تعاوني مع وزارة الخارجية ، ولقد وصف روزنبرغ النسخ من التقارير التي من المفروض أنني رفعتها إلى وزارة الخارجية بأنها تقارير (متقدة) وذلك بمذكرة قدمها إلى هتلر .

إن الأسابيع التي أمضيتها بين سنة ١٩٣٤ - ١٩٣٨ متنقلا بحرية مع روزنبرغ ورودولف هيس وايريك كوخ أو مع مرافق روزنبرغ قد زودتني واعطتني نفاذ بصيرة فريدة تقريبا في الخطط النازية المستقبلية وربما نفاذ بصيرة أكثر أهمية داخل عقول أولئك الرجال بمن فيهم هتلر نفسه .

وإذا ما رغبت بأن أعرف الشيء الكثير عن موضوع ما ، كان هتلر أو روزنبرغ يوعز إلى أحد الخبراء بأن يتحدث معي في ذلك الموضوع .

ولم يكن ذلك بالدور السهل الذي أقوم به خاصة حينما كنت أتعاون مع مثل تلك الشخصية السادية الباردة كهتلر ، لكني واصلت العمل معه لمدة أربع سنوات دون أن الحق الأذى بنفسي أو أسبب ارباكا لرئيسي . ولقد كان رئيسي والسير روبرت (فانزيتارت Vansittart) رئيس وزارة الخارجية من اصدقائي المقربين لكنهما لم يكونا قادرين على تحطيم غلاف الأفكار الذي احاطها به (نيفل شمبرلين) واللورد هالفاكس لغرض حمايتهم .

ولو عاش اللواء البحري ليخدم المستر شرشل لكان قد ساعده على فهم أفضل عن استعدادنا ازاء ذلك القلق من الأشهر الأولى في الدائرة كرئيس وزراء .

وليكون المرء رئيس مصلحة الاستخبارات السرية ، ذلك المنصب الذي كان بمثابة هدية بالعرف القديم تقدمها السلطة ، أما في السنوات الأخيرة فانها كانت منحة البحرية ويتراصف عليها الآن من هم برتبة لواء بحري وعلى أية حال ، فقد كان للعقيد سيتوارت منزيز آراء أخرى . لقد اشتغلت مع المستر ستيوارث كزميل في السنوات التسع الماضية وأعتقد بأننا

جميعا في المكتب نتوق بأن يتولى هو كرئيس للدائـرة بدلا من أن يـأتي شخص آخر جديـد في هذه المـرحلة الحرجـة ، وكانت هـواجسنا تنصب عـما إذا كان يتمكن من مـلء هذا الكـرسي . إنه قـد درس في (آيتون Eton) ثم انتقـل كبقية ابناء الأغنياء إلى تعلم الفروسية، ولقد حصل على وسام الخدمة الممتاز ثم خدم في هيئة أركـان (هيك) خـلال الحرب العـالمية الأولى وانـه كان عضـواً خـارجيا في نـادي وايت هول وكـان عـلى اتصـال شخصي مـع الشخصيـات البـارزة في المنطقـة . إنه كـان إسكتلنديـا وكان دائم الابتسـامة وان الضمـان الذي آل اليه من أسلافه الـذين كانـوا يربحـون الأموال الـطائلة من ملايـين الغالونات من شراب الويسكي الذي كان اجداده يقومون بتقـطيره . وبـذلك كانت أسرته تملك بيت دوركستر Dorchecter House الكائنة على جزيـرة في منطقة (بـارك لين) كـما أصبح في الحـال مسرحـا ضخما بلون أصفـر وابيض وأصبح فندقا . وكان عقار أسرته يقبع هادئا وراء ولايتي كلوستر شاير وهو في معـزل أنيق مجـاور لعقـار دوق بـوفـورت Duke Beaufort . وإنـه لم يكن يستسلم بسهولة لذلك فان عزمه ازداد في نهاية سنة ١٩٣٩ بعد أن أدرك بـأن شيئا مهما جدا قد ينتج عن تشكيل جهـاز (أنيكما) للجفـرة لذلـك صمد في منصبه ، ولقـد بقي صـادقـا في قـولـه حيث ابلغني شخصيـا عن التقـدم الحـاصـل ، لكن كـان هنـاك عـدد هـائـل من المعضـلات التي يجب التغلب عليها .

وفي شهر أيلول من عام ١٩٣٩ انتقلت مصلحـة الاستخبارات السـرية هي الأخرى إلى منطقة (بليجلي بارك) الذي يبعد مقدار (٥٠) ميلا شمالا عن لندن وهي بالقرب من الطريق الرئيس وسكة الحديد الممتـدة إلى الشمال الغـربي ، انه أحـد أوسع وارقى البيـوتات في تلك المنـطقة مبني من الـطابوق الأحمر مع جملون من الخشب على طراز الأبنية المشيدة في عهد فيكتوريـا، ومن المحتمل أن الذي بناه هو أحد الملاكين الأثرياء العاملين بصنـاعة الـطابوق في هذه المنطقة الغنية بالطين . وكان البيت يحتوي على (٢٠) غرفة أو أكثر وهو مؤلف من طـابقين طـويلين وفيه رواق واسـع وكـانت هنـاك مـروج خضـراء

واسعة مع أشجار الأرز المنتظمة وساحات للعبة الكروكي وحاجز حدودي بحيث يمكن رؤيته من البيت مما يعطينا فكرة بأن الفسحة غير متكسرة . واصبح هذا المكان المحل المفضل بحيث يجلس فيه المرء ويتناول وجبة غذائه من السندويج .

كانت (بليجلي) عبارة عن مدينة صغيرة ولم تكن جميلة وتقع حديقة (وبورن بارك Woburn Park) و (أباي Abbey) على بعد خمسة أميال عنها حيث يسكن فيها دوق بيد فورد . كانت الأكواخ الخشبية منتشرة في هذه المروج الواسعة من (بليجلي) ، وانني اتخذت دائرتي في الكوخ رقم (٣) وعلى أية حال ، عشنا في بيوت تحيط بهذه الأرض واتخذ عدد من الأشخاص العاملين في الفرق الخلفية بيتاً كبيراً آخر يعود لشخص يملك بالقرب منه معمل الكلوكوز وكنا نتناول الطعام سوية .

إنهم عصبة مرحة ومبهجة حتى حينما كانت المحادثات تدور حول رئيسنا من حين لآخر وكنت أعرف عدداً منهم حينما كنا نعمل جميعنا سوية في بناية واحدة في لندن . وكان من بينهم عدد قليل لا يعرف شيئاً عن الجفرة وأما الآن وبعد أن حصلنا فعلا على جهاز الجفرة الألمانية المسماة (أنيكما) وهو أحدث جهاز جفرة لهتلر فأصبح بالامكان أن نفهم بشيء من الدقة عمل هذا الجهاز وتعقيداته، وكلمة (أنيكما) هي الكلمة اليونانية القديمة التي تعني اللغز وهي في الحقيقة اسم جيد لهذه الآلة واننا على الأقل نستطيع الآن أن نعمل بدقة في هذا الجهاز .

وكان هذا المكان الذي يحتوي على المروج والأشجار الخضراء أفضل مكان لاجتماع عصبة من الرجال الأشداء الأذكياء الذين نفخر بهم . . وقد حضر إلى هذا المكان في (بليجلي) بعض الأشخاص المتضلعين جدا في الرياضيات في ذلك العصر مثل . الكسندر ، بايج ، ميلز باري ، كوردون ويلكمان . ولقد جاءوا هنا بعد أن حثهم دينسنون على ترك جامعاتهم المريحة والالتحاق بجماعتنا العاملين في الفرق الخلفية وذلك ليحاولوا اثبات أو عدم

اثبات النظرية القائلة بأنه إذا استطاع المرء أن يصمم آلة لخلق مسائل رياضية فبوسع المرء عندئذ أن يصمم تماما آلة لحل هذه المسألة .

وإنني أعتقد بأنه أمر مقبول عموما بأن المستر (ديلي نوكس Dilly Knox) أحد الأشخاص العاملين من جماعتنا في الفرق الخلفية كان العقل المفكر وراء شؤون آلة الجفرة (أينكما) ، كان شابا صغير السن ، طويل القامة ، يشبه رجال العصابات وذا شعر أسود وعينين تبدوان من وراء نظاراته كأنه بعيد التفكير . وهو يشبه (ميشل Mitchell) مصمم طائرة باصقة اللهب Spitfie المقاتلة والتي كانت السبب في رجحان كفة قتالنا الجوي في معركة بريطانية الجوية والذي أفنى حياته في لحظة انتصاره ، فان (نوكس) أيضا اندفع للعمل باذلا أقصى جهوده بالرغم من علمه بأنه مريض لكي يتغلب على معضلات اختلافات (أينكما) التي (أدخلها الألمان لكي يزيدوا من تعقيدات جفرتهم خلال سنة ١٩٤٠ ـ سنة ١٩٤٢) .

ومات هو الآخر بعد أن أكمل عمله . أما المستر (جي . ايج تيلمان) (J.H. Tillman) فهو شخص ذكي للغاية وجيء به من الجيش ، وهو طويل القامة داكن البشرة وذو شارب عسكري قصير ومقصوص ، وأما بنطلونه (سرواله) المقلم فقد آل إلى لون أخضر وأصبح على وشك الالغاء في سنة ١٩٣٩ . وأما أولفر ستراجي Oliver Strachy فانه شخص من نوع خاص ذو رأي مستقل وهو طويل القامة ولو أنه محدودب الظهر وذو شعر أشيب وجبهة عريضة وترى الابتسامة بادية من عينيه من وراء نظارته كما لو أنه يجد الحياة ممتعة جدا ما عدا حينما نقف جميعنا على الدرج صباح يوم السبت لنتسلم صكوكنا . وكان أوليفر موسيقياً متطرفاً ، وانني أعتقد أنه يعزف على آلات موسيقية متعددة إلا أنه يستمتع كثيراً بالعزف الثنائي مع بنيامين بريتين Benyamin Britien حينما يعزف على البيانو الفخم في شقته غير المرتبة في لندن ، وهناك شخص آخر يدعى جوش كوبر Josh Cooper والذي كنت أراه كثيرا لأنه كان معنياً بأمور القوة الجوية فهو الآخر متضلع

بالرياضيات وهو لا يزال في الثلاثينات من العمر وقد اعتاد على وضع نظارات سميكة قوية على عينيه والتي تعترض كثيرا شعره الأسود المستقيم . وأما المستر ديك بريكارد ، الشاب طويل القامة ، حليق الذقن وذو الوجه المستدير والصوت الهادي فانه يتمكن من التحدث في كل المواضيع بحيث يتغلغل فيها ببراعة فهو الآخر شخص مولع بالموسيقى كثيرا . وهذا العمل سحرني في ذلك الوقت بأن اشعر كيف أن فن فك جفرة أناس آخرين قد تحالف بشكل وثيق في أدمغة قد تتفوق في الرياضيات والموسيقى معا . وكان شيئا مرعبا أن نلعب (البريدج) في احدى الأمسيات مع هؤلاء الرجال الثلاثة ، سارت الأمور بسهولة وكان الحديث ممتعاً . وبامكاني أن أمضي وقتاً أطول في موضوع انسحاب بلدي أكثر مما فعلت غير أنه أصبح من الواضح في الحال بأن الحرب الزائفة ستدوم طوال شتاء عام ١٩٣٩ ـ ٤٠ ، لذلك فقد اصطحبت جماعتي الصغيرة إلى لندن لكي أكون على مقربة من وزارة الطيران . وبعملي هذا فقدت الجو العلمي في بليجلي .

وبعد وقت لم يدم طويلا تمكن الرجال الذين يعملون في الفرق الخلفية في (بليجلي) من حل لغز الجهاز (أينكما) بمساعدة العلم الحديث (علم الألكترونيات) ، إنني لم أكن في عمر الحاسبات ولم أحاول أن أفهمها غير أنه في بداية سنة ١٩٤٠ سرت باحتفالِ مهيب إلى مكان حيث ينتصب فيه عمود برونزي اللون بعلوه وجه دائري كبير من البرونز وهو يشبه في شكله وجه امرأة شرقية والقصد منه أنه سيكون الوسيط في (بليجلي) إذا كانت على الأقل تشبه تلك الآلة الألمانية .

وكانت هذه القطعة ذات منظر مثير للنفس كأنها قطعة سحرية . وبالطبع ، كنا جميعا نعجب فيما إذا ستصبح هذه التجربة قادرة على العمل حقيقة ، وإذا صح ذلك ، فهل تكون قادرة على العمل في الوقت اللازم حينما تصبح الحرب ساخنة حيث كنا نشعر بأن الحرب ستندلع في الربيع ؟ ولقد منحنا هتلر مهلة مقدارها ستة أشهر وبذلك أمضت كل شعبة من شعب

الدفاعات الوطنية عملها اليومي في شغلها التام وكنا نعلم جميعا بأن الوقت هو قليل للغاية ومتأخر جداً، غير أننا كنا في أشد الحماس على الأقل بالنسبة إلى هذا المفهوم الحيوي من الامكانيات لأنه كانت في أيدينا الآلة الحقيقية لحل الجفرة الألمانية أو التي ستستخدم في الاتصالات في زمن الحرب .

ومن المحتمل أنه في نهاية شهر شباط من عام ١٩٤٠ استلمت القوة الجوية الألمانية أجهزة (أنيكما) عديدة كافية لتدريب مشغلي هذه الأجهزة بحيث يشرعون في ارسال بعض الرسائل ويبثونها على الهواء. كانت الإشارات مختصرة جداً لكنها يجب أن تحتوي على المقومات التي ينتظرها ذلك التمثال البرونزي . وكان المستر منزيز قد أصدر تعليماته بأن نرسل اليه حالا كل نتيجة ناجحة . وما أن انقضى ذلك الشهر القارص جدا وحل شهر نيسان المشمس إذ بدأ ذلك التمثال في بليجلي بالتكلم فناولني المستر منزيز أربع صفحات من الورق ، في كل ورقة رسالة مختصرة تخص القوة الجوية تعالج تعيين الأشخاص في مناصب الوحدات . كانت هذه الرسائل من وجهة نظر الاستخبارات السرية قليلة الأهمية ، ما عدا أنها كقائمة ادارية ولكنها كانت بالنسبة إلى الجماعة العاملة في الغرف الخلفية في بليجلي بارك وبالنسبة إلى المستر منزيزولي أشبه بسحر في قدر ذهبي في نهاية قوس قزح .

لقد وصلت المعجزة

ملحوظة : لقد بين الضباط البولنديون الذين يعيشون في بريطانيا ، طالما تم نشر هذا الكتاب بأن البولنديين قد عملوا أعدادا من جهاز الانيكما من المعلومات المقتبسة من المعمل في المانيا مقرونة بمساعدة الأشخاص المتضلعين في فن حل الجفرة من رجالهم وربما أنهم زودونا بأحد هذه الأجهزة . وربما يكون هذا الادعاء صحيحا تماما وأنه من المؤكد أن المتضلعين بالرياضيات والفنيين من البولنديين قد أظهروا الذكاء والشجاعة، غير أن القصة التي بينتها هي احدى القصص التي قيلت لي في ذلك الوقت .



الباب الثالث

١الخطة

لقد طلب مني المستر ستيوارت منزيز بأن أخذ « النتائج الأولى » الثمينة إلى المستر جارلس ميد هيرست ، الذي كان مديراً للاستخبارات الجوية في وزارة الطيران ، ذلك المنصب الذي ارتفعت درجته في الحال إلى درجة معاون رئيس أركان الاستخبارات الجوية ، كان المستر جارلس رجلا قصير القامة ، سميناً وداكن البشرة ، ويتحلى بعقلية ذكية ، وبصوت هادىء وهو حسن الفهم وكان مديري أو رئيسي في وزارة الطيران ، وإنني كنت أعرفه معرفة جيدة وقمت معه بجولات في الثلاثينات في الشرق الأوسط حول التفتيشات المتعلقة بالاستخبارات ، وحالما وصلت مكتبه في صباح ذلك اليوم قابلني بابتسامته المعتادة بالرغم من كثرة الأوراق على منضدته ، خصص جزءاً من وقته لي ناولته الأوراق التي معي ، أخذها مني ، لكنني لاحظت أنه مشغول في أمور أخرى لأنه أعادها لي وقال : « عليك أن تعمل أفضل من ذلك » . لم يعر اهتماما كبيرا لهذه الأوراق واعتبر المعلومات الواردة فيها ذات قيمة غير مهمة وأنه بنى رأيه عليها بما فيها من معلومات سطحية ولم ير أنها قطع من السحر بالرغم من أن المستر منزيز قد تحدث معه حول آلة الانيكما وعن آمالنا الكبيرة في قدرتنا على حل بعض المخابرات الرمزية .

وكنت استرجع بذاكرتي موضوع أفضل الطرق لمعالجة هذه المعلومات الجديدة بأسرها قبل ذهابي لمواجهة المستر جارلس ، وفي الحقيقة ، فكرت بشيء آخر طالما حصلت على الرموز ، وأعتقد أن الشيء الذي حثني في ذلك

المساء على التركيز على استخراج خطة لاستعمال هـذه المادة الجـديدة هـو قلة اهتمام المستر جارلس ، وعما إذا ستنشر في مصدر مهم من المعلومات كما كنـا نتـوقـع ، وأعتقـد بـأنني لم أنم تلك الليلة ولكنني الآن عـرفت الشيء الـذي أريده فذهبت في صباح اليوم التالي لمواجهـة المستر جـارلس حالما علمت من السكرتيرة بأن الجميع خرجوا من مكتبه . وبدت الأنسة بتيكرو كالعادة كما لو أنها خرجت من سيارَة الرولز رايـز الآن ، لم ترتبـك أبداً ، لكن من الصعب جداً الدخول إلى مكتب رئيسها ما لم يكن لدى الشخص سبب معقول. وكان من المرغوب أن يدخل مكتب الـرئيس من غرفتهـا . ومن حسن الحظ ، كان رئيسي القديم يفسح لي دوماً من وقته إذا أردت زيارته ، وكـانت علاقتي مـع الأنسة (بيتكرو) حسنة جداً ، رفعت بصـرها وابتسمت ، وأعتقـد أن هناك شيئـا من الاثارة المكبـوتة تـدور حول المكتب في ذلـك الصباح ، كـان المستر ستيـوارت نفسـه متهيجاً جـداً بـالنسبـة إلى ذلـك الاسكتلنـدي الهـادىء حيث أن سؤالـه الأول كـان « مـاذا يفكـر المسـتر جـارلس حـول ذلـك الموضوع ؟ » لقـد أخبرتـه بما حـدث في وزارة الطيـران ثم دخلت بسرعـة في المناقشة التي تهيأت لها لأحصل على موافقته بالنسبة إلى خطتي .

إن المعلومات من مثل هذا المصدر السري جداً يتم توزيعها في مجريات الأحـداث الاعتياديـة إلى مدراء الاستخبـارات فقط ، بعدئـذ ، يكون الأمـر منوطا إلى المدراء باتخاذ أي توزيـع يرونـه ، ملائـماً ، وقد جـرى هذا العمـل بشكل صحيح تماماً حينـما كان هنـاك عدد قليـل من مواد المعلومـات من هذا النوع؛ لكنه ظهر بوضوح أنه إذا كنـا محظوظين وتمكنا من حـل الجفرة في يـوم واحد تماماً فيمكن معالجة مجموعة هائلة من الرسائل الرمزية من قبل الصنوف العسكرية الثلاثة على انفراد والنتيجة تكون ليس فقط اختـلافاً في الترجمـة ، بل إنما يكون عدد المستخدمين في مثـل هذا العمـل وفي أي عمل آخـر لاحق هائلا . وإذا ما رغب كل مدير ، حسبما يتوقعه الفرد ، أن يبلغ قيـادة واحدة أو أكثر من القيادات فيما وراء البحار مضمون معلومات مهمـة أو عاجلة فـلا بد وأن تبث نفس المادة على الهواء على شكل جفـرات متعددة ومختلفـة بحيث

تعتبر من وجهة نظر فك الجفر عملا خطيراً للغاية . ولن يكون لهذه الطريقة أية سيطرة على استخدامها فضلا عن أن كثرة الاتصالات وحدها تكون كافية لاثارة شكوك العدو وفي نظري ، يعي العدو فجأة بعد فترة من الزمن ما يحدث ويتم تحطيم المصدر، ويجب أن لا يعتقد العدو بأننا نفك بأنفسنا جفرة رسائله وأنه يعتقد بالتأكيد بأن هناك تسرباً خطيراً يكفي إما لإيقاف العمل باستخدام جهاز الانيكما أو أنه يدخل فيها تعقيدات في التشغيل بحيث يبطل نجاحنا .

وبامكاني أن أرى المستر ستيوارت وهو لا يوافق تماماً فيما يتعلق بالأخطار وأرى أنه قد يفقد السيطرة على النتائج ويضعف مركزه بالرغم من حقيقة أنه هو والرجال الذين يعملون في منطقة (بليجلي) هم المسؤولون قبل كل شيء عن حل الجفرة وفق النظام الحالي ، فانتظرت من أجل ما توقعت وأملت أن يقوله ، فسألني بعد فترة وجيزة عن رأيي حول الموضوع ، وكنت مسروراً بأن أجد أفكاري قد وجدت لها أذناً صاغية .

اقترحت عليه ، كخطوة أولى ، أن أطلب من وزارة الطيران ثلاثة أو أربعة ضباط من غير الطيارين من الذين يحسنون اللغة الالمانية من ضباط القوة الجوية الملكية. طالما أننا الآن استلمنا رسائل رمزية تخص القوة الجوية الالمانية، واستخدام هؤلاء الضباط من مكتبي في الكوخ رقم (٣) في منطقة (بليجلي). وسيكونون فعلاً بجوار الكوخ رقم (٦) حيث المكان الذي يتم فيه فك الرموز باللغة الالمانية . واقترحت بأن يتم تمرير الرسائل الرمزية إلى الكوخ رقم (٣) لغرض ترجمتها ولأعمال أخرى حسب توجيهاتي .

وبطبيعة الحال ، يتطلب مني فحصهم بالنسبة للامنية لذلك اقترحت بأن الحق معهم أحد أفراد استخباراتي الذي يوجز لهم جميع التفاصيل المعروفة عن القوة الجوية الالمانية لمساعدتهم على معرفة الاسماء والعناوين وتفاصيل أخرى من الاسراب والتشكيلات الأخرى بشكل صحيح .

وطالما يتعلق الأمر بعدة أيام قبل أن يشرع الالمان بارسال رسائلهم

الرمزية فبوسعي أن أقدم طلباً مماثلاً إلى وزارة الحرب .

وكان مدير الاستخبارات العسكرية ، الجنرال ديفيدسن Davidssen رجلاً من الأصدقاء الطيبين وكان دائم التعاون ، وايقنت أن فكرة تشكيل وحدة استخبارات صغيرة مشتركة من الجيش والقوة الجوية ستروق له لكن إقناع اللواء البحري جون كودفراي John Godfrey مدير الاستخبارات البحرية أمر صعب جداً ؛ وكانت القوة البحرية متمسكة بتقاليدها بحيث كانت مستقلة في عملها ومكتفية بنفسها فلا بد وأن تكون فكرة التعاون مع أفراد من الصنفين الآخرين أمراً مقبولا ، وعلى أية حال ، أيقنت أنه إذا ما بدأت الوحدة عملها فهناك فرص كثيرة لاحتمال اشتراك مدير الاستخبارات البحرية إذا ما تم الحصول على جهاز الانيكما البحرية أو حينما يتيسر لهم ذلك .

وهكذا ، كما أخبرت المستر ستيوارت ، أردت أن ابدأ العمل مع وحدة مؤلفة من الجيش والقوة الجوية .

وكانت هذه الفكرة هي الصفحة الأولى من الخطة للحصول على ترجمة واحدة وصحيحة للرسائل الرمزية ، كما كانت هناك أيضاً نظرة مهمة تماماً بالنسبة إلى وحدة عسكرية مشتركة وتلك هي القرار على الاسبقية الضرورية لكل رسالة رمزية يتم استلامها ومن هم أكثر حاجة لمعرفة محتوياتها .

ونحن الذين سبق لنا الاشتغال في الصنوف العسكرية الثلاثة المختلفة داخل مصلحة الاستخبارات السرية نأمل منذ وقت طويل بأن يأتي ذلك اليوم الذي تكون لنا فيه دائرة استخبارات واحدة مشتركة تعمل لمصلحة الوزارات الثلاث . وكانت هناك معلومات كثيرة جداً يمكن استنباطها من المناقشة التي تدور داخل الخدمة الداخلية .

وقد لاحظت بعد تدقيق قائمة أسماء الضباط لوزارة الحرب الالمانية لسنة ١٩٣٤ مع زملائي العسكريين بعض الأسماء البارزة من الطيارين

المقاتلين الالمان في الحرب العالمية الأولى ، كما كشف لنا الفحص المفصل عن وجود هيئة أركان جوية سرية كاملة، وكانت غير شرعية في ذلك الوقت ـ ومن الواضح أنهم كانوا تحت التدريب ومختفين في مختلف دوائر وزارة الحرب الالمانية ، والآن ، ان الشيء الذي أريده هو أن تحصل الموافقة بين وحدة الخدمات المشتركة في بليجلي على ترجمة واحدة مع الاسبقية والتوزيع .

وعرفت أن الفكرة بدأت تروق للمستر ستيوارت مينزيز ، ولقد ذكرته بذلك في منتصف سنة **١٩٣٩** حينما أوصلت إلى وزارة الطيران سلسلة من التصاوير تقارب الالف من الصور الواضحة أخذت بواسطة طائرة التجسس بحيث تظهر هذه الصور كل التفاصيل عن المطارات الايطالية، ومنشآتها والقواعد البحرية وأحواض السفن والتصينات والسفن والطائرات المتواجدة على طول الساحل الافريقي الشمالي والسواحل الايطالية ، ولقد اشتغل المستر آرجي بويل Archie Boyle الذي أصبح فيها بعد نائب مدير الاستخبارات الجوية بسرعة فائقة ولكن لم يتمكن مركز الترجمة للتصاوير الجوية في ميدمينهامMedmenham إلا بعد مضي سنة من أن يعمل بجد ونشاط تام ، ولا أظن أن الصنوف العسكرية الثلاثة تكون قادرة على تشكيل الالة الضرورية لمعالجة ما يصدره جهاز الانيكما من الرسائل المحتملة في مدى الأسابيع المتيسرة الآن قبل بداية الحرب الساخنة ما عدا مسألة الامنية تماماً .

وافق المستر ستيوارت على القضية التي عرضتها لحد الآن ، غير أنه لا تزال هناك محاذير أمنية باقية عن الانتشار الواسع للمادة إلى القادة في الميدان ، إذا ما أردنا الانتفاع بها لاقصى درجة ممكنة ، ولقد بحثت هذه الناحية في الجزء الثاني من خطتي والتي أخشى أنها قد تلاقي ، من غير توقع ، معارضة من لدن مدراء الاستخبارات ، ونحن كنا نملك الآن شبكة مواصلات لاسلكية ذات موجة قصيرة ، تعمل بكفاءة عالية جداً وتعود لمصلحة الاستخبارات ونتمكن بواسطتها من الاتصال مباشرة مع المنظمات في معظم أجزاء العالم ، فاقترحت بأنه إذا تمكنا من توسيع هذا العمل بحيث يدخل

ضمنه فك الجفـرة والبث إلى قيادات الميـدان الرئيسيـة فيها وراء البحار، فعند ذاك يسمح لي بأن أشكل وحدات صغيـرة مؤلفة من أشخـاص مدربـين على الجفرة وعلى استعمال اللاسلكي وإلحاق هذه الـوحدات بـالقيادات التي نحن بصددها ، وبهذا يتحقق غرضان وهما تأمين ايصـال المعلومات فـوراً ، ووجود ضـابط في الموقـع يكون مسؤولاً عن التـأكـد من أن جميـع التدابـير الوقـائيـة الضرورية قد اتخذت بالنسبة للامنية . وبينت أهمية وجود قواعد صارمة جـداً بالنسبة إلى عدد الناس الذين يمكن لهم معرفة وجود هـذه المعلومات وربمـا إذا قلنا على أساس دقيق جداً ، قواعد لأولئك الذين يستلمون المعلومات لنضمن أنهم لا يتخذون أي عمل من شأنه أن يثير شكوك العـدو أو يعزز من مخـاوفه من أن قادة الحلفاء يعرفون مسبقاً خططه . وإنني أعتقد أنه من الصعب جـداً أن ينجز القائد العام هذه النقطة بنجاح ، وقد يكون القيام بعمـل يكتشفونـه بسـرعة في بعض الأحـوال شيئاً مغـرياً ، وأعتقـد أن الرئيس يجب أن يـدعم التدابير الأمنية التي ابتكرها دعماً تاماً كـما يجب أن يدعمهـا من هم أعلى رتبـة من الرئيس إذا اقتضى الأمر .

وبهذه الطريقة ، يكون الضابط المسؤول عن الأمور التي اقترحها والتي سميتها (وحدات الارتباط الخاصة) في الميدان قادراً بذكائه على التأكد من أن هذه الوحدات لا تتعرض إلى الخطر .

واقتـرحت بالنسبـة إلى نجاحنـا باستخـدام جهاز الجفـرة (انيكـما) أن تكـون جميع الـرسائـل التي نبثها عـلى الهواء بـالاسلوب المعروف (استخـدام الجفرة لمرة واحـدة) والتي سبق لي وأن شرحتهـا ، ويقدر مـا أعلم ، أن هذه الطريقة كانت الجفرة الوحيدة الأمينة تمامـاً في الوجـود في ذلك الـوقت ولو أن الالمان كانوا يرون خلاف ذلك ، كما اقترحت أيضاً بأنه إذا ما رغبت أية دائرة حكومية قد استلمت هذه المعلومات وتريـد بثها لأي سبب كـان ، فيجب أن يتم ذلك عن طريق تنظيم وحدة الارتباط الخاصـة ، وأملت أن هذه الـطريقة من شأنها أن تربط بأحكام أمينة جفرتنا من دون مقاومة كبيرة جـداً ـ وتستثنى

من ذلك القيادة البحرية التي لها معضلاتها الخاصة بها والتي تستخدم الجفرة الخاصة بها ، وتمكنا بعدئذ من استخدام آلة الجفرة الجديدة من نوع (×) التابعة للقوة الجوية الملكية والتي تطورت من جراء كل المعرفة الحاصلة من نجاحنا في الحصول على جهاز الانيكما الالماني . وتم نصب هذه الاجهزة في معظم المقرات الرئيسية التي تدير صنفين أو ثلاثة من الصنوف العسكرية مثل جزيرة مالطا والقاهرة والجزائر ثم فيما بعد في كاسيرتا وكولامبو ، ولم يعرف العدو مطلقاً أي شيء عنها .

هذه هي الخطة الكاملة التي وضعتها أمام رئيسي بعد يوم من النجاح الأول لجماعة العاملين في الفرقة الخلفية .

ولحد الآن ، لا يعلم أي شخص ، كم من الساعات أو حتى الأيام التي ستمضي بين الاعتراض على الرسالة.والجواب على ايجاد مفاتيح جهاز الانيكما أو عدد الرسائل التي يجب أن تقرأ وتصنف لغرض الاسبقية والتوزيع والترجمة والارسال ، ولكن الخطة ستتيح المجال للتوسع ، قبل كل شيء ، للامنية .

وبالطبع كنا لا نزال نبعث بنسخ من جميع الرسائل إلى مدراء الاستخبارات والذين هم المسؤولون عن احاطة رؤساء أركانهم علماً تاماً بهذه الرسائل ولكي ينسقوا المعلومات المتعلقة بالشؤون الإدارية لمختلف وحدات العدو والتي نسميها بنظام المعركة .

وأعتقد أنني أمضيت ساعة كاملة في إعداد الخطة بأسرها ، كما امضى المستر ستيوارت مدة خمس دقائق اخرى في الامعان بهذه الخطة قبل أن أتلقى منه الجواب : (حسنا بامكانك الاستمرار إذا تمكنت من الحصول على موافقة مدراء الاستخبارات) وجدت رأيه في الموضوع أنه لم يكن قراراً بارزاً حتى إذا اعددت الترتيبات ، أما إذا نجحت الخطة فستكون قوة النصر الذي لا يمكن تصديقه بين يديه .

وحينما ذهبت لمواجهة المستر جارلس ميدهورست وجدته في حالة ممتازة جداً وقد تبنى الموضوع كله بدون تردد وقال (يبدو أن قيامكم بالترجمة عمل جيد) واتضح لي بأنه لم يكن قادراً على فهم الامكانية الهائلة للمصدر .

حضر في اليوم التالي إلى مكتبي ثلاثة من الضباط الطيارين الاحداث من الذين يتكلمون اللغة الالمانية ، وكما حافظ المستر جارلس على وعده ، لذلك تم البحث بواسطة شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران بحيث أنهم أصبحوا محجوبين من الآن لغرض الامنية . وكانوا طيارين من الشباب الذين التحقوا حديثاً وكانوا من الإصحاء والماهرين فأخذتهم بنفسي إلى منطقة (بليجلي) وأبقيتهم في الكوخ رقم (٣) مع أحد ضباط استخباراتي وزودتهم بالخرائط وبنظام معركة القوة الجوية الالمانية مع تفاصيل أخرى عن مختلف الوحدات وآمريها حالما أمكننا الحصول على ذلك .

ومن حسن حظنا ، كانت الرسائل الرمزية التالية والتي حصلنا عليها وفككنا رموزها من الجيش الالماني غير مهمة وربما أنها رسائل لغرض التدريب ولذلك ذهبت في صباح اليوم التالي إلى وزارة الحرب وشرحت اقتراحاتي إلى الجنرال ديفيدسن ، مدير الاستخبارات العسكرية وقلت له بأنني حصلت على موافقة المستر ستيوارت وأنني حصلت على الضباط الذين احتاجهم من القوة الجوية الملكية ورجوته أن يمدني بمساعداته ، فوصل إلى بليجلي ضابطان من الجيش مع عريف في اليوم التالي ومعهم كل المعلومات التي تخص الجيش الالماني .

أمضيت عدة أيام معهم وخصصت لهم مساكن حسنة وملائمة ثم بدأوا العمل الذي أردته منهم آخذين بنظر الاعتبار كل أوجه الاسبقية والأمنية للعمل بأسره، ومن الواضح أن الرسائل كانت ترسل إلى مدراء الاستخبارات ولي فقط في لندن حتى بعد أن أصبحت وحدات الارتباط الخاصة التابعة لي تقوم بأعمالها . ومن حسن الحظ أنهم أخذوا يستقرون ببطء : لم تكن هناك رسائل رمزية كثيرة للقيام بحلها أو فكها ، وفي بعض الأحيان كان الوقت

اللازم يتجاوز (٢٤) ساعة للحصول على النتيجة ثم بعدئذ ، حالفنا بعض الحظ فبدأنا نحصل على الجواب ضمن مدة (٣ ـ ٤) ساعات ، تم إخبار رئيس الوزراء المستر شمبرلين عن النجاح الذي حققناه لحد الآن كما تم إخبار رؤساء الأركان الذين آزروا المستر مينزيز في الحصول على أموال اضافية . وبعد عدة أسابيع من التقدم البطيء وغير المهم نسبياً اتصل بي المستر جارلس ميدهيرست هاتفياً في احد الأيام وأخبرني بأنه قد تعرف على ضابط يتكلم اللغة الالمانية بصورة جيدة والذي التحق لتوه ـ فيما إذ كنت احتاجه ، إنه المقدم الطيار (همفريز) أو كما يسميه (همف) ما هو إلا هدية الهية ، فهو رجل مبيعات تجارية في المانيا (ولم اكتشف أبداً عما إذا كان يبيع ساعات أم سيارات ، لكنني أعرف أنه كان ناجحاً في أعماله مهما كانت السلعة التي يبيعها)، وأنه كان يعرف البلد معرفة تامة ولا أظن أن هناك لهجة ما لا يتكلمها بطلاقة وينطقها نطقاً صحيحاً ، وهو رجل يبلغ طوله مقدار خمسة أقدام وعشرة سنتمترات تقريباً ويبلغ من العمر أربعين عاماً وله شعر أشيب يمشطه إلى الوراء ويبدو في صورة أنيقة ويتحلى بعينين زرقاوين ولم يكن ساكناً أبداً .

كان يمتلىء حيوية وطاقة وأكثر ما ينسب إليه من فخر أنه يملأ المنصب الذي عهدته إليه بجدارة وكان يعمل طوال ساعات النهار والليل بدون كلل ، وكان رجلا يحسن التكلم بصورة جيدة ـ وربما ـ حسب ما أعتقد ـ لممارسة الأعمال التجارية ـ وحينما يتطلب الأمر ، كان يفصح بآرائه باختصار وبدا لي واضحاً أنه هو الآمر في الكوخ رقم (٣) .

وقد ألقيت على هذا المقدم الطيار المسؤولية وسرعان ما حاز على ثقة رفاقه الذين بدأت تزداد أعدادهم من ستة أشخاص إلى (٦٠) شخصاً .

وبعد فترة وجيزة من الزمن الذي جعلت فيه جماعة الجيش والقوة الجوية الملكية يبدأون عملهم، تم فك رموز جهاز الانيمكا للبحرية الالمانية وعرفت أنه ما من فائدة في استدعاء المستر جون كودفراي ، مدير

الاستخبارات البحرية على عجل ، وأنه لم يكن بـارعا حتى في هـذا الوقت ، وانني أعرف المستر كـودفراي شخصيـاً بعد أن أصبـح مديـراً للاستخبـارات البحرية وطوال فترة الحرب . ولم يكن شخصية تتصف بالحيوية والحركـة لكنه نظم دائرته تنظيماً جيداً ولذلك كانت دائرة الاستخبـارات البحريـة كفوءة مـا عدا ، ما يخص حل الجفرة البحرية .

وإنني لا أعرف عما إذا كـان هو أو أمـير البحر الأول ، اللواء البحـري بوند ، هو الذي أصر على مواصلة العمل باسلوبهم الخاص بواسطة (الاسرار فوق العادة) . وبعد أن تولى المستر مينزيز رئاسة قسم الاستخبارات بـدلا عما يتولاه هو، فقد أصرت البحرية على ما أظن بأن لا تشترك معنا ، لكنني أقنعته بأن يرسل أحد ضباط البحرية للالتحاق بجماعتنـا في بليجلي . وبـالرغم من أن الرائد البحري سوندرز Saunders كان طالباً المانياً مـوهوبـاً وبارزاً إلا أن مـدير الاستخبـارات البحريـة أصر عـلى وجوب ارسـال رسائـل البحريـة إلى القيادة البحرية بلغتها الأصلية الالمانيـة بالـرغم من حقيقة أن تلك الـرسائـل التي تتعلق بحركة الغواصات أو بحركة السفن الالمانية كانت تترجم من قبـل همفريز وترسل إلى القيادة الساحلية للقوة الجوية الملكية .

لا تتمكن القيادة البحرية من استخدام اسلوب وحدة الارتباط الخاصة طالما يتوجب عليها ارسال أوامرها ووصاياها إلى السفن وقوافل كثيـرة جداً في البحر (واستخدمت عوضاً عن ذلك جفرتها الخاصة بها) ما عدا في الأمـاكن التي كانت تسهم فيها مع وحدة الارتبـاط الخاصـة مع الجيش والقـوة الجويـة الملكية في مقرات القواعد الرئيسة .

وشعرت أنه من الضروري في هذا الوقت تمييز معلومات جهاز الانيكـما الخاص بنا تماماً من الاجهزة الأخرى التي وضعنـاها تحت عنـوان (سري) أو (سري للغاية) (لم يصل بعد إلى المسرح ما يستخدمـه الامريكـان من كلمة Top Secret) لذلك وجب علي أن أتحدث مع كل مدير استخبـارات لامكان ايجاد الحل والاتفاق على اسم يكون معروفا من قبل جميـع الاشخاص المـدونة

أسماؤهم كمستلمين مخولين. وتم اقتراح كلمة (الاسرار فوق العادة) غير أن الاتفاق النهائي تم على أساس تسميتها (فوق العادة). وبعد أن ولدت هذه التسمية فقد قمت بادارة اسم هذا المصدر من الاستخبارات الذي أثر تأثيراً كبيراً على سير الحرب .

وكلما توسعنا في نجاحنا بحل رموز (الاسرار فوق العادة) أصبح من الواضح أن هذه الرسائل الرمزية تنقل من أعلى القيادات ، من هتلر ومن قيادة الجيش العليا ، من رؤساء أركان الجيش ، ومن هيئة أركان القوة الجوية والبحرية ومن الجيش ومن الاسطول الجوي ومن قادة الجحافل المدرعة .

وكانت وزارة الدفاع الالمانية تستخدم جفراً مختلفة حينما يتعاملون مع الجواسيس ومقاومة الجواسيس خاصة بهم وتمكنا من حل رموزها هي الأخرى واستخدمت الدوائر الامنية هذه الجفرة بشكل واسع وكانت مسؤولة عن العثور على الوكلاء الالمان وشلهم . ولقد أشار إلى ذلك البروفسور (هك ثريفر روبر) (Hug Trevor Roper) (وكيم فيلبي) (Kim Philby) وآخرون .

وقد يثير عدد هائل من الناس الذين كانوا صغارا بحيث لا يدركون ما جرى في الحرب العالمية الثانية وأولئك الذين ترعرعوا على انتصار الحلفاء على النازية السؤال التالي: وهو لماذا لم تنته الحرب ونقضي على العدو بسرعة طالما نعلم الشيء الكثير عن قوته ومقاصده . وربما يصعب على الجيل الصغير أن يفهم ويدرك أننا بشكل اجمالي اندحرنا في فرنسا في عام ١٩٤٠ وأن كل ما هو باق بيننا وبين الاستسلام الكلي إنما هو بقايا الجيش البريطاني غير المسلح الذي تم اخلاؤه من دانكرك والقوة الجوية الملكية إنما هي قوة صغيرة إذا ما قورنت بالأساطيل الجوية الالمانية الهائلة . وكان الاستسلام الكلي البريطاني بالنسبة إلى أولئك الأشخاص الذين يعرفون الأرقام يتوقف على عما إذا كانت القوة الجوية الملكية قادرة على منع القوة الجوية الالمانية من محو أسرابنا الجوية أو اجبارها على البقاء وهي قابعة على الأرض . ولو فعلوا مثل هذا الشيء فلا

تبقى لدينا أية سفينة من سفن بحريتنا الملكيـة أو أنه تغـرق وتصبح تحت مياه القنال الانكليزي طالما أن السيطرة على الجو بيد القوة الجوية الالمانية .

سيظهر بوضوح الدور الحاسم الـذي لعبته (الاسـرار فوق العـادة) في انقاذنا من الانحدار في الأبواب التالية من هذا الكتاب .

فالغزو ، مهما كان ضعيفاً وغير كفوء وكيفما يجـري ، سيكون مخيفـاً مع جميـع الاسلحة والقـطعات المحمـولة جـواً وبحراً والتي يـرسلها الالمـان نحـو سواحلنا التي ندافع عنهـا بشكل دقيق لأننـا كنا نقـاتل فعـلاً لمدة سنتـين الآلة الحـربية الالمـانية العـظيمة بـذكائنـا ، وأن ذكـاءنـا وأدمغتنـا هي التي أنتجت استخبارات (الاسرار فوق العادة) والتي أعطت المفتاح إلى استراتيجية مهيب الجو (دودنك) بحيث أبقت القـوة الجويـة الالمانيـة في الخليج وأنقـذت القوة الجوية الملكية من الضربات القاضية الموجهة ضدها من قبل المهيب (غورنغ) خلال معركة بريطانيا الجوية ، وأن (الاسرار فوق العـادة) هي التي أخبرتنـا عن جميع الاستعدادات الجارية لعملية أسد البحـر وغزو بـريطانيـا ، ومكنت نفس الاستخبارات فيما بعد الجنرال أوكنلك في شمال أفريقيا من قتال رومـل وفيلقه الافريقي وكـان مثله في ذلك كمثـل الملاكم المـراوغ ، يظهـر ثانيـة في المكان الذي لا يتوقعه رومل ، ويسدد له ضربة قاصمة ثم يهرب ثـانية ويشن هجوماً خاطفاً في مكـان آخر . وإن مهـارة الجنرال أوكنلك هي التي أدت إلى وقوف رومل عـلى أبواب مصـر . فلو لم يفعل هكـذا ، لفقدنـا جميع حـوض البحر الابيض المتوسط من أيدينا مع قوات الامبـراطوريـة المنتشرة في الشـرق الأوسط ولفقدنا النفط والقواعد البحرية وطريقنا إلى الهند .

وحتى من بعد العلمين ، حينما بدأ موقفنا يتغير قليلاً ، كانت (الاسرار فـوق العادة) هي التي تـزودهم مسبقاً بـالمعلومات عن تنقـلات العدو وقـوته وتصرفاته المحتملة ومع ذلك فانها مازالت لم تمكننا من الحصول على أية نتائـج سـريعة : ويعـزى السبب لأننا مـا كنـا نملك الجنـود والمعـدات والمـوارد ، لا تجعلونا نخدع الناس بكثرة الأفـلام التلفزيـونية والـدعايـات لنصور لهم بـأن

الحرب إنما تبدو كملحمة انتصار عظيم . كانت كذلك ، في الحقيقة ، عبـارة عن مس رقيق عـابر ومحدود؛ وقد يـرغب القارىء بـأن يتأمـل حينما يقـرأ هذا الكتاب عما إذا كنا سنربـح الحرب أو لا فيـما لو حصلنـا على (الاسـرار فوق العادة) .



الباب الرابع

معركة فرنسا

بما أن هذه الرواية الأولى المنشورة عن استخدام (الاسرار فوق العادة) وفق الأحوال المتعلقة بالحركات ، فانني حاولت اعطاء صورة كاملة عن الأحداث بحيث أعددتها ليس فقط من المعلومات المستقاة عن عمليات الحلفاء ومن عمليات العدو التي تتنبأ بها (الاسرار فوق العادة) بل انما أيضاً من وثائق القوات الالمانية المسلحة المستولى عليها والمتيسرة لنا بعد الحرب . لقد قمت بهذا العمل متعمداً حتى اتمكن من بيان السلك الموصل العام إلى الحرب من وجهة نظر الاستخبارات ولأبين أنه مهما كانت المعلومات التي حصلت عليها (الاسرار فوق العادة) محدودة جداً خلال معركة فرنسا فانها خدمت بعض الأغراض حتى وإن اقتصر الأمر على اخبار السير ونستون شرشل وهيئة الاركان العامة في لندن بالمقدار الصادق عن انهيار فرنسا والتعجيل في اتخاذ القرار للاخلاء بأسرع ما يمكن . وعلى أية حال لا يمكنني أن أؤكد كثيراً بأن هذا الكتاب هو ليس تأريخاً مختصراً للحرب العالمية الثانية ومن أنه تم نشر قصة عملياتنا الحربية في الأشهر والسنوات الأولى، لذلك سيقع التأكيد كلياً تقريباً على المعلومات التي وضعتها (الأسرار فوق العادة) تحت تصرف قادة الحلفاء مفضلين ذلك على الطريقة التي سيروا فيها العمليات الحربية .

ففي عام ١٩٣٦ قام هتلر وأعاد احتلال اراضي الراين وخمن بشكل صحيح بأنه لن تفعل انكلترا ولا فرنسا أي شيء حول هذا الاحتلال . وفي شهر أيلول من ١٩٣٩ ، أعلن الحرب على بولندة من بعد الاستيلاء على النمسا

وجيكوسلوفاكيا وأنه عرى الجبهة الغربية فعلا بتحريكه معظم جيوشه إلى الشرق . ومرة أخرى كان تقديره للموقف صحيحا وهو أن فرنسا وبريطانيا العظمى لا يمكنهما اعلان الحرب ولن يفعلا أي شيء حول ذلك .

وهناك معلومات كثيرة جداً ومتيسرة في الثلاثينات من عام ١٩٣٠ بالنسبة إلى بناء آلة الحرب النازية العظمى ، غير أنه في منتصف صيف عام ١٩٣٩ بينت المعلومات المستقاة من جميع مصادرنا بشكل صحيح بأن الألمان سيهاجمون بولندة في نهاية شهر (آب) . واننا نعرف الآن من الوثائق بأن هتلر أوعز إلى قادته العسكريين يوم ٢٧ أيلول عام ١٩٣٩ أنه عازم على مهاجمة الغرب في ذلك الخريف طالما لم تكن الجيوش البريطانية والفرنسية متهيأة بعد . ولقد عين يوم البدء بالهجوم (يوم س) في ١٢ تشرين الثاني لذلك فقد أصدر أمره التوجيهي الرقم (٦) يوم (١٠) تشرين الأول بحيث احتوى هذا التوجيه على أوامر معينة للهجوم ، غير أنها كانت تؤجل بشكل لا بد منه ، كما أننا نعلم أيضاً الآن بأن خطة الهجوم الأصلية على الغرب كانت تعرف بالخطة الصفراء والتي كانت تصور القيام بالهجوم الرئيسي من الجبهة عن طريق بلجيكا وهولندا ولوكسمبرغ وكانت تجري تغييرات واسعة كلما مضت الأسابيع ، وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٠ هبطت احدى الطائرات الالمانية هبوطاً اضطرارياً في بلجيكا وهي تحمل ضابطين من الضباط الألمان اللذين كانا يحملان معهما أوامر العمليات المنقحة للخطة الصفراء إلى جحفل الجيش (ب) حول قيامه بالهجوم على الغرب .

ولقد عرفنا بعد انتهاء الحرب بأن هتلر قد وافق مباشرة بعد اقتراحات المهيب كيردفون رونشتاد قائد جحفل الجيش الالماني (آ) على اقتراحات رئيس أركانه الجنرال ايريك فون مانشتاين المتضمن نقل ثقل الهجوم الالماني إلى الجناح الالماني الأيسر ، وبذلك جرى شن هجوم كبير بالدروع على الجناح الالماني الأيسر في موقع يقع تماما شمال خط ماجينو ومن خلال غابات الآردين والذي يعرف الالمان بأن الفرنسيين يعتقدون بأن الدبابات لا يمكن أن

تسير في هذه المنطقة ثم تتقدم الدروع باتجاه الساحل وتلقي بجيوش الحلفاء المطوقة في بلجيكا إلى البحر .

وقد عرف الحلفاء بعد أن استولوا على الوثائق الموجودة على متن الطائرة الالمانية بأن لديهم على الأقل الدليل الثابت بأن هتلر انما يريد الحرب في الغرب . وأننا نعلم الآن بأن الأوامر النهائية لخطة الهجوم قد صدرت يوم ٢٤ شباط ١٩٤٠ وأن الخطة ما زالت مفتوحة متروكة إلى الالمان للتحول والقيام بالهجوم على جبهة بلجيكا الرئيسة إذا لم ينجح الهجوم في منطقة الاردين . أصبحت هذه الأمور الآن تأريخاً ، غير أن القيادة الالمانية العليا قد لعبت ورقتها باحكام .

لقد توقع ابلجيكيون بأن الجيوش الفرنسية والبريطانية ستتحرك إلى بلجيكا فوراً بعد التحذير الذي وقع بين أيديهم في شهر كانون الثاني ولكن لم تحرك بريطانيا ولا فرنسا ساكنا لهذا العمل . وكنتيجة لذلك ، بدأ البلجيكيون ، خوفاً من السقوط ، يغيرون من حيادهم إلى أقصى حد ممكن وكما أنهم رفضوا اعطاء بريطانيا أية تفاصيل عن مطاراتهم المتيسرة .

وفي بداية شهر نيسان من عام ١٩٤٠ بدأت رسائل (الاسرار فوق العادة) الرمزية تزداد ، وعلى أية حال ، كان هذا الجهاز البرونزي من الأيام الأولى من الحرب في بدايته ويعمل بشكل متقطع . وأعتقد أنه من حسن حظنا أننا حصلنا على جهاز (انيكما) كامل مع مفاتيح اشتغاله من الطائرة الالمانية الساقطة في النرويج . ثم حصلنا على نفس الجهاز فيما بعد من وحدة مخابرة الدبابات الالمانية التي اندفعت بعيدا جدا إلى الامام في معركة فرنسا ثم حصلنا على جهاز آخر في شهر مايس من عام ١٩٤١ بعد أن استولت البحرية على غواصة المانية وفيها جهاز (أنيكما) كامل ومخطط لتشغيل المفاتيح بصورة سليمة بحيث أن كل هذه الأشياء لم تعطنا فقط الطريق الصحيح إلى كثير من رسائل (أنيكما) الرمزية للبحرية والجيش والقوة الجوية ، فحسب بل انما كانت شيئا لا يثمن في مساعدة عقول الرجال العاملين في بليجلي إلى العمل

في الجهاز البرونزي المقام في تلك المنطقة . فكانت تلتقط الرسائل القليلة إلا أنها كانت مستمرة حتى أوائل عام ١٩٤٢ ، الذي تم فيه نصب جهاز آخر جديد في هذا الوقت في مكانهم الجديد المبني من الطابوق والذي حضر إليه ما يقرب من ألف شخص سري ، جسوا بأصابعهم أسرار جهاز الانيكما وحققوا فهما كاملا لجميع الرموز الالمانية .

والآن ، في شهر نيسان عام ١٩٤٠ كانت أعداد كبيرة من الرسائل الرمزية تعالج مواضيع الشؤون الادارية المحضة ، وأبقت هيئة الاركان للجيش والقوة الجوية تسلسلا دقيقا لحالة تأهب كل وحدة من القوات المسلحة وكانت تتضمن القوة الحقيقية بالنسبة للجنود والمعدات : طائرات ، دبابات ، أسلحة ، وقود وكل الموارد الأخرى .

كما ساروا على نفس النهج بأسلوب منتظم في تقديم الطلبات للتموين مثل العتاد والأدوات الاحتياطية والتعويضات بما في ذلك تعويضات الخسائر ومن المحتمل أن هيئة أركان الجيش والقوة الجوية الالمانية كان بوسعهما أن يخبرا بسرعة وبشكل مضبوط كل ما هو موجود تحت تصرفهم في أي مكان وفي أي زمن . ومن حسن حظنا أن كثيراً من هذه الرسائل المتعلقة بالبيانات الادارية كانت ترسل بواسطة رموز (الأسرار فوق العادة) وتبث على الهواء .

في الحقيقة ، يبدو كما لو أن مختلف ضباط الاعاشة قد أخبروا بأن يستخدموا البث اللاسلكي حينما يملكون وقت فراغ لاجل هذا الشيء مفضلين ذلك على مد خطوط سلكية طويلة بحيث يعرقلون خطوط الهاتف الارضية بنقل رسائل لا تتعلق بالعمليات . وهذا ما مكن موظفي خدمتنا من انجاز نظام معركة العدو بشكل دقيق جداً وقدموها إلى رؤساء أركانهم ، ان نظام المعركة هو عبارة عن وثيقة رئيسية يقوم ضباط ركن استخبارات القوات المقاتلة بتهيأتها بحيث تظهر قوة جميع التشكيلات والوحدات المشتركة في العمليات العسكرية وترتيباتها وتجهيزاتها . وإن هذه المعلومات هي التي تشكل أسس الخطط التي يتوجب منا اعدادها للقيام بعملياتنا العسكرية خلال

الحرب ، ان (الاسرار فوق العادة) كانت المسؤولة عن جميع هذه المعلومات الدقيقة تقريباً .

ولغرض البدء ، كان الأمر يتطلب وجود وحدة ارتباط خاصة واحدة مع القائد العام في فرنسا ـ اللورد غورت Lord Gort كما أنها تؤدي خدمة أيضاً إلى المستر جارلس بلونت Charles Blount قائد عناصر القوة الجوية لقوات الحملة البريطانية في فرنسا ووضع وحدة أخرى تخدم مهيب الجو « برات Barratt) قائد القوة الجوية الضاربة المتقدمة المتمركزة في مكان بعيد إلى الجنوب من مقر غورث في واشنز Wachines . ولقد تم ارسال الرائد همفري بلودن Humfary Pluvden الذي كان زميلنا في المكتب في لندن منذ التحاقي أولاً للعمل مع القائد العام ومعه جهاز لاسلكي وعدد من ضباط الصف برتبة عريف ممن يستعلمون الجفرة بينما وضعت زمرة مؤلفة من ثلاثة عرفاء لاستعمال الجفرة مع جهاز لاسلكي تحت أمرة عقيد الجو توبي لونك (Tubby Long) كما وضعت شخصاً آخر من الأصدقاء القدماء في المطار في (موكس Meaus) بالقرب من مقر (براث) الجوي ، وأنني اخترت هذا المكان لأنه يجاور مكان طائرة التجسس التي أخذتها الآن وزارة الطيران وأصبحت جزءاً رسمياً من القوة الجوية الملكية وفي المكان الذي كانت فيه طائرتي التجسسية (لوكهيد) دوما على أهبة الاقلاع السريع ، وفي المطار كانت طائرات التجسس من نوع (سبتفاير) تطير في شهر أيلول عام ١٩٤٠ على ارتفاع (٣٠) ألف قدم وهي غير مرئية لكونها مغشوشة والتي التقطت صوراً لكل المطارات في بلجيكا ، وكانت تقاليد البروتوكول تقضي بان لا تخبر أي أحد عنها حتى تنجز أعمالها التي قد تعطي بعض الأفكار التي لا معنى لها بخصوص ما يجري بين فرنسا وبريطانيا وبلجيكا في تلك الفترة .

لقد اخترت شخصين من الذين اثق بهم وكلاهما يتحليان باخلاق وصفات جيدة وذلك لارشاد آمريهم في استخدام جهاز (الاسرار فوق

العادة) استخداماً صحيحاً فإذا استخدم الجهاز بالصورة المرجوة فانه يزودهم بـأوامر العمليـات الصادرة من العـدو . وكان من الأمـور المهمة جـدا تمـامـا بـالنسبة إلى خـطة (الاسرار فـوق العادة) بـأن لا تحدث أيـة أخطاء في هـذه التجـربة العمليـة الأولى . كما أنني أدركت أن أمنيـة هذا الجهـاز قـد تتـطلب التفكير السريع .

كـان من مسؤوليتي طوال الثـلاثينـات من عـام لسنـة ١٩٣٠ أن أبقى بتماس مع مصلحة الاستخبارات السرية الفرنسيـة في باريس ، وكان نظيري في الجـانب الفرنسي هـو جـورج رونن Georges Ronin من القوة الجـويـة الفـرنسيـة يعمـل في مؤسسـة دوكسيم الفـرنسيـة (مصلحـة الاستخبـارات السرية) . زرت في شهر نيسان بـاريس حيث أنها كانت زيـارتي الأخيرة لهـا فوجدت زميلي القديم كئيباً تمامـاً ، وأخبرني بـأن معنويـات الجيش واطئة وأن النـاس كلهم يفكرون ويعتقـدون بأن السيـاسيين بـاعوهم وكـان كل النـاس متوتري الاعصاب ، ولقد اشتغلت مـع جـورج سنوات طـويلة بشكل وثيق جداً في مواضيع تتعلق بالاستخبارات ضد المانيا ولم تكن لـدى أي واحد منـا أية صورة مضللة بالنسبة إلى الخطر الذي يقف عليه الحلفاء .

عاد جـورج إلـى الخدمـة في شهر مـايس عام ١٩٤٠ وطـار إلى أن نفذ وقود طائرته ونفذ ما يحمله من القنابل .

ومن بعـد سقـوط فرنسـا ، التحق بنـاءاً على اقتـراحـاتي ، بحـكـومـة فيشي كرئيس مكتب لوزير الطيران في تلك الحكومـة وبقي على اتصـال دائم معي إلى أن التقينـا ثانيـة في الجزائـر بمناسبـة عيـد السيـد المسيـح (ع) عـام ١٩٤٢ وذلك بواسطة جهاز لاسلكي خاص وهو عمل خطير جداً .

ولقد اتهم بتهمة (التعـاون) بعد الحـرب ، غير أن تـدخلي الشخصي مع الجنرال ديغول أدت إلى تبرئته التامة وتم تعيينه ثانية كقائد القـوة الجويـة ، ومات عام ١٩٥٦ ، وكان شاباً أنيقاً جداً من الشباب الفرنسي .

وبينما كانت في باريس ، قررت زيارة مهيب الجو برات وزيارة وحدة الارتباط الخاصة التابعة لي والكائنة في مقر قيادة القوة الجوية الضاربة المتقدمة بالقرب من (موا) Meaus والواقعة شرق باريس ، ولكي أقوم بهذه الزيارة ، يتوجب علي المرور في المنطقة الفرنسية وكانت العلاقات غير ودية ، وقيل لي بأن فترة الحصول على السماح بالمرور قد تستغرق أسبوعا ومن ثم قد تكون الموافقة غير مضمونة ، فجاء (توبي لونك) إلى باريس ليراني وليأخذني معه بسيارته الخاصة من نوع (ستروين) لذلك لجأنا إلى تزويد أنفسنا ببطاقة مرور بحيث لصقنا على ورقة أنيقة جدا الختم الاحمر الكائن على عنق زجاجة الويسكي (Vat 69) وهي عبارة عن شريط أحمر اللون ووقعنا بعض التواقيع بحيث فعلت فعلتها كالسحر وانطلت هذه الحيلة عليهم ونجحنا في مرورنا .
وكنا نتعاون في عملنا إلى منتصف شهر نيسان حول معضلة جهاز الانيكما مع أحد الافراد الفرنسيين البارزين والذي يعمل في الفرقة الخلفية من بليجلي وهو العقيد فيليب جوبرت . وانني اعتقد أنه هو الشخص الوحيد الذي عرف عن نجاحنا ، وكان العقيد فيليب جوبرت Philip Joubert ضابطاً لامعاً ومخلصاً ولم تخرج منه أية اسرار بعد سقوط فرنسا من تلك الأسرار التي يعرفها .

ولقد تم رفع تقارير الاستخبارات عن دور القاصفة المنقضة مراراً وتكراراً في هذه الحرب المدرعة الخاطفة إلى وزارة الحرب ، لقد شرح لي الجنرال فون رايخناو الطريقة التي ستؤدي فيها الحرب الخاطفة عملها في روسيا في طريق العودة إلى برلين عام ١٩٣٥ . وكلانا يعرف أنه كان يشير إلى أن الحرب في الغرب أيضاً ، وكان عملهم كالقش الصغير ولكنه مفيد في الهواء الذي قذف اليه النازيون تجاه بريطانيا في محاولة مزدوجة منهم لتخويفهم وحثهم على البقاء على الحياد ، وسواء أكان ذلك بسبب عدم تصور أي فرد من القيادات العليا من الأركان العسكريين ما يصيب المرء من هلع وخوف حينما تنقض عليه القاصفة اللعينة ، لا أدري ذلك ولكن الذي أعرفه هو أن هيئتي الأركان البريطانية والفرنسية لم تأخذا موضوع الحرب في شكله

الجديد ، الذي سيضم عددا هائلا من الدبابات المسنودة بمدفعية سيارة تماما واسنادا جويا مؤثرا لذلك وجب عليهما أن يتعلما الدرس الصعب .

أظهرت الرسائل الرمزية التي تستلمها (الاسرار فوق العادة) في الاسبوعين الآخرين من شهر نيسان عام ١٩٤٠ بأنها تدل على كونها أوامر تنقل وكنا بذلك نحصل على اثباتات راسخة جدا تدلنا على أن القوة الجوية الالمانية والجيش الالماني هما في حالة تنقل إلى الحدود الغربية . وكنا لا نزال في ذلك الوقت لا نعلم أي شيء عن التعديل في الخطة الصفراء التي استولينا عليها والتي تنذرنا بأن الهجوم سيجري عبر هولندا وبلجيكا . ومع ذلك ، فانه لم يبق أدنى شك في أن جحافل الوحدات المدرعة الهائلة المتنقلة باتجاه الغرب والمسندة باسراب طائرات قاصفة منقضة ستطبق تعبية الحرب الخاطفة ، وكنا نشك فيما إذا كانت الجيوش المختلطة المؤلفة من الجيوش الهولندية والبلجيكية والفرنسية والبريطانية تتمكن من الصمود امام العمليات العسكرية العالية التنسيق والتي كان الالمان بالتأكيد يجرون تدريباتهم وممارساتهم عليها طوال عدة أشهر ، ولقد أثار انتباهي حينما علمت من احدى الرسائل الرمزية بأن الجنرال رايخناو نفسه هو قائد الجيش السادس الذي يتحشد مقابل القطاع البريطاني في خطه الدفاعي في بلجيكا . وفي غضون هذا الوقت ، لا بد وأن اللورد (غورث) كان على الأقل يعرف ماذا سيلاقي .

ولقد دلت إحدى الرسائل الرمزية عن طريق (الاسرار فوق العادة) بوضوح على مدى اتساع استخدام القوة الجوية الالمانية في العمليات المقبلة ، حيث حشد الالمان الاسطولين الجويين الالمانيين ، الاسطول الجوي الثاني بقيادة أحد الذين اعرفهم قديما وهو الجنرال كيسلرنغ والأسطول الجوي الثالث بقيادة شبيرل (Sperrle) وهما يضمان ما يزيد على ألف طائرة مقاتلة وما يقرب من (٤٠٠) طائرة قاصفة منقضة بالاضافة إلى (١٨٠٠) طائرة قاصفة بعيدة المدى وطائرات مواصلات أخرى ، وكانت هذه القوة ضعف

مجموع القوة الجوية الفرنسية والبريطانية ولا بد أن يستخدمها كيسلرنغ ، حسبما أعلم ، استخداما ينطوي على القسوة كالقسوة التي استخدمها في صعوده إلى قمة القيادة ، يبدو أنه لن تكون هناك أية رحمة وشفقة في القوة الجوية .

بدأ التوتر يسود (وايت هول) وفي مكتبي وفي الكوخ رقم (٣) في (بليجلي) كما بدأ الهياج أيضاً ، وكنت على اتصال وثيق مع المستر (همغري) وكنا آنذاك نضع اللمسات الأخيرة من العمل على الجهاز الصغير بحيث كنا نأمل أن يلعب دورا هاما في الحرب الساخنة ، ومع أن أي فرد لا يعلم ماذا سيحدث في الجو أو مقدار ما تتمكن من قراءة الجفرة .

في اليوم الأول من شهر مايس أي قبل ثمانية أيام من بدء الغزو الالماني بعث الملحق العسكري الفرنسي في سويسرا برسالة إلى المقر العام الفرنسي يخبر فيها أن الألمان سيبدأون تعرضهم بين (٨ - ١٠) من شهر مايس وسيتم الهجوم الرئيسي على سيدان ، ولا أدري ما إذا كانت هذه المعلومات وصلت إلى أنظار القائد العام أو أنها ضاعت في الاركان العامة لانني لم اسمع عنها أبدا في ذلك الوقت رغم انني كنت مهتما بالاستخبارات ، وبطبيعة الحال كانت (الاسرار فوق العادة) في وضع ساكن وهادىء تقرأ أوامر الحركات في هذه المرحلة . ومن الواضح أنه لم تكن هناك حاجة لارسال هذه الأوامر على الهواء لأن كل قائد يجب أن يعرف ما يجب عليه عمله ولا شك أنهم يستخدمون خطوط الهواتف في الميدان بأقصى طاقتها ، وبالاضافة إلى ذلك ، فقد كان الالمان على حذر تماما بابقاء الاجهزة اللاسلكية تعمل عملا اعتياديا بقدر الامكان لئلا يفشوا أي شيء ببساطة على حساب حجم الرسائل ، ويبدو أنه لم يكن هناك أي استطلاع جوي فرنسي بالرغم من تحذير ملحقهم العسكري .

وأخيراً ، كانت احدى طائراتنا التجسسية من نوع (سبت فاير) تحلق فوق القطاع الفرنسي وهي التي أخبرت عن تحشدات الدبابات الالمانية الهائلة

في منطقة الآردين وذلك يوم (٩) مايس ، ولقد أخبرني (براث Barratt) بأنه اقترح على البريطانيين القيام بعملية قصف جوي للدروع المتحشدة بعدد كبير ، لكن لم يحدث القصف أبداً لأسباب مختلفة ، والتي أجدها قلة القنابل الكبيرة الوزن التي تحدث أضرارا حقيقية .

يبدو أن القيادة الفرنسية العليا قد أهملت المكان الذي قد يحدث فيه الهجوم الالماني المدرع بالرغم من تيسر كل المعلومات وحتى حينما لاقت أخيراً الدبابات الفرنسية القائمة بالدورية الدبابات الالمانية في غابات الأردين ولم تصدر القيادة الفرنسية أوامرها للقيام بالاستطلاع الجوي ، ويبدو أنه لا يمكن أن نصدق من أن الجنرال غاملان Gamelin ، القائد العام الفرنسي كان قد خاطر بسمعته حينما قدر الموقف من أن الالمان لا يستطيعون القيام بالهجوم عن طريق الاردين ولن يهجموا منها بحيث رفض بأن يغير رأيه أو استراتيجيته ، فمن الصعب أن نقول أكثر دون أن نتهمه بالخيانة .

وقد بدت المسألة من وجهة نظر الاستخبارات من أنه قد سمح للالمان متعمداً بتحقيق النصر السريع على الرغم من أنه قام ببعض المقاومات في الشمال .

ففي يوم (١٠) مايس شن الالمان تعرضهم عبر هولندا وبلجيكا ، وكان الجنرال رايخناو يؤدي عمله بشكل جيد وكان بمقدوري أن أتصور وجهه المبتسم وندبات وجهه البارزة وقد انتفخت من جراء النصر وهو يدون قصته إلى صديقه وحاميه هتلر حيث اخبره بأنه حطم (٥٠) طائرة من طائرات بلجيكا المخصصة للعمليات وهي جاثمة على الأرض والاستيلاء على جسرين على قناة البرت Albert والمفروض انهما يشكلان الخط الدفاعي الامامي للحلفاء ، ولقد احتلت قطعاته المحمولة جوا الحصن الحيوي المسمى بحصن ابين أيميل Eben Emael والذي أُنشىء بشكل جيد ويقع على خطوط الحصون المشيدة في خط ماجينو .

كما كانت هناك تقارير من الجيش الالماني (١٩) عن التقدم في هولندا ،

ولقد اقتنع الاسطول الجوي الثاني تماما بما دمره من الطائرات الجاثمة في مطار روتردام ، وتم عبور نهر الموز وبدت هذه الأمور سيئة بالنسبة إلى الهولنديين . وتـولى السـير ونستـون شرشـل قيـادة الأمة في ذلـك اليوم بـأن أصبح رئيسـاً للوزراء ، أن ذلك اليوم المشؤوم ، أي اليوم العاشر من شهر مـايس ، الذي ظهر فيه ثقل الهجوم الرئيسي المحض الذي شنـه جحفل الجيش (ب) بقيـادة الجنرال فون بوك وهو يدفع قوات الحلفاء إلى الخلف في بلجيكا هو أيضاً ذلك اليوم الذي ظهر فيه شـروع حركـة الدبـابات الهـائلة للجنرال فـون كلايست Kleist عبـر منـطقـة الاردين ، وبحلول يـوم (١١) مــايس احتـل الحلفــاء خـطوطهم الدفـاعية المهيـأة سابقـا في بلجيكا ، وفي يـوم (١٣) مـايس أخبـر جحفل الجيش (ب) عن انتصاره على القوات الفـرنسية في معـركة الـدبابـات الواسعة لكن لم تكن هناك أية عملية اختراق ، ولقـد بدت الأمـور كأنما خط الحلفاء هو الذي يصد الهجمات الالمانية الآن غير أن الـوقوع في الشـرك بات عـلى وشك الحـدوث . ففي يـوم (١٤) مـايس أرسـل الجنـرال فـولـتر فـون براوشيش برسالة رمزية إلى الجنـرال رايخناو يخبـره فيها بمـواصلة هجومـه على طول جبهة الجيش السادس، غير أن الأخبار وردت يوم (١٥) مـايس من أن الهجوم المدرع العظيم في سيدان قد أحدث اختراقا للمواضع الدفاعية .

لم يكن هذا أمراً مفاجئاً لأنظار أولئك الأشخـاص المتعبين الجـالسين في مكتبنا في لندن وهم يتمتعون بمنظر الأرض الخضراء والورود في ساحة سـانت جمس Stjames إذ أننـا بعد أن شـاهدنـا العدد الهـائل من الـدروع بـواسـطة طائراتنا التجسسية لم يعد بامكاننا إلا الانتظار .

وبسبب قوة الاختراق التي أحدثتها الدروع ، أصدر قائد قوات الحلفاء في الشمال الفونس جـورجز Alphonse Georges أوامـره بالقيـام بانسحـاب عام ، غير أن الأمر لم يصل أبداً لبعض الأسباب إلى يد الجنرال غـورت حتى صباح اليوم الثاني أي يوم (١٦) مـايس وهذا المـوقف هو الـذي حدا بـالمستر شرشل إلى أن يطير إلى باريس يوم (١٦) مايس لايقـاف التفسخ الـذي يبدوا

أنه سيحل بالقادة الفرنسيين .

وكـان لدينـا في ذلك الوقت خطٌ هاتفي مباشر مـن مكتبنـا في لندن إلى المستر (بيل دوندرديل Bill Dunderdale) أحد رجالنا في باريس وأنني كنت قد وعدت مقـر رئاسـة الوزراء في داوننـك ستريت بـانني سابعث إلى المسـتر شرشل كل رسالـة مهمة تـرد عن طريق (الاسـرار فوق العـادة) طوال مـدة وجوده هناك . ولم ترق للمستر شـرشل الأوضـاع في هيئة الاركـان الفرنسيـة العامة ممـا حدا بـه أن يطير إلى لنـدن حالا ، ولكي تـزداد متاعبنـا سوءاً فقد استلمنا رسالـة رمزيـة من (الاسرار فـوق العادة) يـوم (١٦) مايس تتضمن صدور الأوامر إلى الفيلق المدرع بأسره بالحركة نحو الجنوب من جبهة بلجيكا ليشتـرك في الاختراق الحـاصل في سيـدان . وقد أراح هـذا العمل بـالتأكيـد الجبهة البريطانية ، ورفع عن كاهلها الضغط لكنها لم تعـطنا المؤاسـاة لمستقبل مقاومة الحلفاء في الطرف البعيد في الجنوب .

كان الموقف متوترا جدا ولم تساعدنا الرسالة الواردة من الجنرال هولـدر رئيس هيئة الاركان الالمانية العامة والمعنونة إلى الجنـرال فون بـوك الذي كـان يقود جحفل الجيش المواجه للقوات البريطانية والتي تأمره بأن (يكبح جماحه) ازاء قوات الحلفاء المنسجمة ، كانت الرسالة محيرة ، وبدت لنا كـأنها مغلوطة على ضوء الأوامر السابقة إلى الجنرال رايخناو .

بدت الرسالة من وجهة نظر الاستخبـارات المحصنة كـما لو أن الالمـان أرادوا ابقاء الجيش البريطاني في شمال بلجيكـا ، وقد اثبتت الأحـداث بأنهم كانوا يريدون ذلك ، لأنه يتوجب علينا أن نعرف في الحال ، بـأنهم انما أرادوا تطويقنا .

وفي يـوم (١٩) مايس عبـر الالمان نهر شيلدت SeheIdt في انتـرفيـرب وفي اليوم نفسه طرد الجنرال غاملان من منصبه كقائـد عام للجيش الفـرنسي وحل محله الجنرال ماكسيم ويغان Maxime Waygand .

وفي صباح يوم (٢٣) مايس التقطنا رسالة مهمة جدا من الجنرال فون براوشيش في القيادة العليا للجيش الالماني عن طريق (الاسرار فوق العادة) وفككنا رموزها .

ولقد كان الجنرال براوشيش نفسه هو القادر على التصور الشامل لما عليه الحلفاء من فوضى وارتباك وهو الذي أصدر الرسالة الرمزية يأمر فيها جحفلي الجيشين (بالاستمرار على حركة التطويق باقصى ما يمكن من الشدة) فاستوجب بأن يتجه جحفل جيش الجنرال رونشتاد نحو الشمال بسرعة باتجاه أوستين Ostende بينما يجب على جحفل الجيش (ب) أن يتجه بشكل دائري يتماشى مع جحفل الجيش (أ) المواجه للشمال . وهكذا ، هنا أخيراً يتم انجاز خطة المنجل التي وافق عليها هتلر في النهاية قبل ثلاثة أشهر ، وكانت هذه الاشارة التي قرر فيها الجنرال غورت والمستر شرشل بأن الوقت قد حان للخروج من فرنسا . ويبدو أن الجنرال رونشتاد لم يكن واثقا بنفس ثقة الجنرال براوشيش وأنه من حسن حظنا أنه لم يلعب هذه اللعبة . فبدلا من ذلك فقد قرر بشكل واضح أن يتوقف فترة من الزمن ويعيد تجحفل فرقة المدرعة .

ومن المحتمل أنه لم يبلغ الجنرال براوشيش فورا عما يفعله بحيث أن الجنرال براوشيش أصدر أوامر أخرى من بعد ذلك اليوم إلى الجنرال كونتر فون كلوغة قائد الجيش الرابع بأن ينقل الجيش الرابع من قيادة الجنرال رونشتاد ويصبح تحت قيادة جحفل الجيش (ب) الكائن في الطرف الشمالي البعيد .

لم تكن هذه الرسالة الرمزية المتلقطة عن طريق (الاسرار فوق العادة) بذات مغزى وأهمية لنا ، لانها كانت عبارة عن تنقل قيادة جرت بشكل واضح لغرض تنسيق أفضل لحركة التطويق ، لكن ، كانت نتائج الامرين الصادرة من الجنرال براوشين والمستلمتين من قبلنا شيئا مثيرا جدا . وعلى أية حال ، فاننا عرفنا من بعد انتهاء الحرب بأن هتلر كان موجودا في مقر قيادة

الجنرال فون رونشتاد في ذلك الوقت وأنه لم يلغ فقط أوامر الجنرال بـراوشيش المتضمنة نقل جيش الجنرال كلوغة فحسب بل انما أصـدر امرا أيضـا بايقـاف تقدم جميع الدروع إلى أن يقرر هو نفسه وجوب تقدمها .

ولقد أخبرني الجنرال غورت فيما بعد بأن أولى رسائل الجنرال براوشيش هي التي أثرت على قراره بالاسراع نحو البحر بأسرع ما يمكن لأنـه عرف أنـه إذا ما تم تدمير قوات الحملة البـريطانيـة أو أسرهـا فلن يبقى هناك أي شيء يحـول دون احتـلال النـازيـين لبـريـطانيـا ، إذا مـا تمكنـوا من عبـور القنـال الانكليزي وبهذا فانه يعتبر الجندي الوحيد الكـامل الادراك الـذي صمم على انقاذ حياة جنوده وربما حياة بلده من الخطر الذي يهدد العالم الغربي بأسره .

أما بالنسبة إلى المستر شرشل فان رسائل الجنرال بـراوشيش انما كـانت علامة من أجل تشريع عملية (دنيامو) وتحشيد السفن القليلة إلى دانكرك .

ولقد عرفنا من (الاسرار فـوق العادة) بـأن الجنرال بـراوشيش لم يكن (يخـادع) وأن حقيقـة هي أن الاشخـاص الآخـرين اقتنعـوا الآن بـواســطة (الاسرار فوق العادة) بالاخـطار التي كانت في غـاية الاهميـة انما هي عـامل جديد في ادارة الحرب .

ومهـما كانت مشـاعر ويغـان الحقيقية في هـذه الفترة الحـاسمـة لاخبـار البريطانيـين بأن الجيش السـابع المعـاد تشكيله سيشن هجومـه باتجـاه الشمال لعزل القوات الالمانية المدرعة ويطلب من البريطانيين أن يشنوا هجومهم باتجاه الجنوب ، ما هو الا أحسن افتراض لكونه على جهل تـام بالنسبـة إلى الموقف الحقيقي . وهناك من يقول بانها كانت حركة الغرض منها لوم البريطانيين على اندحار فرنسا طالما أنه من الواضح جـداً بأن الجنرال غـورث لم يجازف ويقـوم بشن هجـوم من الشمال في هـذا الوقت المتـأخر ولـو أقدم عـلى هـذا العمـل لاصبحت قوات الحملة البريطانية مطوقة من دون شك .

كان الجنرال رونشتاد رجلا عاقلا حيث تمكن من إبقاء الجيش البريطاني

والبلجيكي في المكان الذي يريده وكان يعرف أنـه يتمكن من معالجـة الجيش الفرنسي الذي سادته الفوضى فيما بعد ، وأنه بنـاءا على أوامـر هتلر من دون شك أوقف أوامر الجنرال براوشش المتضمنة التقدم نحو البحر لتـدمير الجيش البريطاني وعوضا عن ذلك فقد أعاد تجحفل دروعـه بحيث يتمكن من مجابهـة أي هجوم غير محتمل يشنه الفرنسيون على جناح من الجنوب بينما تمكن بهـدوء من عزل البريطانيين على ساحل القنال .

كـان الجنرال غـورت يعلم تمامـا بأن الجيـوش الفرنسيـة هي في موقف سيىء بحيث لا تتمكن من القيام بالهجوم الذي يحلم به الجنرال ويغان ، غير أن أولئك الاشخاص الذين لا يعلمون شيئا كما تعلمه (الاسرار فوق العادة) في لنـدن ، يبدون كـأنهم في حالـة كالحـالة التي حـدثت في سنة ١٩١٤ وهي (معجزة مارن) ، وأما أولئك الاشخاص الذين يمكنهم قـراءة الحقائق فـانهم يعرفون ما يجب عمله بكل سرعة . ويبدو أن اخفاق الجيش الالماني في أكمال مكاسبه لا يتلاءم مع خصائص هتلر ، فكما يبدو أن هناك أمـراً ما اكـثر وراء ذلك، آنذاك، اعتقدت بانني أعـرف أن وراء أي شيء يجري ذلـك (الرجـل التـافه) اذ انني منـذ أن التقيت لأول مرة مـع هتلر في سنة ١٩٣٤ ، شعـرت بـأن رغبته البـائسة من أجـل السلام مـع بريـطانيا انمـا هي ليست بخدعـة ، وعرفت أنه فوق كل ذلك يخشى حقيقة البريطانيـين كاعـداء ، والآن بعد أن انتهت فرنسا حقيقة ، فانه أراد بشكل واضح السلام في الغرب قبل أن يبـدأ في المهمة العظيمـة التي ملكت روحه ـ فيـما إذا كانت لـه مهمة واحـدة ـ تلك هي القضـاء على روسيـا الشيوعيـة ، وانني اعتقدت بـأنه تـرك قـوات الحملة البريطانية عن عمد لكي تذهب إلى الوطن ، ولم يصـدر هتلر ، على مـا نعلم أية أوامر أخرى أبدا إلى دباباته بالتقدم ، ولقد أصبحت الحـرب ضد انكلتـرا تتأرجح في هـذه الفترة من الصـراع العسكري إلى الصـراع السياسي ، وأنـا شخصيـا شعرت بكـل تأكيـد بأن هتلر كـان قد نـاقش بأنـه إذا جعل قـوات الحملة البريطانيا تقبع في معسكرات أسرى الحرب فلا بـد وأن تصبح مصـدر

ألم مستمر وقد تعرض السلام تماما للخطر ، ذلك السلام الذي كان يعتقد أنه يمكن أن يحصل من بريطانيا ، ولقد حصل اللورد غورت على فرصة تنفس فيها الصعداء ، تلك الفرصة التي كان يحتاجها والتي أدت تماما إلى وصول قوات الحملة البريطانية إلى سواحل دانكرك ، واعتقد دون أن أحط من قدر أحداث دانكرك البطولية بأن هتلر لو أرخى الحبل لجيوشه وقواته الجوية المنتعشة بنشوة النصر لكانت الفرصة نادرة للسفن الصغيرة بأن تأخذ الجنود معها ، فهل أتاح هتلر لقوات الحملة البريطانية بالعودة إلى بلادهم بعد أن جردهم من أسلحتهم ؟

واننا نعلم الآن بأن هتلر القى خطابا على أركانه العسكريين في فرنسا مباشرة . بعد أن أمر دباباته بأن تتوقف عن التقدم والاقتراب من العدو ، وحسبما يقول أحد الجنرالات الالمان كان حاضرا آنذاك بأن هتلر أخبرهم بالضبط ما سبق وأنه أخبرني به عام ١٩٣٤ بأن من الضروري وجوب بقاء المدنية العظيمة التي حملتها بريطانيا إلى العالم وأن كل ما يريده من بريطانيا هو أن تقدر هي وتعترف بمركز المانيا في القارة الأوروبية . ثم واصل قائلا بأن غايته كانت احلال السلام مع بريطانيا على أسس تعتبرها هي منسجمة مع شرفها بحيث ترضى بها ، ولقد رفضت جميع جهوده حسبما نعلم ، وهذه المرة لم يقدر كليا طبيعة الشعب البريطاني .

الباب الخامس

فصل اضافي

إنني أعتقد أن كلا من السياسيين وهيئة الأركان العامة قد استخدمت الاستخبارات بالحد الأدنى وذلك خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٣٤ وبين فترة سقوط فرنسا ، ومن حسن الحظ أن تجتاز (الأسرار فوق العادة) اختبارها الأول في معركة فرنسا بجدارة ، لقد أظهرت لنا (الأسرار فوق العادة) كما كنا نشك ، بأنها ستصبح حلقة الوصل بين هتلر وبين القيادات العليا في القوات المسلحة ، ولقد وضع الكوخ رقم (٣) يده على الموضوع بحماس هائل وبدا الآن كما لو أنه سيكون في قلب الحرب الحقيقية .

ولكما تقدمت الحرب كلما أصبح بمقدور همفري الذي درس خطابات هتلر العديدة في ألمانيا في الثلاثينات أن يعرف أسلوب تعبيره بشكل جيد بحيث كانت تراجم رسائله الرمزية المهمة صحيحة للغاية . وإنني أطلقت على جماعته ـ الكوخ رقم (٣) ـ اسم القيادة الألمانية العليا في الظل .

وأنا أيضا شعرت كأنما ستردني رسالة من شخص ما أعرفه وتمكنت بواسطة الرسائل الرمزية أن أجمع الشيء القليل من المعلومات فيما وراء الكلمات . وإنني لا استطيع الاشارة هنا إلى أكثر من نسبة صغيرة من رسائل (الأسرار فوق العادة) الرمزية المهمة جداً والتي مرت بواسطة مكتبي خلال الحرب والتي أعادوا عدداً كبيراً منها لي وعليها ملاحظات المستر ونستون شرشل يخط أنيق بالحبر الأحمر ، كما أنني لا أستطيع أن اقتبس أوامر هتلر

المطلوبة ذات المواضيع المختلفة أحيانا والتي انغمس هتلر بها لأنها بقيت في صناديق مقفلة السراديب ـ وايت هول ـ ولكنني حاولت أن أدخل في هذا الكتاب الرسائل الرمزية التي احتفظ بها في ذاكرتي وأحاول أن أعيد إلى ذاكرتي اللحظات التي تمكنا ونجحنا فيها في حل الرسالة الرمزية التي غيرت مجرى الحرب .

وفي خلال معركة فرنسا بدأت المخابرات الرمزية على نمط رسائل (الأسرار فوق العادة) بالظهور ، واتضح لنا بأن الألمان اتبعوا تقليداً ثابتا وهو أن يرسل جميع قادة الجيوش وقادة جحافل الجيوش تقارير الموقف إلى قيادة الجيش العامة أو إلى القيادة العليا يومياً وكانت تقارير الموقف هذه تؤكد لنا ما كنا نعرفه من قبل ، وعلى أية حال ، فانها كانت تمكن قادتنا في الميدان من تدقيق المعلومات الخاصة بهم وتتيح المجال أيضاً ، كلما تطورت الحرب ، لرئيس الوزراء ورؤساء الأركان في لندن من تقييم الموقف الكلي .

وفي بداية شهر آب ، حينما حمي وطيس معركة برطانيا ، تأثر المستر وينستون شرشل بشكل واضح بالرسائل الرمزية التي كان قد استلمها خلال معركة فرنسا وبذلك طلب الآن بأن يتم ارسال كل رسالة رمزية مهمة يتم حل رموزها إلى مقر رئاسة الوزراء في (داوننك ستريت) على أن يتم تدوين الملاحظات عن أهمية الرسالة وسبب هذه الأهمية ، وطلب مني المستر منزيز بأن يكون هذا العمل من مسؤوليتي وكانت هذه المسؤولية من أحب الأعمال التي اضطلعت بها ، وأخيراً انظمت الكوخ رقم (٣) القيادة ألمانية العليا في الظل وتطلب الأمر مني أن أسهر على طلبات رئيس الوزراء .

وأدركت أن ذلك يتطلب مني أن أنصب مواصلات كفوءة مع الكوخ رقم (٣) وكانوا لحد هذا اليوم يبعثون الرسائل التي تلتقطها (الأسرار فوق العادة) بواسطة الطريق أو إن كانت مهمة جدا بواسطة الهاتف . وأما الآن فانني أدخلت استعمال الطابعة البرقية وبامكانها الحصول على الرسائل الرمزية مباشرة من الكوخ رقم (٣) حالما يتم تحريرها .

وإن وضع العناوين عليها ، كما سميتهـا ، كان عمـلا صعباً جـداً لأنه يـطلب مني أن أتذكـر دوماً بـأن رؤساء الأركـان سيحصلون عـلى الـرسـائـل الـرمزيـة وأنهم سيبدون مـلاحظتهم إلى رئيس الـوزراء عن محتويـاتها ، ومـع ذلك ، فانني تمكنت حسبما أظن من بيان درجة أهميتها وسرعتها دون أن يؤثر ذلك على أي فرد ، وعلى أيـة حال فقـد عرف رئيس الـوزراء في مدة قصيـرة جدا وبشكل صحيح ما تحتويه من إمعان .

وحينما يكون رئيس الوزراء في لندن ، اعتدت على ارسال رسائل رمزية مختـارة اليـه وأصفهـا في صنـدوق أحمـر اللون بعنـوان رقم (١٠) داوننـك ستريت ، ثم بعد ذلـك ، وكلما تطورت معـركة بـريطانيـا ، كنت ابعث هذه الـرسـائـل بعنوان الغـرف الكـائنـة تحت الأرض والـواقعـة في اسفـل طـوابق المدخل . أما إذا كان هناك شيء مستعجل جداً فكنت اتصل بواسطة الهاتف مع سكرتيره الخاص ثم ابعث الرسالة اليه فوراً .

وإذا كانت الحالة في بليجلي حسنه كنت انام في مكتبي بحيث أستـطيع أن ابعث الـرسـائـل التي حصلنا عليهـا طوال الليـل اليه في السـاعة السـابعة والنصف صباحاً وهو الوقت الذي يجب أن يقرأ فيه الأوراق في غرفـة نومـه ، وكان هذا العمل عادة من واجب الجنرال السير هيستنكس اسماي Hastings Ismay لذلك كنت أتصل به هاتفيا ليكـون على علم بـذلك . وقـررت اتباع نصيحة المرحوم اللواء البحري السير هاك سنكلير Hug Sinclair عملا وقائيـا حكيماً وهي « يجب أن لا يفاجأ الملك ورؤساء الوزراء أبداً » .

كان المستر شـرشل يـذهب بشكل اعتيـادي إلى جيكرز Chequers في كل نهاية أسبـوع . فإذا كـانت هناك أيـة رسالـة يجب أن يطلع عليهـا حسبما اعتقد ، كنت اتصل به هاتفيا وأقرأها له . وفي البداية كانت تنتابني العصبيـة ثم اعتدت في الحال عـلى اتباع أسلوبي المعتـاد عليه . وحـالما يتكلم سكـرتيره الخاص معي ، يعرف صوتي ويخبره إذا كان رئيس الوزراء مـوجوداً في الحـال ثم تكـون هناك فتـرة صمت حتى استمع في الـطرف الآخر من الهـاتف لهاث

رئيس الوزراء وعندها اعرفه بنفسي ثم أبدأ بقراءة الرسالة ، أما أمسيات يوم السبت فتكون صعبة لأنه اعتاد أن يشاهد من بعد تناوله العشاء فيلما سينمائيا (كهتلر) وتدوم المشاهدة عادة حتى الساعة الثانية من صباح يوم الأحد وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يرتاح فيها من عناء العمل ، لذلك ، ليس من الصواب الاتصال به هاتفيا قبل انتهاء الفيلم .

وعند ذاك أذهب وأنام على سريري السفري في مكتبي وأطلب من الضابط في القوة الجوية النسائية الثانوية بأن توقظني في الساعة الواحدة والنصف صباحاً وتجلب معها جميع الرسائل الرمزية المتأخرة في الليل . وتمنح لي هذه الطريقة الوقت الكافي لقراءة هذه الرسائل بامعان وأختار منها تلك التي أريد أن أقرأها له بالهاتف ثم احفظها عن ظهر قلب تماما قبل أن أقوم بقراءتها له ، وبهذا العمل لن تقع أية أخطاء عند اداء الواجب .

ولا بد وأن تكون هناك أحيانا كلما تقدمت الحرب خطابات سياسية طويلة يلقيها هتلر إلى حكامه في امبراطوريته الجديدة فتثير هذه الخطابات اهتمام المستر شرشل ويطلب مني قراءتها مرة أخرى على مسامع وزير آخر يقضي عطلة نهاية الاسبوع معه في جيكرز . وقد اتلقى منه أحياناً أخرى كلمة (أشكرك) ولكن على المرء أن ينتظر دوما لأنه غالبا ما يتأمل رئيس الوزراء بالرسالة ويفكر فيها بذهنه ثم يعود إلى الهاتف ويصدر أمره بالشروع بعمل ما مع الوزارة التي يعنيها الأمر . وكان رئيس الوزراء لطيفا دائما ، وكانت هناك أوقات يكون فيها رئيس الوزراء خارج الوطن لحضور المؤتمرات فيتطلب الأمر مني عند ذاك أن أذهب إلى الغرفة الكائنة تحت طوابق المدخل لأجلب له أحدث ما يكون من معلومات (الأسرار فوق العادة) عن نواح معينة .

وبحلول شهر آب من سنة ١٩٤٠ زالت من مخيلة المستر شرشل كل الأفكار المتصورة سابقا والمستندة على الحرب العالمية الأولى أعوام ١٩١٤ - ١٩١٨ . ولا أدري هل كان لا يتفق كليا مع رؤساء أركانه ، إن الشيء

الذي أعرفه بالتأكيد هو أنه بدأ يدير دفة الحرب بنفسه و (الأسرار فوق العادة) بيده ولم يتوقف عن مثل هذا العمل حتى نهاية عام **١٩٤٢** .



الباب السادس

معركة بريطانيا

كان هتلر يكره البحر ، ولا أدري هل كان خوفه منه بسبب أن لا يرى الناس بأنه مصاب بدوار البحر أو أنه مصاب حقيقة بالخوف المرضي من الماء ، وحينما كنت في لوبيك Lubeck في سنة ١٩٣٦ ، اصطحبني روزنبرغ كضيف في تمرين قصير تقوم به مدمرتان من البحرية الألمانية الجديدة ، وكان مطلوب منه أن ينوب عن هتلر الذي وجد له بعض الأعذار لئلا يذهب إلى البحر ، وأعتقد أن هذا الشيء قد يكون تماماً أحد الأسباب الذي جعله لا يتحمس حقيقة للقيام بغزو بريطانيا ، كما أن قادته العسكريين لم يتدربوا أيضا على فن الغزو عبر البحار وقد أمضوا أوقاتهم في التدريب والتعليم على كيفية الدفاع عن الأنهر أو في كيفية عبورها غير أن عمليات عبور الأنهر ليست كعبور البحار ، وفي شهر تموز ١٩٤٠ ، حينما لم تظهر أية استجابة إلى عروض هتلر السلمية من لدن بريطانيا ، تلك العروض التي كان يثق تماماً بأنها ستكون مقبولة من قبل بريطانيا وجد هتلر أن الغزو والاحتلال انما هو الحل الوحيد لاخراجنا من الحرب واتاحة الفرصة لألمانيا بتركيز جميع طاقاتها وقوتها من أجل التغلب على روسيا ، والشيء الذي عرفناه من بعد الحرب هو أن الشخص الوحيد المتحمس للتغلب كان (غورنغ) الذي جادل قائلا بأن القوة الجوية الألمانية وحدها ستجبر بريطانيا على الاستسلام . وأدى هذا العمل إلى أن يكون الغزو بحرا أمرا غير ضروري . وبينما بقيت بريطانيا تنتظر الغزو ، كنا نحن في مصلحة الاستخابارات السرية نعتقد بأن القيادة

الألمانية العليا لن تحاول القيام بعبور البحر طالما لا تزال القوة الجوية الملكية قائمة بعملياتها العسكرية ولذلك أراد الألمان بأن تكون السيادة الجوية التامة بايديهم ليس من أجل عمليات النقل الجوي الهائلة والدفاع عن قواتهم المحمولة بحرا في أسطولهم البحري فحسب بل انما أيضا التأكد من عدم قيام السفن البريطانية بعملها في القنال الانكليزي .

وبعد سقوط فرنسا ، كانت هناك فترة قصيرة من الزمن ، هدأ فيها التقاط الرسائل الرمزية ، وكانت الرسائل التي فككنا رموزها تحتوي على معلومات تتعلق بترتيبات القطعات والمقرات لأغراض احتلالية في فرنسا ولم تكن ذات أهمية كبيرة بالنسبة لنا في ذلك الوقت . ولم تدم هذه الفترة طويلا على أية حال ، إلا أن الرسائل الرمزية المتعلقة بالقوة الجوية الألمانية بدأت بالظهور بشكل متزايد مرة أخرى وبدأنا الآن ننظر اليها بصورة جدية وخطرة ، ففي منتصف شهر تموز أعطتنا (الأسرار فوق العادة) الرسالة الرمزية التي كنا جميعاً ننتظرها .

إذ أنها كانت صادرة بشكل واضح في غاية من السرية من مقر هتلر إلى القادة العامين للجيش والبحرية والقوة الجوية ، وعلى أية حال ، فقد بث غورنغ جوهر هذه الرسالة بالجهاز إلى قادة اساطيله الجوية ، وقد بين في رسالته بأن انكلترا لم تظهر أية علامة بخصوص قبولها لعقد الصلح بالرغم من موقفها العسكري اليائس ، لذلك قرر هتلر التهيؤ والقيام بعملية انزال ضد انكلترا اذا دعت الضرورة ، وأن الغاية من العملية هي ازالة انكلترا من الوجود كقاعدة يمكن مواصلة الحرب منها ضد ألمانيا ، وإذا اقتضى الأمر ، احتلالها احتلالا كاملا ، وستسمى هذه العملية بـ (أسد البحر) .

أرسلت هذه الرسالة في الحال إلى رئيس الوزراء وكان قد جرى استعمال كلمة (أسد البحر) لأول مرة وسهلت علينا الآن أعمالنا لكي نعرف كل الفعاليات المتعلقة بخطة الغزو ، ولقد كانت هذه الرسالة بالتأكيد السبب الذي دعا بالمستر شرشل لأن يلقي خطابه الشهير ويقول للألمان بأننا

سنحاربهم على شواطئنا وفي كل مكان آخر .

وفي هـذا الوقت كـان خط الاتصال بـالطابعـة البرقيـة من الكوخ رقم (٣) يؤدي عمله بشكـل جيد وحصلنـا في الحال عـلى قطع من الأوراق من جميـع الأشكال والأحجـام وهي الآن أوراق أنيقـة حجمهـا (٧ × ٩) عقـدة ودُوِّن في أعلى الورقة ، كلمة (الأسرار فوق العادة) بحروف بارزة حمراء .

وكان غورنغ في ألمانيا رجل الساعة فـاستغل كـل وقته وأخـذ يبدد كـل ثقله الواسع بحيث كانت احدى نتائجها أنه أخذ يبعث برسائـل رمزيـة كثيرة وسرعان ما عرفنا منه أنه أمر بانفتاح الاسطولين الجـويين الثـاني والثالث عـلى طـول ساحـل القنال . وأمـا الأسطول الجـوي الخامس فعليـه أن يتوزع بـين النرويج والدنمارك . وكانت (الأسرار فوق العـادة) تعطينـا الإطار الـرئيسي وتفصيلات كثيرة أيضاً حقيقة ، لذلك فقد أصبح بـامكان وزارة الـطيران أن تحصل الآن على نظام المعركة الصحيح فعلا لهذه الأساطيل الجوية الألمانية بمـا في ذلـك المـطارات التي تتمـركـز فيهـا مختلف الـوحـدات . وأخـذت مختلف الأسـراب الجويـة تبعث برسـائل ذات مستـوى واطىء وعرفنـا منها بـأن هذه الوحدات هي ليست بعيـدة فبامكـاننا أن نضـع اشارة الضـرب على مـواقعها الصحيحة . كما أننا عرفنـا من (الأسرار فـوق العادة) بـأنهم بدأوا فعـاليات محمـومة لغـرض ايصال الأسـراب إلى أقصى قوتهـا غـير أن ذلـك من واجب منـظومات التجهيـز والتصليح المفتقـرة إلى العمل بحيث أن عـدد الـطائـرات الصالحة للعمل لا تزال بمقدار ٧٥٪ من القوة الكاملة .

وعليـه ، فمن الممكن التقديـر بأن بـريطانيـا تواجـه قوة من الـورق ما يقرب (٣٠٠٠) طائرة منها (١٨٠٠) طائرة قاصفة فربما سيكون ثلاثة أرباع هذا العدد من الطائرات صالحاً للعمل في كل مرة. وإذا ما تجـاوزت الخسائـر التعويضات فستهبط نسبة الطائرات الصالحة للعمل بشكل واضح .

ولقد بدا أكيـدا من المعلومات المستقـاة من مصادر سـرية مختلفـة بما في ذلـك معلوماتي الشخصيـة من ايـرخ كـوخ Erich Koch بـان هتلر سيهـاجم

روسيا في الشرق في ربيع سنة ١٩٤١ وإذا أراد أن يتخلص من عملية (أسد البحر) في الوقت المحدد لكي يعيد انفتاح قواته الرئيسة في الشرق ، عليه أن يبدأ غزوه في منتصف شهر أيلول تقريبا وأن لا يتجاوز ذلك وأن هذا الوقت لم يكن كافيا .

كان أحد أوامر غورنغ إلى ناقلات الجنود بأن يمارسوا النزول على مدرج ضيق يشبه الطرق ، فبدأت وزارة الطيران بانشاء الحواجز وأبقتها جاهزة على طول الطرق المستقيمة الطويلة الكائنة في الجنوب ، وكنت على اتصال دائم مع عميد الجو كيري بلاكفورد Gerry Blackford في مديرية الخطط في وزارة الطيران الذي كان ينظم التدابير المضادة الممكن اتخاذها إزاء كل الأعمال المحمولة جوا ، وكانت هناك قصص جديدة عن تنكر الرتل الخامس وخداعه يرتديها المظليون الألمان في فرنسا ، لذلك فتحنا عيوننا على جميع الرسائل الرمزية للقوة الجوية الألمانية .

كانت القوات الرئيسية للمظليين تريد أن تتمركز بالقرب من المطارات الكبيرة في بلجيكا وهولندا ثم علمنا من احدى الرسائل المهمة من أوامر هتلر إلى الجيش الألماني والقوة الجوية الألمانية حول اقامة محطات خاصة للتحميل السريع للطائرات واعادة الرحلة . وهذه بالطبع أكدت وجهة نظرنا حول صورة الدفعات الجوية السريعة من المؤن والأسلحة عبر القنال الانكليزي بالاضافة إلى قطعات المظليين .

ولقد وضعوا ضابطا من القوة الجوية الألمانية برتبة كبيرة ليكون مسؤولا عن جميع عمليات التحميل الجوي .

وكانت هناك رسائل رمزية في نهاية شهر تموز تظهر الخلاف بين الجيش والبحرية بالنسبة إلى كيفية مواجهة الاحتياج الهائل من السفن لنقل القطعات المحمولة بحرا وكلنا كنا نستلم الآن رسائل رمزية من (الأسرار فوق العادة) كلها تدل بوضوح بأن التأكيد الرئيس كان لا يزال يقع على عمليات القوة الجوية الألمانية .

وبامكاننا أن نخمن تماما ، من الأساطيل الجوية الهائلة الموزعة إزاءنا ومن عدم الاستعمال الواضح مقرونة بعدم قدرة الجيش الألماني والبحرية الألمانية على التعاون ، بأن المعركة الجوية ستكون العامل الحاسم ، وكان ذلك علامة مشجعة ، وأعتقد بأن كل الأفراد بما فيهم رئيس الوزراء كان يشعر بأننا إذا تمكنا من الصمود إزاء جهود غورنغ في إزالة القوة الجوية الملكية فلا بد وأن يتخلى هتلر من فكرة الغزو تماما . وكانت رسالة غورنغ الثانية إلى القوة الجوية يوم (١) آب عام ١٩٤٠ تؤكد وجهة النظر هذه لأنه أمر القوة الجوية الألمانية بأن تتغلب على القوة الجوية الملكية بجميع الوسائل المتيسرة تحت تصرفها بأسرع ما يمكن ، وأخيرا نال غورنغ العظيم حصته فوجب أن تكون أحلامه التي يصبح فيها الزعيم الثاني للأمبراطورية الألمانية العظيمة بالتأكيد صحيحة . وستكون أساطيله الجوية مصدر خوف في كل العالم وهو على العكس من هتلر لا يخاف بريطانيا أو يعجب بها وكان يتظاهر بالعجرفة والكبرياء في المناسبات القليلة التي التقيت به ما عدا مرة واحدة حينما التصق بمدخل بار صغير في نورمبرغ ولم يسعفه من موقفه هذا الا فكرة طارئة جاءت إلى زميلي وهي أن يفتح النصف الآخر من الباب وبذلك صانه من الأذى ولو أنه لم يصن حيرته ، وأنني أعرف بأن غورنغ لم يكن منسجما مع روزنبرغ والذي اعتبره شخصا حالما لا فائدة فيه ، ووجب على غورنغ الآن أن يجرب حظه في أن يسترد نفسه من الانحدار في الحرب العالمية الأولى حينما كان معاونا في سرب المقاتلات رايختوفن المتحطم .

ويبدو أن عملية أسد البحر ستسحق لأن الكوخ رقم (٣) قد قوى مركزه بجلب مترجمين من القوة الجوية الملكية ومن المدنيين ، ويجب أن تتذكر أن جهاز (الانيكما) لحل الجفرة هو أعلى درجة من أجهزة حل الجفرة لذلك فان الكوخ رقم (٣) لا يشغل نفسه في الرسائل الرمزية الهائلة العدد من المستوى الواطىء أو في الجفرة التي تستخدمها مصلحة الأمن الألمانية مع شبكة الجاسوسية الألمانية في بريطانيا والتي بدأت الآن تشكل نفسها في البث

اللاسلكي .

وفي شهر آب أيضا بدأت المراكب تزداد وأصبح من الواضح أنـه إذا ما أعقبت الغزو البحري معركة جوية فانه يتطلب عند ذاك تهيأة أعداد هائلة من وسائط النقل البحرية ، كما أصبح واضحا أيضا من (الأسـرار فوق العـادة) بأن للجيش الألماني أراء ضئيلة فيـما يجب إستخدامـه حقيقة في عمليـة برمـائية كبيرة ، ولقد كانت البحرية الألمانيـة قد رتبت المـراكب الكبيرة التي تعمـل في أنهر القـارة الأوروبية من المـراكب الكبيرة ذات الـدفع الـذاتي العـاملة في نهر الراين إلى مراكب صغيرة يتم ربط (٣ ـ ٤) منها لتجرها قـاطرة قـوية تعمـل على الغالب في الأنهر الفرنسية والبلجيكية وفي القنوات .

لكنهم سرعان ما اكتشفوا بأن هذه المراكب لا تكفي وأظهرت الرسائـل التي التقطتها (الأسرار فوق العادة) عن وجود بحث جنـونـي لتأمـين السفن من جميـع الأنواع في ألمـانيا وهـولندا وبلجيكـا وفرنسـا ، وحالما بـدأت هـذه المراكب بالتجمع ، وجدوا أن عددا قليلا منها ذاتية الدفع لذلك كـانت هناك رسالة رمزية أخرى استلمتها (الأسرار فوق العادة) تتضمن وصايـا مضحكة أخرى للعثور على محركات ملائمة وكانت هذه المحركـات هي الأخرى نـادرة الـوجود وكـانوا في بعض الحـالات يركبـون محـركات الـطائرات ، وأصبحت الرسائل الرمزية لاذعة وبدأت الصورة بأسرها تـظهر مقـدار استعجال تـأمين ترتيبات الغزو بحيث يتمكن المرء من أن يتصـور بأن الارتبـاك والفوضى التي كانت واضحة بالنسبة لنا ، لا بد وأن تثير السؤال في ذهن هتلر عما إذا كان الغـزو قد يحـدث في يوم مـا ، وعرفت من الجنـرال (أسمـاي Ismay) بـأن المستر شرشل كان يشك في إمكانية حدوث الغزو ولو أنه لا يستطيع أن يجاهر برأيه هذا علانية ، وعلى أية حال ، فقد أخبر مجلس الوزراء عن ذلك بأنه إذا لم يحدث الغزو لحد يوم (١٠) تموز فإن الغزو بحرا يعتبر أمرا لا يمكن حدوثه لأن عملية الغزو ستواجه مخاطر شديدة وتكون عملية انتحارية بتعريض جيش كبير إلى حوادث البحر ، وتكون معرضة إلى ضربات العدد الهائـل من قواتنـا

المسلحة القائمة بأعمال الدورية ، وكانت استنتاجات شرشل صحيحة ولكن ليس لهذه الأسباب بل لأسباب غيرها إذ ظن أن البحرية الملكية ستصد وتمنعه ، وبذلك سيفشل في غزوه ولن يكون سبب فشله تنظيمه غير الكفوء ، ولم يدرك شرشل لحد الآن بأن القوات البحرية لا تتمكن من أن تعمل في المياه المحدودة آزاء طائرات العدو ذات القواعد البرية .

ولم يستفد شرشل ولا أركان البحرية بعد من التجارب في كريت وسنغافورة إذ يجب عليهم أن يعوا الدرس تماما ، وفي الحقيقة ، لقد تغير الهيكل الكلي للبحرية الملكية ، فقد أصبحت البوارج الحربية معددة ، ولو أزيلت القوة الجوية الملكية من الوجود في معركة بريطانيا فلن تبقى هناك أية سفينة من سفن البحرية الملكية ، مهما أبدت من الشجاعة ، تحت وطأة هجمات القوة الجوية الألمانية التي تتمكن من شنها من فرنسا وبلجيكا وهولندا .

واقترحت في أوائل شهر آب على مدير استخبارات القوة الجوية وقلت له طالما أن الوقت ثمين في المعارك الجوية القادمة فان وجود وحدة صغيرة من قيادة المقاتلات ستوفر على وزارة الطيران وجوب ارسال رسائل (الأسرار فوق العادة) الرمزية إلى مهيب الجو دودنك في ستانمور Stanmore مقر قيادة المقاتلات ، وقد وجدت مدير الاستخبارات الجوية راغبا في ذلك تماما ، واتفقنا معا بأن ذلك من شأنه أيضا أن يصون الأمنية ويضمن ارسال الرسائل الرمزية التي تساعده حقيقة فقط إلى دودنك ومسيطريه بحيث لا نحمله بالرسائل أكثر مما ينبغي . كما يتمكن الضابط المسؤول أيضا من التأكد بأن الذين يتداولون هذه الرسائل حقيقة هم الأشخاص المخولون . ولقد نجحت هذه الطريقة تماما ، ثم خصصنا لوحدة الارتباط الخاصة مهجعا عازلا للصوت في طابق تحت الأرض بمقدار عمق غرفة العمليات الكائنة تحت الأرض في (ستانمور) ووضعت فيها خطا مباشرا مع الطابعة البرقية والكوخ رقم (٣) . كما أنني وضعت فريق الجو كيث بارك Keithe Park آمر

الجحفل رقم (١١) ومسيطريه في صورة (الأسرار فوق العادة) بحيث يكونون على علم عما يتحدث به دودنك والوقت الذي سيحصل فيه على معلومات مسبقة عن الغارات الجوية .

وتوجب على آمر الجحفل رقم (١١) الذي يقود جميع الأسراب المقاتلة في جنوب انكلترا أن يتلقى الوطأة العظمى من الهجمات الكبيرة .

وفي غضون ذلك ، كان غورنغ نفسه لا يعرف التعب إذ قام مارشال الرايخ بجولة لزيارة وحداته ، وكان يثير الحماس بشكل واضح من أجل المعركة القادمة . وكان يبعث برسائل رمزية إلى قادته يبين فيها الوحدة التي سيزورها في اليوم التالي ، ولقد ألقت هذه الرسائل الرمزية الضوء على عدم وجود النظافة الزائدة في أسراب الطائرات الألمانية، وكان غورنغ يتصف بحبه للأناقة ومن الواضح أنه قد وجد بعض الطيارين الأنيقين حيث يمنحهم الأوسمة بسخاء وليس بسبب حبه لهم . وكنتيجة لذلك ، طلب من الآمرين في رسائله بأن يتأكدوا تماماً من أن الضباط الذين سينالون الأوسمة هم نظيفون تماما وقد أزالوا القمل ، ويتضح من ذلك أنه مر بتجربة تعيسة . وقد اعتدنا أن نسمي هذه الرسائل باسم (مهازل غورنغ) ، وكنت أحياناً أروي بالهاتف أثناء محادثاتي مع المستر شرشل حينما يتمتع بعطلة نهاية الأسبوع احدى الاضحوكات أو المهازل .

ولا أدري عما إذا كان مارشال الرايخ واثقا تماما من النصر القادم بعد قيامه بجولة لزيارة وحدات القوة الجوية في فرنسا حيث كنا نستلم رسائله الرمزية مثلما كانت تستلمها وحداته .

وكان جزء من واجباتي محاولة فهم ما يقوم به السير روبرت واطسن ـ واط من أعمال في تلك الأكواخ الخشبية الواقعة بالقرب من البحر في أورفوردنيس Orfordness في (صفولك Suffolk) في الثلاثينات من عام ١٩٣٠ ـ حول تطور الرادار .

وكان من الأمور الحيوية بالنسبة لنا أن نعرف فيما إذا كان لدى الالمان أي نظام للرادار أو هل لهم أية فكرة عما نقوم به من أعمال ، وكان هذا الشيء الواجب الأول الذي أعطيته إلى العالم الشاب آر . في . جونس R.V. Jones. يبدو أن المنظومة المعقدة قد أقيمت من قبل دودنك (المقطب الجبين) القائد العام لقيادة المقاتلات ، وجاك سليسر مدير الخطط في وزارة الطيران ، لغرض تنسيق أجهزة كشف الطائرات وربطها جميعا في المنضدة في غرفة العمليات في مقر قيادة المقاتلات وجحافلها معا بحيث يمكن تأشير السرعة والاتجاه والارتفاع وحجم تشكيلات العدو الذي يقترب من بريطانيا حتى قبل أن تغادر هذه التشكيلات الساحل الفرنسي ويتم ارسال الطائرات المقاتلة لملاقاتها قبل وصول طائرات العدو فوق ساحل القنال في الجانب البريطاني . وقد دلت جميع المعلومات التي جمعها آر . في . جونس بأن الالمان قد طوروا الرادار قصير المدى وسيحاولون من دون شك تدمير وتحطيم محطات راداراتنا الساحلية عند بداية المعركة غير أنه لا توجد أية دلائل من أي مصدر كان بما في ذلك (الأسرار فوق العادة) بأن الالمان يعرفون مدى عمل راداراتنا ومقدار دقتها . وكان الرادار بالنسبة لنا ونحن نواجه عدوا يتفوق علينا بمقدار (٣ : ١) المفتاح الأول في بقائنا على قيد الحياة . وأما (الأسرار فوق العادة) فهي المفتاح الثاني وكانت رسائل غورنغ الرمزية حينما يقوم بجولة لزيارة أسرابه شيئاً ثميناً جداً بالطبع في سد كل الفراغات الكائنة في معلوماتنا بالنسبة إلى اماكن الوحدات القاصفة والمقاتلة التي على وشك أن يلاقيها طيارونا في أشهر معركة جوية في التأريخ .

وكما قلت ، كانت قوة الأساطيل الجوية الثلاثة التي تواجهنا الآن بالحجم الذي كانت عليه في عام **١٩٣٥** والذي أبى بولدوين Baldwin أن يصدقها كما سار على نهجه المستر شمبرلين من بعده ، وعرفنا أن الأسطول الجوي الثاني كان يجب أن يعمل من المطارات الكائنة في هولندا وبلجيكا وفي ساحل فرنسا الشمالي المواجهة لسواحلنا الجنوبية الشرقية التي كانت تحت قيادة الجنرال كيسلرنغ ، وأما الأسطول الجوي الثالث بقيادة الجنرال سبيرل

Sperrle ، فكـان عليه أن يعمـل من نورمـاندي وبـريتاني ويجب تـرتيبها ازاء النصف الغربي من سواحلنا الجنوبية ، وأما الأسطول الجوي الخـامس والذي كان صغيرا فعليه أن يتوزع بين النرويـج والدانمـارك حيث يتمكن من العمل ازاء سواحلنا الشمالية الشرقية ، وكانت قيادة المقاتلات تمتلك مقـدار (٧٠٠) طـائرة بـالرغم من حقيقـة أننا أستفـدنا استفـادة عجيبة منـذ الانسحـاب من دانكرك وصنعنا عددا من الطائرات يفوق الطائرات التي خسرناها في فرنسا .

والآن ، بدأت الرسائل الرمزية الالمانية تزداد عددا كلما مرت أيام شهر (آب) بحيث بدأت تزداد من مائة رسالة إلى مائتين وثلاثمائة رسالة يوميـا . وحينـما كنا نفـك رمـوز كـل واحـدة منهـا ، يجب علينـا أن نمعن النـظر فيهـا ونصنعها ونترجمها ونحررهـا . وكنا محـظوظين حينـما وجدنـا عددا من ضبـاط القوة الجوية النسائية الثانوية من اللواتي يتكلمن اللغة الالمانية واللاتي جئن إلى الخدمة في الكوخ رقم (٣) قد أثبتن الكفاءة والجدارة في العمل ، وبالاضـافة إلى ذلك ، فقد استخدمنا عدداً من الزوجـات والاصدقـاء من سكان منـطقة (بليجـلي) بما في ذلـك مثلا دوروثي دينستـون Dorothy Denniston والتي قـابلت رئيس القسم في بليجلي في الغـرقة رقم (٤٠) في ١٩١٦ ، وفي الأيـام الأولى من اعتراض الرسـائل وحـل رموزهـا ، وحيثما تكـون القضايـا الامنية مهمـة جدا ، تثبت الصـلات العائليـة على أنها أكـثر وثوقـاً من نظام الحجب المتقن جدا .

ولقد أصدر غورنغ أمـره اليومي في يـوم (٨) آب حول عمليـة النسر ، ولقد استلم دودونك نسخة منه فـورا . أما المسـتر شرشـل فقد طلب نسخـة أخرى وأصبح هذا الأمر خلال ساعة كاملة في أيدي رؤساء الأركـان ورئيس الوزراء واعتقد أنه أخذها فورا إلى القصر الملكي . وكان مضمون الأمر هو :

(من مهيب الجـو غورنـغ إلى جميع وحـدات الأسـطول الجـوي الثـاني والثالث والخامس ـ عملية النسر ـ عليكم أن تزيلوا القوة الجوية البريطانية من السماء خلال فترة قصيرة من الزمن . يعيش هتلر) . وبالرغم من أن الرسالة

الرمزية صـدرت ، فانه لم يتحقق قيامهم بالغارات الجوية الهائلة جدا والمتوقعة يوم (١١) آب . ولقد تلبدت السماء بالغيوم وكان هناك هبوط مفاجىء ولو أن هناك بعض التشكيلات الكبيرة نوعا ما كانت في الجو والتي اقتصرت أعمالهـا على قصف السفن والمطارات السـاحلية ، ومن الـواضح أن غـورنغ جـاء إلى الساحل الفـرنسي ليكون مـع اسرابـه ، وحينما أصبحت السـماء صافيـة فوق القنال الانكليزي يوم (١٢) آب ، كان هناك عدد من عمليـات القصف على محطات راداراتنا وعلى مطاراتنـا حيث أصيب عدد قليـل من محطات راداراتنـا غير أنها بدأت بالعمل ثانية بعد فترة من الزمن بحيث أدهشنا ذلك ، وبالرغم من أن ارسال أوامر غورنغ إلى دودنك في الوقت الصحيـح ، الا أن الأهداف الحقيقية قد يرسلها الآن على اكثر احتمال بشكل مذكرات المانية محلية لأنها لا تظهر في رسائل (الاسرار فوق العادة) الرمزية ، ومع ذلك ، فانها ساعـدت دودنك بان يعرف مدى اتساع الجهود الالمانية في اليوم الواحد .

واستلمنـا رسالـة رمزيـة مرة أخـرى يوم (١٢) آب حيث حـددت يوم (١٣) آب كيوم (عملية النسـر) نفسه وتشـير المعلومات بـأنه في صبـاح ذلك اليـوم كان يجب أن يشن الأسـطول الثاني هجـومه عـلى المطارات الـواقعـة في منطقة كينت Kent ومنطقة التايمز Thames وأمـا أسطول الـطائرات الثـالث فعليه أن يشن هجومه على المطارات الكائنة على بعـد أكثر إلى الغـرب ، غير أن غورنغ أصدر أوامره فجـأة في صباح يـوم (١٣) آب وأجل عمليـة الهجوم إلى ما بعد الظهر، وقد يكون سبب ذلك أموراً تتعلق بحالة الطقس أو لسبب آخر وهو أنه أراد أن يكون مـوجودا عـلى الساحـل الفرنسي في الـوقت المعين يراقب منها أساطيله الجوية الذاهبة لتنفيذ واجبـاتها ، ومهـما كان السبب فـان النتيجة كانت فوضى لأنه بـالرغم من حصـولنا عـلى رسائله الـرمزيـة لم تكن بعض وحداته بشكل واضح في تلك الحالة إذ شنت هجـومها الصبـاحي دون أن تتهيأ له تماما . ومع ذلك ، فقد كان عـلى القوة الجـوية الملكيـة ان تتغلب على أمور عديدة طيلة ذلك اليوم .

أمـا اليوم التـالي فقد كـان أهدأ كثيـرا من سابقـه ، لكن ، لا بـد وأن

يكون غورنغ قد قرر في ذلك المساء بأن يقوم بعرض كبير في اليوم التالي . لقد أخفق في يوم (١١) آب بسبب سوء الاحوال الجوية واخفق يوم (١٣) آب بسبب الأوامر المشوشة . ويبدو أنه الآن يقوم بتنسيق العمليات بنفسه وقرر بأن لا تحدث أية اخطاء في هذه المرة ، وكانت رسائل (الاسرار فوق العادة) الرمزية صحيحة إذ أن الهجوم يجب أن يقوم به الأسطول الجوي الثاني والثالث والخامس وأن الأوامر التي صدرت حذرتنا بأنهم قد وقتوا غاراتهم الجوية بدقة بحيث تبذل دفاعاتنا جهدا كبيرا طوال اليوم بأسره ، يجب أن تكون الموجة الأولى من الغارة الجوية مؤلفة من (٤٠) طائرة من الأسطول الجوي الثاني على أن تحرسها المقاتلات ، وتبدأ الغارة في الفجر ثم غارة أخرى على المطارات في مقاطعة كينت . ثم يبدأ تشكيل كبير من القاصفات بعد منتصف النهار مباشرة وبحراسة المقاتلات من الأسطول الجوي (٥) بمهاجمة المطارات الكائنة على الساحل الشمال الشرقي ، وعندما اتضح لنا بأن الأسطول الجوي (٥) سيعمل في هذه المنطقة ، أنذر دودنك كلا من ترافورد ليك مولوري Trafford Liyk Mallory آمر الجحفل (١٢) (وريجارد صول) Richard Soul آمر الجحفل (١٣) الكائنة في الساحل الشمالي الشرقي . كما يقوم الأسطول الخامس بالغارة الجوية الثانية والذي يعمل في الدانمارك وتبدأ الغارة بعد مضي ساعة واحدة على الغارة الجوية الأولى ، وكانت نتيجة الغارة الجوية الأولى من قبل الاسطول الجوي الخامس أن يقدم المديح والثناء على الانذار المبكر (الاسرار فوق العادة) وإلى تحديد مواقع الطائرات من قبل الرادار بعيد المدى والذي اعترضه الجحفل (١٣) حينما كانت الطائرات فوق البحر ، ومع أن بعض القاصفات تمكنت من النفوذ إلى الداخل إلا أن التشكيل فقد (١٥) طائرة من مجموع (١٠٠) طائرة ، وكانت المسافة بعيدة جداً بحيث لا تتمكن المقاتلات من مرافقتها لحمايتها ، وأما الغارة الجوية الثانية التي شنها الأسطول الجوي الخامس من الدانمارك فقد تصدى لها جحفل (١٢) إلا أن هذه الغارة قد أحدثت بعض الاضرار وكانت خسائرهم ثمانية طائرات من مجموع (٥٠) طائرة .

وبعد كل هذا ومع عدم وجود أية خسارة للقوة الجوية الملكية ، لم يقم الأسطول الجوي الالماني الخامس بأية محاولة أخرى .

ولقد جاء دور الأسطول الجوي الثاني ، بعد الظهر فقام بغارتين جويتين كانت الفترة بينهما ساعة واحدة فوق مقاطعة أيسكس Essex و(كينت) وفقا للأوامر المبرمجة .

وقام الأسطول الجوي الثالث بالغارة خلال فترة تناول الشاي وكانت الغارة كبيرة إذ كانت مؤلفة من (٨٠) قاصفة تحرسها المقاتلات حراسة تامة وهاجمت الساحل الجنوبي وغرب (بلايموث) ثم جاء دور الأسطول الجوي الثاني أخيرا اذ شن غارته حوالي الساعة السادسة والنصف من بعد الظهر على المطارات الكائنة في مقاطعة (كينت) وكان هذا الهجوم شديدا ، والغرض منه بشكل واضح هو قيام اكثر عدد ممكن من مقاتلات القوة الجوية الملكية بالتصدي لها في الجو ، لأن غورنغ أراد القضاء على القوة الجوية الملكية بسرعة فلو أستجاب دودنك لهذا الطعم فلا بد أن تكون الخسائر في كلا الجانبين عالية اكثر مما خسرته القوة الجوية الملكية ، غير أن دودنك قرر بأن يواجه كل غارة جوية بعدد قليل من المقاتلات ، وظن أنه بهذه الطريقة سيحدث أقصى الارتباك بين تشكيلات القوة الجوية الالمانية مع أقل خسارة في القوة الجوية الملكية ، ولم يعط صنف الرادار والرصد أي مجال للراحة للمسيطرين والمؤشرين في القوة الجوية النسائية الثانوية واللواتي لم تظهر عليهن علامات التعب في مقر قيادة المقاتلات ومقر الجحفل معا .

وكنت أذهب من حين إلى آخر إلى (ستانمور) لارى السرعة والدقة التي لا يمكن تصديقها والتي تقوم بها القوة الجوية النسائية الثانوية من تأشير الغارات في غرفة العمليات ، وقد لاحظت في احدى المرات فتاة شابة لطيفة كانت تعمل بجد اكثر من معظم زميلاتها ، رفعت هذه الفتاة نظرها إلى الأعلى وشاهدت عينيها الرماديتين الناعستين التي تنم عن البشاشة ثم اصبحت فيما بعد زوجتي .

كانت منظومة قيادة المقاتلات باسرها والمنظمة منذ سنوات طوال ، تعمل أشبه بمعجزة الية ، ولما كان تأشير سرعة الطائرات وارتفاعها واتجاه الغارات يتم على خريطة كبيرة موضوعة على المنضدة أسفل الشرفة فبامكان دودنك ان يراقب ويصدر أوامره بهدوء إلى مسيطرية الذين يتصلون هاتفيا مع الأمرين الجويين في مقرات الجحافل . وكانت أعداد الطائرات هائلة جدا بحيث كان المؤشرون يؤشرون الارقام التي تتجاوز الثمانين أو المائة والتي تحسبها محطات الرادار على شاشاتها . ثم يأتي واجب صنف الرصد الذين يتمكن من أعطاء الارقام بشكل أكثر دقة في مواقعه المحمية باكياس الرمل على طول المنحدر الصخري الشاهق بينما تندفع القاصفات والمقاتلات نحو الساحل بسرعة .

وعند ذاك ربما تسرع (٢٠) طائرة من نوع (سبتفاير) من طائراتنا وتطير لتتصدى للتشكيل المؤلف من (١٠٠) قاصفة والتي تحرسها مقاتلات العدو ، ويتم تمرير الأوامر من مقرات الجحفل الجوي إلى المطارات بواسطة الهاتف الذي يمزج الكلمات ثم يتولى مسيطرو قاطع المطارات الأمر ويقومون من غرف العمليات الصغيرة بمساعدة الرادار أيضاً بتوجيه طائراتنا المقاتلة في المعركة .

كانت ستراتيجية غورنغ لتدمير القوة الجوية الملكية ذات حدين : أولهما ، أراد أن يقصف جميع مطاراتنا الجوية الكائنة في الجنوب بحيث يجعلها غير صالحة للعمل والثاني ، أراد أن يجر أكثر ما يمكن من طائرات القوة الجوية الملكية المقاتلة إلى المعركة في المكان الذي يريد فيه الالمان تدميرها بسرعة .

ومن حسن حظنا أننا كنا نملك عددا لا بأس به من المطارات وكانت مطاراتنا مكسوة بالعشب في تلك الأيام وكانت الطائرات متباعدة عن بعضها بشكل مناسب خارج مباني المطارات وكانت مغشوشة ومحمية بسدود ترابية عالية وعليها شبكات الغش بحيث كان من الصعب للقوة الجوية الالمانية أن

تعطل المطار أو تصيب الطائرة وهي على الأرض ، وكانت عمليات ردم الحفر تتم في الأرض المعشبة بسهولة ، بينما كنا نحمي الطائرات المغشوشة من القصف الدقيق بواسطة نيران مقاومة الطائرات .

أما غورنغ ، فأنه اعاد شن الغارات بتشكيلات كبيرة تضم طائرات قاصفة وباعادة الهجمات بسرعة كبيرة ، والغرض من ذلك ، اعتقادهم بأن دودنك سيرسل عددا اكثر من الطائرات المقاتلة للاشتباك معها بقتال جوي ، حتى ولو أدى ذلك إلى وقوع خسائر جسيمة في كلا الطرفين ، حيث اعتقد غورنغ بان القوة الجوية الالمانية تتمكن من ايقاع الخسائر بالبريطانيين بينما لا تستطيع القوة الجوية الملكية ذلك . أما دودنك ، الذي كان قادرا على ادراك استراتيجية غورنغ من الرسائل الرمزية (للأسرار فوق العادة) ، فانه لم ينجر لتلبية رغبات غورنغ بل استمر في ارسال أقل عدد من المقاتلات لايقاع الفوضى والارتباك في أسراب القاصفات بحيث تجعل القصف الدقيق أمرا صعبا جدا . وبنفس الوقت ، طالما لا تجرأ المقاتلات الالمانية القائمة بحراسة القاصفات على ترك التشكيلات الهائلة من القاصفات بدون حماية من فوق ، فتكون مهمة وحداتنا الصغيرة أو حتى المقاتلات المفردة سهلة جداً بحيث تتمكن من النفوذ بين القاصفات .

يعزي سبب بقاء مطاراتنا سالمة من الهجمات الجوية الالمانية إلى أسلوب التعبية التي أتبعها دودنك طيلة المدة التي أتبعنا فيها ذلك الأسلوب ، وبالطبع لم يتوقع أحد (الاسرار فوق العادة) حينما تم تشكيل قيادة المقاتلات . وعليه ، فأن (الاسرار فوق العادة) كانت شيئا أضافيا لم يدخله دودنك في الحساب ، والآن ، أعطته الصورة الكلية عن تعرضات العدو والاستراتيجية التي وراءها بحيث لا يمكن تثمينه ، كما اعطته أيضاً بعض الدلائل عن خسائر العدو الحقيقية من طلبات تعويض الطائرات والطوائف التي قدمتها مختلف التشكيلات ، ولما أصبحت عملية النسر المستعجلة واضحة وعليه فلن تكون هناك عملية أسد البحر ما لم يتم القضاء على القوة الجوية الملكية غير أن القوة الجوية الملكية أستمرت في التنامي .

إن صنفي الـرادار والرصـد هما اللذان جعـلا المعركـة متقدة ، وكـذا الحال مع من في غرفة العمليات أيضاً .

وكنت من حين لآخر أذهب إلى (تـل بكن Biggin Hill) وهي عبارة عن قـاطع مـطار بالقـرب من لندن ، لكي أتـأكد من النقـاط المتفرقـة وأشم رائحـة الطائـرات وأسمع صـوتها ثـانية . وكنت أراقب مقـدم الجو (سليسـر مـالان) وهو يتحـدث بالهـاتف الذي يمـزج الصوت مـع سرب طـائراتـه من باصقات اللهب ثم أذهب من بعـد ذلك إلى غـرفة عمليـات القاطـع الصغير وأراقب طياريه الذين يرشدونهم للقتال مع الطيـارين الألمان الـذين يفوقـونهم عددا بنسبة (١٠ : ١) . وكانت الحالة هي عبارة عن أسلوب آخر من اعادة ذكرى قتال المهارشة فوق سماء فرنسا في عام ١٩١٧ . أما الآن ، فان طيارينا يدخلون في معارك شديدة مرتين أو ثلاث مرات يوميا ، ووجـدت الرجـال في (تـل بكن) في غاية الفضول حول الدقة الملحوظة للانذار الذي يتلقونه من كيث بـارك Keith Park . وبالـطبع لا يسمـح بأن يخبـرهم أحـد بـأن هـذه الحقائق أنما أظهرتها (الاسـرار فوق العـادة) غير أن الخبـرة علمتهم في الحال بأن يضعوا ثقتهم في الأوامر التي يستلمونها . وسرني حينما قـرر رئيس الوزراء البقـاء في لندن لقضـاء عطلتـه نهاية الاسبـوع الذي يصـادف يـوم (١٩) آب وعدم ذهابه إلى جيكرز .

وببقائه ، وفر لي الوقت الذي أتصل فيه بالساعة الثانية صباحا ، ذلـك الـوقت الذي أجـد فيه بعض الـراحة ، وأنـا شخصياً أعتـدت أن أنـام عـلى سريري السفري في المكتب طوال تلك الأسابيع القلقة .

والآن ، في الوقت الذي كانت فيه معركة بريطانيا على أشدها ، كـانت تجري عمليات المانية أخرى تتعلق بعملية أسد البحر عـلى قدم وسـاق غير أن الرسائل الرمزية الالمانية عن طريق (الاسرار فوق العادة) قـد أظهرت نقصـا في التنسيق والتعاون بين الجيش الالماني والقوة البحرية الالمـانية ، ويبـدو أنهم غـير قادرين عـلى الاتفاق حـول الخطط المتعلقـة بالهجـوم المحمول بحـرا لان

الجيش الالماني كان يجد باستمرار العقبات غير المتوقعة في ترتيبات النقل الكبيرة ، وكانت الصورة التي تعطيها لنا (الاسرار فوق العادة) صورة مشوشة بحيث كانت تبعث الأمل فينا .

ومن الواضح أن غورنغ كان لا يزال مقتنعا بأنه سيتمكن من تنفيذ العمل بواسطة قوته الجوية لذلك لم يهتم بالخطط التي أعدها الجيش ، وقد أعطتنا (الاسرار فوق العادة) مجموعة كبيرة المعلومات المفيدة مثل القطعات تتحرك نحو الساحل ، طائرات النقل تتجمع من أجل الرفعات الجوية العظيمة ، المواد والتجهيزات من مختلف الأنواع تطبع في سكة حديد ، لا تزال هناك صعوبات في الحصول على المحركات وتركيبها على المراكب ، هناك نداءات موجهة من البحرية بوجوب انتشار هذه المراكب لغرض حمايتها من أصابات وهجمات القوة الجوية الملكية السريعة ، ولم يكن غورنغ سعيدا حيث كان ذلك واضحا من الرسالة الرمزية الموجهة إلى قادة القوة الجوية الالمانية والتي طلب فيها منهم بيان أسباب أخفاقهم في تدمير القوة الجوية الملكية وطلب منهم الاجتماع به في مقر قيادته . وأنني لا أشك بأنه كان يسأل نفسه وقادته عن اسباب قدرة القوة الجوية الملكية في تصعيد مثل هذه المقاومات ، وفي هذا الوقت ، بين غورنغ إلى هتلر ولنا بأن الطائرات المقاتلة من القوة الجوية الملكية قد انخفضت إلى (٣٠٠) طائرة تقريبا . وهذه في الحقيقة تدل على أن استخباراتهم كانت مغلوطة مائة بالمائة حيث كنا لا نزال نملك ضعف هذا الرقم ويعزي الفضل بذلك إلى جهود جماعات التصليح ومعامل الانتاج المدهشة . وكان غورنغ آنذاك يحارب من أجل سمعته لأنه كان يعرف من وجهة نظر فيلق الضباط الالماني بأنه انما وصل هذا المركز سياسيا دون أن يناله جراء التدريب وأن خبرته هي تلك التي أكتسبها فقط كطيار في الحرب العالمية الأولى .

وإن سوء تقدير هيئة أركان استخبارات غورنغ الجسيم لطائراتنا الدفاعية قد شجعته حتما على الاعتقاد بأنه لا يزال قادرا على أداء الواجب

بأسره بواسطة قوته الجوية أو أن يخفض من أعدادها بحيث يمكن الشروع في عملية أسد البحر في الموعد المحدد ، لأن (الاسرار فوق العادة) أنذرت في أوائل شهر (آب) بتكرار الغارات الجوية الهائلة ليوم النسر ، وكان دودنك قد تلقى الانذار مسبقا وما زالت القوة الجوية الملكية تتصدى للقوة الجوية الالمانية وتلحق بها خسائر فادحة جدا لحد هذا الوقت ، وعاد السكون مرة أخرى وكان الجو من حسن حظنا رديئا للغاية .

وكان هناك يوم مخفق في فرنسا في شهر أيار من عام ١٩١٧ حينما بعث آمر سربي اثني عشر طيارا إلى أمينز Amiens في احدى سفن تموين كروسلي Crossley القديمة . وكانت هناك راهبة أعطتني مدالية ملاك أمينز حينما ذهبت إلى الكتدرائية لاداء الصلاة الصامتة . وإن الطيار المتعب هو الذي يعرف وحده مقدار أهمية السحب الواطئة والامطار الغزيرة كأنها هدية الهية بالنسبة إلى مربي أغنام استرالي قد انقطع عنه المطر .

والآن ، لا بد قد اتضح أخيراً لغورنغ بأن الاستراتيجية التي اتبعتها قوته الجوية لم تحقق لحد لأن النتائج المطلوبة .

ويبدو بطريقة أخرى أن قيادة المقاتلات كانت أيضا مستأنسة بالموقف ، لذلك فأنه أصدر الآن أوامره التي التقطناها في (الاسرار فوق العادة) والتي تفيد بـ (وجوب شن الهجمات إلى الداخل اكثر لكي نجعل القوة الجوية الملكية تشترك في المعركة) ، وكانت هذه الرسالة مهمة أولا لأنها كررت حاجة غورنغ المكلفة في صعود المقاتلات من القوة الجوية الملكية بأعداد كبيرة بحيث تتمكن القوة الجوية الالمانية من تدميرها .

وفي هذا الوقت بالذات ، انتقد أحد مرؤوسي دودنك ، (ليغ مولوري) Leigh Mallory آمر جحفل (١٢) قائده العام لعدم ارساله تشكيلات كبيرة من مقاتلات القوة الجوية الملكية لمجابهة الغارات الجوية الالمانية . ولم يكن (ليغ مولوري) قد حصل على رسائل غورنغ من (الاسرار فوق العادة) لأنه قائد جحفل وكانت الغارات الجوية الالمانية

تجري بتشكيلات كبيرة من القاصفات والتي تكون بحد ذاتها غير قادرة على القيام بالمناورة ، وكانت بدورها محمية بتشكيل آخر كبير من المقاتلات فلو أرسل دودنك تشكيلات كبيرة من المقاتلات كما يريد ، غورنغ و(ليغ مولوري) فانها ليس فقط تكون غير قادرة على أجراء المناورات في الهجوم على تشكيلات الالمان فحسب بل سنفقد ميزان الخسائر التي كانت في صالحنا حينما كانت تشكيلات صغيرة من مقاتلات القوة الجوية الملكية تتصدى للعدد الهائل من الطائرات الالمانية . وأنني لم أجد دودنك مخطئا في الطريقة التي خاض فيها المعركة حيثما أنظر إلى الأمر من مختلف الزوايا لأنه كان يفهم مضمون رسائل (الاسرار فوق العادة) الرمزية ويدرك مغزاها جيدا بحيث كان ذلك أسهاما مهما في نجاحنا خلال هذه الفترة من الحرب ، وأن الامنية هي التي أملت علينا وجوب معرفة عدد قليل جداً من الاشخاص فقط لرسائل غورنغ الرمزية وأنه مما لا شك فيه بأن بعض الطيارين الشباب في ميدلاندس قد شعروا من أن زملاءهم الآخرين في الجنوب سيحصلون على المجد .

راقبت (دودنك) و(كيث بارك) فوجدتهما يستعملان رسائل (الاسرار فوق العادة) في غاية من العناية دون أن يلمحوا أبدا بأن التحذيرات السرية للغاية المعطاة إلى آمري مطارات القاطع المهمة قد جاءتهم من الرسائل الرمزية المعترضة .

وكان من استراتيجية دودنك أن يحتفظ دوما ببعض المقاتلات لتطير وتتصدى لكل غارة جوية وهذا مما حير الالمان بالنسبة إلى مقاتلاتنا الحقيقية وحطت تدريجيا من معنويات القوة الجوية الالمانية وأدت في النهاية إلى أن يغير غورنغ من أسلوبه التعبوي ويرسل قاصفاته في عمق الجزيرة البريطانية كما جاء ذلك في القسم الثاني من رسالته الرمزية .

ومع أن دودنك قد هدأ الآن لأن القصف قد توقف لبعض الوقت على المطارات الكائنة قرب الساحل ـ التي كانوا يقصفونها بشدة هائلة وأثرت تأثيرا خطيرا على عمليات أسراب الجحفل (١١) ـ ومع ذلك ، فقد كانت المطارات

الـواقعة داخـل عمق الأراضي البريـطانية والقـريبة من لنـدن والتي أصبحت مهـددة الآن ، مطارات قـاطع الـرادار المهم والتي كانت تـوجه مقـاتلاتنـا في الصعود والاشتباك مع طائـرات العدو ، فـاذا تم تحطيم هـذه المطارات فـانها تدمر أسلوبنا السري الذي تتمكن بواسطته من أن نوجه طائراتنا إلى الأهداف ومع ذلك ، هنالك نقـاط عديـدة في صالحنـا وهي أن المقاتـلات الالمانيـة لن تتمكن من التغلغل إلى الداخل أكثر لأنها لا تتمكن من أن تحمل معها الوقود الكافي لتتمكن من البقاء مع القاصفات وحمايتها .

أما الهجمات على المطارات الـواقعة في عمق الأراضي البـريطانيـة فانها بدأت في يوم (٢٤) آب ودامت لمدة أسبوعين ، ولم تكن هناك نمـاذج متواصلة من رسائل (الاسرار فوق العادة) ، لكن حينما استخدم الالمان وحـدات من الاسطولين الجويين المختلفـين كنا نحصـل احيانـا على رسـائل تتضمن تنسيق جهـودهم ، وبهذا كنـا نحصل عـلى فكرة جيـدة عن حجم الغارات الجـويـة الكبيرة وتوقيتاتها ، ومع ذلك فان التشكيلات الالمانية آخـذة الآن في التغلغل في عمق الأراضي البـريطانيـة ، وكان صنف الـرادار والرصـد المتمركـز عـلى الساحل ينذرنا بحيث يتيح وقتا كـافيا لمقـاتلاتنـا بالاقـلاع والتصدي لهـا قبل وصولها إلى أهدافها وبـالرغم من جميـع الجهود التي بـذلها دودنـك فـإن عـدد الـطائرات والـطيارين كـان في تناقص في قيـادة المقـاتـلات تنـاقصـا ينم عـلى اليأس ، وكان الطيارون يتعبـون من عدد الـطلعات التي لا نهايـة لها لمجـابهة تشكيلات العدو ، وقد أصيبت باضـرار كبيرة مـطارات قاطعنـا الرئيس مثـل (تل بكن) إلى درجة تصعب معها العناية بأمور سرب واحد في الجو . ولكي يزيدوا في صعوباتنا ، قامت القوة الجوية الالمانية بتحويـل هجماتهـا إلى بعض مصانع الطائرات الواقعة في جنوب انكلترا ، وهي مصادر تجهيزنا بالـطائرات باصقات اللهب وطائرات (الهـريكان) ومـع ذلـك ، مـا زالت القوة الجـوية الملكية تتنامى .

ولا بد وأن غورنغ قد فقـد صبره يـومي (٣٠) و(٣١) آب حقيقة لأنـه

تولى السيطرة مـرة أخرى عـلى أساطيله الجـوية ومن حسن حـظنا أنـه أعطانا أنذارا مسبقا في ذلك اليوم عن الغارات العظيمة ، وكان مـوقف القوة الجـوية الملكية انذاك يائسا ، وعرفنا أن القوة الجوية الالمانية إذا ما تمكنت من مواصلة هجماتها الجوية على غرار الهجمات السابقة لمدة أسبوعين ثم تزيدهـا أسبوعـا واحدا وأسبوعين آخرين تماما فقد تكون النتيجة بالنسبـة لنا كـارثة حقيقيـة . لكن ، القوة الجوية الالمانية كانت هي الأخرى تلعق جراحهـا ولم تعد تصلهـا التعـويضات عن الـطائرات استنـادا إلى ما جـاء في رسـائـل (الاسـرار فـوق العادة) ولم تكن منظومات التجهيز والتصليح الالمانيـة قد خـططت لمثل هـذا النوع من الحرب ، وان معركة بريطانيـا ، بالنسبـة لآراء غورنـغ ، ينبغي أن تنتهي خلال مدة اسبوعين بخسائر قليلة في الوقة الجوية الالمانية .

وأما الآن فان ٥٠٪ من طـائرات الالمـان تكاد تكـون صالحـة للعمل ، وكانت هذه المعلومات مهمة جدا لأنها أظهرت لنا شلل القوة الجـوية الالمـانية وأن الالمان يعانون من هبوط معنوياتهم بالرغم من موقف القوة الجوية الملكيـة المرعب .

ولقد ارتكب غورنغ أخيرا في محاولته لتحطيم القوة الجـوية الملكيـة أكبر الاخطاء في الحرب ، فلو أنه واصل هجماته الجوية عـلى المطارات الكـائنة في جنوب انكلترا لمدة أسبوعين آخرين لامكنة أبقاء ما تبقى من مقاتلاتنا جـاثمة على الأرض ، عير أن غورنغ أصدر أمراً آخرا وبثه على شكل رسالة يـوم (٧) أيلول إلى الجنرال كيسلرنغ يطلب فيه أن تشن (٣٠٠) قاصفة غارة جوية على أحواض السفن في لندن ، فلا بد وأن تكون هناك أعدادا هائلة من المقاتلات الالمانية لحماية هذه القاصفات ، على أن تتم الغارة الجوية عصر ذلك اليوم ، وتـوخى من عمله هذا ، حسبـما ظن ، أن تطير آخـر مقاتـلات القوة الجـوية الملكية لتتصدى لهذا الهجوم فيتم تدميرها عند ذاك .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقدم جزيل شكرنا إلى (الاسـرار فوق العـادة) لأنها أوصلت رسـالة غـورنغ الـرمـزيـة إلى أيـدي رئيس الـوزراء وإلى أيـدي

دودنـك خلال دقـائق بعد ارسـالها . وأخـذنا نقلب الـرأي كثيرا حـول هـذا التحول في الأهداف من ضرب مطارات قيادة المقاتلات بشدة إلى العاصمة . فهل هذا يعني أنها ضربة قاضية ؟ هل يعتقد غورنغ بأن القوة الجـوية الملكيـة قد أوشكت على الانتهاء ؟ أو هل الغارة الجويـة هي بمثابـة غارة انتقـامية لأن القوة الجويـة الملكية كـانت قد شنت غـارة على بـرلين والتي كـذبت تبجحات غورنغ بأنه لا يمكن قصف برلين أبداً ؟ أو أنه أراد ضـرب عصفورين بحجـر واحد لتصفية القوة الجوية الملكية نهائيا والانتقام لكبريائه المجروح ؟ أما تحوله في ضـرب الأهداف فـأنـه ، بـالـطبـع ، عمـل خـاطىء بـالمـرة من النـاحيـة الاستـراتيجية . ومن الـواضح أن رئيس الـوزراء عزم عـلى مشـاهـدة الغـارة الجوية بنفسه ، فاتصل بي هاتفيا ليعلم الوقت الصحيح للغارة الجوية غير أنني بينت له بأنها قد تكون بين الساعة الرابعة والخامسة مساء ، وكان ذلك اليـوم أحد أيام أيلول الصافية والمشمسة وكان المستر شرشل يراقب من سطح وزارة الطيران العـالي في (وايت هول) ولم يكن يبعـد كثيرا عن المكـان الذي كنت أراقب فيـه سطح مكتبي العـالي . ولقد شـاهدنـا شمس الأصيل وهي تضم مـوجات القـاصفـات حينـما أصبحت فـوق نهر التـايمـز وهي في طـريقهـا إلى أحواض السفن حيث الأهداف المبينة في أوامر غورنغ ، وكـان المنظر أشبـه ما يكون بالعاب ناريـة في وضح النهـار ، ولقد تم جمـع جميع وحـدات مكافحـة الحريق النهرية سرا ، وتم انذار كل آلـة لإطفاء الحـريق فـي المنطقـة المجاورة سرا ، ولكن وبالرغم مما بذلته مقاتلات القوة الجويـة الملكية فـأن القاصفـات الالمانية تمكنت من استغلال الفرصـة لكي تلقي بقنابلهـا في المكان المـوجع ، فارتفعت إلى عنان السماء سحب سوداء وبيضـاء من أحواض السفن ووصلت أصداء الانفجارات إلى المدينة ولأول مرة تذوق لندن طعم الحرب الخـاطفة ، ويجب أن تكـون هذه الضـربة هي الضـربة القـاضية وأن غـورنغ ، من دون شك ، هو المسؤول .

وإن وجوده في مركز المسؤولية كان الأمر المفضل لنا على الدوام ، لأنـه كـان يثق ثقة تـامـة بجهـاز الجفـرة (اينكـما) بحيث كـان يبث فيهـا رسـائله

باسراف وكنت أعجب حقيقة فيما إذا كان يكره استعمال الهاتف . وأخذت سحب الدخان الشديدة ، ودخان القنابل والنيران تنجرف فوق سماء لندن حينما عادت القاصفات إلى قواعدها وبدأنا باحصاء تكاليف الخسائر .

وبالرغم من أن تحول القصف إلى أحواض السفن قد أنقذ البقية الباقية من مقاتلات القوة الجوية الملكية الجاثمة على الأرض فانها أنذرت بصراحة مطارات القاطع . ولقد أصيبت بعض غرف العمليات الصغيرة مثل تلك الغرفة في (تل بكن) والتي منها راقبت المعارك الأولى وقتل من جرائها عدد من الفتيات أما غرفة العمليات فأنها أصبحت صالحة للعمل خلال ساعة واحدة من الزمن .

الباب السابع

عملية أسد البحر

من الصفات الغريبة التي يتمتع بها البريطانيون هي أنهم حينما يصبح الموقف خطرا حقيقة، تراهم يتركون الهرج والمرج والهياج جانبا ويخلدون إلى الهدوء، وهذه الصفة ستبدأ الان.

لقد اتخذت السيدة (أوين Owen) الضابط الرئيس للقوة الجوية النسائية الثانوية التي احتفظت بالعدد القليل من ضباط الجفرة في نظام كامل في غرفتي التي فيها الطابعة البرقية مظهرا رسميا أكثر مما ينبغي ودخلت متعمدة حينما جلبت لي رسائل رمزية مستعجلة عند منتصف الليل، وكانت هذه السيدة إحدى النساء المقتدرات تماما، أما نقطة ضعفها الوحيدة الواضحة فهي إزاء القطط السيامية، ولقد أدخلتها فيما بعد مع هيئة أركان المستر. شرشل حينا شرع بزيارته عبر الاطلسي للاجتماع بالرئيس روزفلت وذلك لعملها الكفوء بهدوء، وكان واجبها أن تهتم بشؤون جميع رسائل (الاسرار فوق العادة) لرئيس الوزراء.

وبالرغم من حقيقة أن غورنغ لم يحقق السيادة الجوية الكاملة إلا أننا كنا نخشى من أنه لا يزال يشعر بأنه قد نجح في أعماله بدرجة كافية بحيث يوحي لهتلر بأن يشرع في غزوه لبريطانيا، لأن اسطول الغزو الالماني ظهر وكأنه على أتم استعداد لم يسبق له مثيل، وبدأت أماكن تجمع المراكب الصغيرة على طول سواحل بلجيكا وفرنسا تظهر كأنها أساطيل صغيرة وذلك

استنادا إلى التصاوير المأخوذة يوميا بواسطة وحدة طائرة التجسس والتي أصبحت تسمى الآن بوحدة الاستطلاع الجوي. وأطلقنا الاسم الرمزي (كروموبل) على استعداد كل شخص في بريطانيا للانذار ومن ثم سيتم إخبار الناس بواسطة أجراس الكنائس حينا يبدأ الغزو.

وفي يوم (٧) أيلول أصدرنا إنذار الغزو رقم (١) والذي يعني بأننا سنتوقع مشاهدة الالمان ضمن (١٢) ساعة وجعلنا القطعات والحرس الوطني في حالة الاستعداد الفوري وأصبحنا نتشوق لمطاردة المظليين من الرتل الخامس ولازمت الراهبات أماكنهن في الأديرة، وتم توزيع القنابل اللاصقة الى الجيش والحرس الوطني ـ هذه القنابل إذا ما التصقت ببدن الدبابة فإنها تدمرها حينما تنفجر. وفي تلك الليلة قصفت قاصفاتنا كعادتها المراكب المتجمعة: وفي تلك الليلة أيضا ضربت القاصفات الألمانية مدينة لندن مرة أخرى، تلك الضربة الخاطفة التي ارادوا فيها ضرب السكان المدنيين، وفي يوم (٩) أيلول حصلنا على الأوامر التي أصدرها غورنغ في الساعة الحادية عشرة صباحا المتضمنة شن غارتين في المساء تقوم بها ما يزيد على (٢٠٠) قاصفة على لندن نفسها مرة أخرى، غير أن مقاتلاتنا تمكنت هذه المرة من مواجهتها على مسافة بعيدة إلى الجنوب ومع ذلك تمكن عدد قليل منها من الوصول إلى لندن. ثم عادت هذه القاصفات، على أية حال، مرة أخرى للقيام بالغارة الجوية. أما المراكب المخصصة للغزو فإنها ما زالت قابعة في موانئها ولا نعرف كم من المراكب حصل أخيرا على المحركات.

وفي يوم (١٠) أيلول تلبدت السماء بالغيوم وسقطت أمطار غزيرة ودام سقوط الامطار أربعة أيام.

ولقد أيقن أولئك الاشخاص الذين كانوا يمعنون النظر في كل رسالة صادرة من القوات الالمانية المسلحة منذ أن تحول غورنغ بهجماته الجوية عن مطاراتنا بأن الوقت قد مضى للقيام بعملية أسد البحر، وأنني أعرف بأن المستر شرشل هو الآخر كان يشعر بنفس هذا الشعور مع أنه لا يمكنه إرخاء

الحبل للشعب بأية صورة كانت.

ولقد أصبح واضحا بأن هتلر وقادته العسكريين لن يخاطروا بالقيام بعملية أسد البحر طالما لا يزال للقوة الجوية الملكية وجود وأن جهود غورنغ الاخيرة لتحطيم معنويات السكان المدنيين بقصفهم بالقنابل أعطت نتائج عكسية. وأخذت الأرجحية إزاء الغزو تطول.

لقد مضى شهر واحد منذ أن بدأت الهجمات الشديدة ليوم النسر، شهر مليء بتوتر الاعصاب، وبالامال بأن شخصا ما، ربما يكون غورنغ، سيبث خطط الغزو على الهواء ولو من موقع المراكب ومن منشآت التحميل الجوي من المناطق التي لا يصعب حدسها: وكان من الواضح أيضا أن البث يبدأ الان أو تمنينا بأنه لن يحدث أبدا. وفي يوم (١٤) أيلول قل سقوط الامطار غير أن الطقس لم يكن جيدا بحيث يمكن القيام بهجوم كبير. ولكن مع شديد الاسف بزغ فجر يوم (١٥) أيلول، يوم الاحد، فكان يوما مثاليا للطائرات الالمانية، يوما متلبدا بالغيوم المتفرقة مما ساعد الطائرات بأن تجد طريقها إلى الهدف، ومرة أخرى، وجدنا غورنغ يدلنا على ما يتمناه بأن تكون الضربة النهائية القاضية حيث كانت القاصفات تتوجه في منتصف النهار إلى أهدافها موجة من بعد موجة.

وكان دودنك يخمن بشكل صحيح نقاط امتيازه، المعنويات الواطئة لافراد القاصفات الالمانية، النقص في حماية المقاتلات بسبب حجم خزانات وقودها، حالة اليأس السائدة في القوة الجوية الملكية ومعرفته بأن عملية أسد البحر إما أن تجري الان أو لا تجري أبدا، لذلك فقد زج في المعركة كل ما لديه من الطائرات.

فقاتل الجحفل (١١) من الساحل. والجحفل (١٢) يعمل الان بأسراب كبيرة، وتولى العمل بالقرب من لندن، وأن قوة مقاتلاتنا غير المتوقعة كانت كبيرة على القوة الجوية الالمانية، لأنهم كانوا قد أخبروهم بأنه لم تبق

لدينا أية طائرة، فخرجت من سماء المعركة وولت هاربة، ولا بد وأن أصيب غورنغ بالجنون بشكل واضح في هذا الوقت لأنه أصدر أوامره على عجل للقيام بغارة جوية ثانية وتكون هذه المرة على لندن أيضا.

والتقطنا هذه الرسالة في حينه، وكان لسرعة عمل (الاسرار فوق العادة) والخط المباشر إلى دودنك شأن في صنع التأريخ، ولقد تزودت المقاتلات بالوقود ثانية وأعيد تسليحها وأصبحت على أتم استعداد لمجابهة الموجة الثانية ومرة أخرى القت القاصفات قنابلها|حيثما أمكنها ذلك ثم ولت هاربة، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا بأهواله حيث كانت هناك اشاعات غير مؤكدة بأن القادة البحريين قد تهيأوا لحراسة نصب نيلسون المقام في ساحة الطرف الأغر Trafalgare في حالة استبدال التمثال الكائن على قمة العمود بتمثال دودنك أنه لم ينل لحد الان السمعة الحسنة التي يستحق من أجلها ذلك فهل يستحق ذلك لفهمه لرسائل (الاسرار فوق العادة).

ولم نكن نعرف، بالطبع، في ذلك الوقت متى سيبدأون شن هجومهم الجوي الكبير ثانية أو عما إذا كانوا سيشنونه أو ما إذا كان الغزو لا يزال تهديدا جديا ولا يزال الحذر بالاسم الرمزي كرومويل نافذ المفعول، غير أن أحد الأشكال الرئيسة لخطط الغزو الالمانية كانت عبارة عن استعدادات هائلة قائمة على قدم وساق في المطارات البلجيكية والهولندية لغرض تحميل الطائرات المخصصة لنقل القطعات بالمؤ ن والتجهيزات وإعادة الرحلة بسرعة والتي من المفروض أنها تطير إلى انكلترا بدون أية مقاومة، واستلم الضابط المسؤ ول عن هذه العمليات صباح يوم (١٧) أيلول في هولندا رسالة رمزية من هيئة الأركان العامة الالمانية تقول بأن هتلر قد أذن بالتخلي عن التحميل الجوي للتجهيزات في المطارات الهولندية. وكانت هذه الرسالة عبارة عن رسالة مختصرة جدا غير أن أهميتها كانت عظيمة جدا بحيث اتصل (همغري) بي هاتفيا في اللحظة التي انجزوا فيها حل رموزها، وفي الحقيقة، إنها عبارة عن رسالة تتطلب بعض التفسيرات إذ استطاع تشرشل فهم معناها. لذلك،

بينت بنفسي أهميتها التامة على أعلى الغلاف. فإذا تخلوا عن تحميل التجهيزات فلن يحدث الغزو، وأرسلت هذه الرسالة في صندوق أحمر ألى رئيس الوزراء ومعها مذكرة الى المستر جون مارتن السكرتير الاول لرئيس الوزراء ورجوته عما إذا كان رئيس الوزراء قد أدرك معنى هذه الرسالة.

كما أنني شرحت مضمون الرسالة للمستر منزيز أيضا تماما في حينه لأن رئيس الوزراء اتصل هاتفيا بالمستر ستيوارت Stewart فورا طالبا منه بأن يذهب للحضور في جلسة رؤساء الاركان التي دعا لانعقادها في الساعة السابعة والنصف صباحا وبأن يأخذني معه حينما يذهب، كما أنني اتصلت هاتفيا بالمستر جارلس ميدهيرست لكي أتأكد من أن رئيس أركان القوة الجوية قد أحيط بها علما بإيجاز.

كان غورنغ عنيدا يصعب إقناعه وأنه لا يزال مصمما على مواصلة شن الغارات الجوية حتى تركع بريطانيا نتيجة لقصف المدن البريطانية، وما أن حل الظلام حتى اخذت صفارات الانذار تعلن عن حدوث غارات إليلية وكنا نسمع أصوات انفجار القنابل بشكل متقطع وأصوات مدافع مقاومة الطائرات في الوقت الذي كنا نغادر سيارة المستر ستيوارت وندخل إلى مدخل في العمارة. وكانت السماء تمطر رذاذا وهناك حركة أشبه بالاشباح تتحرك في الشوارع المظلمة. وكان المستر هيستنكر أسماي Hastings Esmay يستقبل رؤساء الاركان في مدخل الغرفة تحت الارض أسفل غرفة المستر شرشل الحربية ويرتب للمؤتمر. وكان مدراء الاستخبارات قد أوجزوا لرؤسائهم، وحين وصل المستر وينستون شرشل وتعجب بالتبدل المفرط الذي حل بهؤلاء الرجال في الساعات القليلة الاخيرة، وكانوا في حالة تشبه شخصا قطع أوتار الكمان فجأة وسط لحن مخيف.

وكانت الابتسامات المصطنعة مرتسمة على وجوههم، فبدأ المستر شرشل يقرأ على مسامعهم الرسالة الرمزية والاشراقة بادية على وجهه ثم وجه سؤالا إلى رئيس اركان القوة الجوية مباشرة وهو السير سايرل نيول Cyril

Newall بأن يفسر مغزى هذه الرسالة. وكان السير (سايرل نيول) قد أوجز بشكل جيد فأعطى رأيه كما يتصور بأنها تدل على انتهاء عملية أسد البحر، على الاقل في هذه السنة، ثم طلب المستر شرشل من المستر مينزيز فيما إذا توجد أية معلومات أخرى تؤكد هذه الرسالة الرمزية فالتفت المستر مينزيز نحوي غير أنني لم أتمكن من إعطاء أية ضمانات أخرى لحد الان. أما المؤتمرون فقد عرفوا بأن التخلي عن التحميل الجوي معناه الانتهاء من التهديد وهكذا تم الاتفاق على هذا الرأي. وكانت الابتسامة عريضة على وجه المستر شرشل الان حينما أشعل سيكارا واقترح علينا بأن نشم الهواء النقي لذلك خرجنا من تحت الارض وكانت الغارة الجوية على أشدها حينما بلغنا سطح الارض.

وكان يوجد على بعد قليل من المدخل إلى الغرفة الحربية تحت الارض الواقعة تحت مدخل العمارة هيكل كونكريتي عريض وكبير أشبه بستار مطوي يبلغ ارتفاعه ما يقرب من عشرة أقدام، فبالرغم من محاولة (أسماي والسير جون دبل) ومن بعدهما رئيس هيئة اركان الامبراطورية العامة إيقاف المستر شرشل في هذا المكان والاحتماء بالستر، إلا أنه أصر على الخروج من جانب الستار الى العراء، وكان المنظر غريبا، حيث يقف في صف واحد ثلاثة من رؤساء الاركان ثم الجنرال أسماي والمستر استيوارت وأنا وظهورنا مستندة على الجدار الكونكريتي. أما المستر ونستون شرشل فإنه كان واقفا لوحده أمامنا مرتديا بذلته الزرقاء الداكنة وفتح الازرار عند العنق وقد وضع على رأسه خوذة فولاذية، ووضع يده على عصاه القوية أمامه وقد برز حنكه إلى الأمام والسيكار الطويل في فمه، وأما في الجانب الاخر من حديقة سانت جيمس St. James ومنطقة كارلتون هاوس فإننا كنا نشاهد وميض الانفجارات، وأصوات الانفجارات في الجنوب، أصوات وقرقعة مدافع مقاومة الطائرات وأصوات انفجارات القنابل وكانت أعمدة الدخان الممزوجة باللهب الاحمر تتصاعد إلى عنان السماء في تلك الحديقة، وكانت هذه اللحظة من اللحظات التاريخية التي يجب أن يتذكرها المرء وعلت فوق هذه الاصوات

صيحة ونستون شرشل الغاضب إذ قال: «بحق الاله. سنعد البريطانيين لمثل هذا الامر».

ولقد مضى تهديد الغزو غير أن هناك أمورا عديدة يجب إنجازها واستمر غورنغ في إرسال الطائرات للقيام بغارات انتقامية إليلة بعد ليلة في شتاء عام ١٩٤٠ ـ ٤١ . وعلى أية حال، عليه أن يصون ماء وجهه لأنه هو، وقد يكون بعض الاشخاص الاخرين، لا يزالون يرون بأنهم يتمكنون من إضعاف بريطانيا بشنهم الغارات الليلية لقصف لندن، ومن السهل بلوغ ذلك لأن النهر مثبت في البوصلة ولا يهم أينا تسقط القنابل طالما القصد منها إحداث الدمار والاضرار وأنهم ما كانوا يشيرون إلى الخسائر في رسائلهم المرسلة بجهاز الجفرة (أنيكما). واستمروا في شن الغارات طوال الأيام الباقية من شهر أيلول وشهر تشرين الأول، وأصبح المرء ينتظر صفير صافرات الانذار حوالي الساعة السادسة والنصف مساء، وفي شهر تشرين الثاني، حينما رأى غورنغ أن قصف لندن لم يحدث التأثير المطلوب لذلك قرر الشروع في قصف بعض المدن الكبرى الاخرى. كنا في بعض الاحيان نحصل على الانذار عن مثل هذه الغارات الجوية غير أننا كنا نجهل الهدف الحقيقي لأنهم كانوا يستعملون اسما رمزيا لا نعرفه نحن بطبيعة الحال.

وعلى أية حال، وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر يوم (١٤) تشرين الثاني، أخطأ أحدهم فقال الاسم الرمزي كوفنتري بدلا من كلمة (ستي City) وكان هذا أمرا لم نصادفه من قبل لذلك فقد اتصلت هاتفيا بسكرتير رئيس الوزراء الشخصي طالما أن المستر شرشل منهمك في الاجتماع وأخبرته بما حدث، وبينت بأنه طالما أرسلت الرسالة الرمزية إلى قيادة المقاتلات فإنني أشك بأنه لا بد أن نعود إلى رئيس الوزراء لاتخاذ القرار بالنسبة إلى ما سنفعله والذي يجب أن يكون قرارا صائبا وأمامنا وقت من (٤ ـ ٥) ساعات قبل وصول الغارة الجوية ويكون الطيران طويلا بعض الشيء نحو الشمال فلن تجتاز طائرات العدو الساحل قبل الظلام، ورجوت السكرتير الشخصي أن

يتصـل بي هاتفيـا بعدمـا يتم اتخاذ القـرار لأنه إذا أراد المسـتر شرشـل إخلاء كـوفنتري، ستعلم الصحف كـما يعلم كل فـرد بأن لنـا معلومات مسبقـة عن الغارة ولا بد من اتخاذ بعض التدابير الضرورية المضادة لحمـاية المصـدر الذي سيصبـح بوضـوح موضـع شك، كـما تبـين لي وأنـا في مكتبي متعبـا ومنهـوك القوى، لم أذق طعم النوم قبـل ليلة بسبب القصف الجوي، أو إذا مـا حاول كل فرد الخروج إلى المدينـة خلال السـاعات القليلة التي تسبق الغـارة الجويـة فستحدث الفوضى والارتبـاك، وأنه إذا أجلت الغـارة الجويـة لأي سبب كان سـواء أكان بسبب الـطقس أم لأية أسبـاب أخرى نكـون قد عـرضنا مصـدر معلوماتنا الى خطر من دون نتيجة؟ وإنني أتصور بأن رئيس الـوزراء لا بد لـه أن يستشير عددا من الاشخاص قبل اتخاذ القرار، وعلى أية حـال، فإن لـدى القوة الجوية الملكية الوقت الكثير لوضع التدابير المضادة موضـع التنفيذ مثـل، تعطيل كل الوسـائل المسـاعدة للمـلاحة التي يستخـدمها الالمـان، وفي حالـة حدوث الغارة الجوية، تم الاقرار على انذار كل القطعات العسكـرية: رجـال الاطفاء، الاسعاف؛ الشرطة، المحـافظين، وابقـاء كل شيء جـاهز لاشعـال النيـران الخادعـة ، وهذا هـو القرار الـذي يجب اتخاذه أحيـاناً من قبـل أعـلى المستويات في الحرب ، وكان هذا القرار من غير منازع قـراراً صائبـاً ، وكنت مسـروراً لأنني لست الذي اتخـذه . ويبين لنـا التـاريـخ الـرسمي بـأن وزارة الطيران كان لها علم بالغارة قبل حدوثها بيومين . وأصبح هذا الأمر بقـدر ما يتعلق الموضوع (بالأسرار فوق العادة) واضحاً الآن . ويجب أن تكون هنـاك غارة جوية أخرى والتي علمنـا عنها مسبقـاً بواسـطة (الاسرار فـوق العادة) وسببت هذه الغارة حريقاً هـائلاً وهـو الحريق الثـاني في لندن في شهـر كانـون الأول عـام ١٩٤٠ ولم يتردد غـورنغ في إحـداث الحرائق بقـاصفـاتـه ويحـرق المدينة ، وهنا لا توجـد أية ضـرورة لاخلاء السكـان وأن المكاتب أو الـدوائر ستكون خالية على أية حال ، غير أن الأضرار ستكون بالممتلكات كبيرة جـداً إذا ما شب حزيق هائل ، ومرة أخرى ، أنـذرنا كـل رئيس فرقـة حريق عـلى بعد بضعة أميال سراً كما أنذرنا مرة أخرى مكافحـة حريق التـايمز والقـطعات

الأخرى ، بدأت الغارة بوقت مبكر ورأيت شبحاً بقدر قبة سانت بولص ازاء جدار من شعلة صفراء .

وكنت أحيانا أتناول وجبة غذائي مع دودنك حينما يغادر قيادة المقاتلات إلى النادي، وكان دودنك يمارس عمله في السابق قبل الحرب في منصب القائد العام لقيادة المقاتلات مدة أطول مما مارسها اعتياديا في القوة الجوية الملكية ولكن لما كان هو مع المخططين المقتدرين في هيئة الأركان الجوية فقد أنشأوا الآلية للدفاع الجوي البريطاني، وقد نجح الرادار ومطارات القاطع والطائرات المقاتلة جميعا في كسب معركة بريطانيا مما جعل السير سايرل نويل، رئيس هيئة الاركان الجوية، يقتنع ويحتفظ به لقيادة معركة بريطانيا نفسها، وقد تحدثنا على مائدة الطعام عن المعارك الجوية الكبرى التي حدثت في شهر آب وأيلول وعن الدور الذي لعبته (الاسرار فوق العادة) بالنسبة لهذه المعارك، وذكرني عن اللحظة التي كان قد استلم فيها الرسالة الرمزية عن سبع غارات جوية كبرى ليوم النسر الكبير وبين كيف أن هذه المعلومات مهمة تؤكد له وجهة نظره بأن ما يريده غورنغ هو جذب أكثر ما يمكن من مقاتلات القوة الجوية الملكية إلى الجو لكي تدمر بسرعة كما أنها تؤكد أيضا عزمه على صيانة قواته الهزيلة بحيث يجابه جميع الغارات ولو بطائرات قليلة فقط في كل مرة، وبعمله هذا جعل غورنغ يزيد حجم تشكيلاته في محاولة منه لتحقيق غرضه. كانت أساليب غورنغ التعبوية واضحة من الرسائل الرمزية التي تلتقطها (الاسرار فوق العادة) غير أن التشكيلات الالمانية الاكبر حجما أعطتنا هي الأخرى كما قال دودنك فرصة أفضل لاحداث الفوضى في التشكيلات الهائلة غير القادرة على المناورة من الطائرات. فبأية طريقة متقنة تمكن دودنك من إنهاك وإضعاف القوة الجوية الالمانية بالعدد والمعنويات وقدر الوقت الذي يواجهها فيه .

كان (ليغ مولوري) وغيره ينتقدون القائد العام لعدم استخدامه تشكيلات أكبر من المقاتلات إزاء الغارات الالمانية المبكرة، ولقد كان انتقاد

(ليغ مولوري) بشكل واضح في اجتماع على مستوى عـال تم عقده بنـاء على طلبه في وزارة الطيران في شهر تشرين الأول، لقد ربحنا معركة بريطانيا غـير أن (ليغ مولوري) ظن أنه من الانسب أن يحضـر أحد طيـاريه الشبـاب ليدلي بقضيتـه إزاء دودنك ولينتقـد (كيث بارك) الـذي تلقى جحفله الحادي عشـر شدة القتال في جنوب انكلترا. ولقد جاء في كلمة أحد الضباط الكبار في هيئة الاركان الجوية والذي أصبح فيما بعد رئيسا لهيئة الاركان الجوية مـا يلي: «لـو كنت القـائد العـام، ولم ينفذ أحـد آمري الجحـافل رغبـاتي لضربتـه ضـربـة عنيفة».

وبالنسبة لمن يعرف دودنك يجـده قد كبـر في العمر بسـرعة خـلال تلك الاشهـر الستة الحـرجة من الحـرب وربما كـان ذلك مقيـاسـا إلى تعبـه وفقـده السيطرة على آمريه بحيث أتاح للمناقشة بأن تصـل إلى هيئة الاركـان الجويـة وكان ذلك مؤشـرا قياس إخـلاص دودنك بـالنسبة إلى أمنيـة (الاسرار فـوق العادة) بحيث امتنع عن استخـدامها في الـدفاع عن سلوكـه. كما أنها كـانت مقياسا للكياسة والنظرة المتأصلة للسـير أرشبيلد سنكلير Archibald Sinclair وزير الطيران، حينما أخبر دودنك يوم (١٣) تشرين الثاني بوجوب تخليه نهائيا من قيادته لتتـاح له الفـرصة للذهـاب إلى أمريكـا لمساعـدة المجهود الحـربي. وعندما حل الجنرال السير (إيدموند إيرنسايد Edmond Irenside) رئيسا لهيئة الاركان العامـة بعد انـدحارنـا في فرنسـا، عرض عليـه المستر شـرشل عصـا المارشالية أو رتبة نبيل. ولقد طلب الجنـرال (آيرنسـايد) أحـدهما ثم غـير رأيه وحصل على كلا العرضين، وعندما حل انتصار معركة بريـطانيا لم يقـدموا لـه أي شيء، انها ليست قصة مفرحة غير أن كـل ذلك أصبـح الآن على شكـل وثائق رسمية.

وعلى أية حال، فإن الأمر الذي لم يعلن حتى هذا اليوم هو الدور الذي لعبته (الاسرار فوق العادة).

وقد قيل حقا على ما أظن: لو أننا خسرنا معركة بريطانيا، لوجب علينا

أن نستسلم، فهل كنا نخسر معركة الاطلسي فيما لو وجب علينا أن نفعل تماما مثلما فعلنا هكذا، ويشعر الكثيرون بالراحة لأن دودنك كان يسيطر خلال تلك الفترة الحرجة. ولم أجد أي شيء ممل في هذا الرجل الهادىء المسن ونحن على مائدة الغداء ولا يمكن أن يشعر المرء بمرارة بل يشعر بالفشل ليدرك الطريقة التي عاملوه فيها. وإنني أعتقد بأن أولئك الاشخاص الذين يعرفونه والذين رأوه في القتال خلال تلك الأيام وهو على الشرفة فوق منضدة العمليات التي لم تتبدل أبدا في الغرفة الكائنة تحت الارض في (ستانمور) حيث مارس اهتمامه الحقيقي ليس فقط من أجل الطيارين المجدين فحسب بل من أجل كل شخص اشتغل معه سواء أكان من القوة الجوية النسائية الثانوية المنهوكي القوى أو المسيطرين المتعبة عيونهم لا يمكنم إدراك ذلك. إنه هو الذي كسب معركة بريطانيا وإنه هو الذي حمى أمنية (الاسرار فوق العادة).



الباب الثامن

الحملة الافريقية

كـان النصف الاول من عـام ١٩٤١ من وجهـة نـظر (الاسـرار فـوق العادة) مخيبا للآمال فبـالرغم من المعلومـات التي كنا نقـدر على التقـاطها، لم تكن تساعدنا في محاولتنـا على إيقـاف قوات المحـور الهائلة، وعـلى أية حـال، زودت هذه المعلومات المستر شرشـل بالصـورة الدقيقـة التي تمثل استـراتيجية الألمان الواسعة كما أعـطتنا بعض التفـاصيل عن استعـداداتهم لشن هجومهم على روسيا والتي لا بد وأن تتضمن بشكل واضـح الاندفـاع مرة أخـرى نحو الجنوب الشرقي باتجاه حقول النفط الروسية والتي هم بأشد الحاجة إليها.

واعتقد، أنه من الصواب القول، بأن إحدى نتائج هذه المعلومات هي استعـداد شرشـل للقتال بشكـل يـائس لابقـاء قبضتنـا عـلى منـطقـة الشـرق الاوسط، ولقد تمكن الجنرال آر. أن. أوكونور R.N.O., Conor من مقـاومة التهديد الايطالي لمصر ببراعة حيث انتصر على الايطاليين في سيـدي براني وتم أسر معظم افراد الجيش الايطالي وارتفعت معنويات قـطعاتنـا التي كنا بـأمس الحاجة إليهـا، غير أنـه كانت هنـاك أخبار مـزعجة من بـرلين، وقـد اشارت رسـائل (الاسـرار فوق العـادة) عن تشكيل قـوات المانيـة جديـدة في جنـوب، رومـانيا، حيث ضغط هتلر عـلى رومانيـا وبلغاريـا لكي تصبحـا خـاضعتـين للرايخ الجديد، واشارت الرسائـل الرمـزية إلى تكـامل القـوات الألمانيـة تجاه روسيـا، إذ أشارت الـرسائـل من وإلى القادة العسكـرين الألمـان في رومـانيـا وبرلين إلى أن شيئاً آخر قـائم على قـدم وساق، وجـاءنا الجـواب من التوجيـه

الذي أصدره هتلر إلى قائد القوات الألمانية في جنوب رومانيا، وهو واحد من توجيهات هتلر الحربية القليلة التي تمكنا من الحصول عليها، والذي يطلب منه فيه أن يتهيأ للحركة نحو الجنوب عن طريق بلغاريا لشن الهجوم على اليونان.

وبدت الأمور لنا كما لو أن هتلر لم يعد يثق بالايطاليين في منطقة البحر المتوسط لذلك تولى بنفسه الاستيلاء على جناحه الجنوبي إزاء البريطانيين في الشرق الاوسط من أجل مغامرته إزاء روسيا.

وهذه المعلومات الملتقطة من قبل (الاسرار فوق العادة) هي التي حثت المستر شرشل على إرسال بعثة إلى اليونان لمعرفة فيما إذا كان اليونانيون عازمين على الحرب ورأى رئيس الوزراء بالرغم من انتشار قواتنا أكثر مما يجب في منطقة الشرق الاوسط بأنه (إذا قرر اليونانيون بأنفسهم بأنهم سيحاربون، فعلينا أن نشاركهم في محنتهم). وكانت فرص إيقاف الالمان عن دخول اليونان ضعيفة بشكل واضح وأنها تعني بالنسبة ألى الجنرال السير آرشيبلد ويفل قائد قيادة الشرق الاوسط أن يوسع قواته في سرينكا Cyrenaica بشكل أكبر.

وكان ذلك قرارا سياسيا كلفنا ثمنا باهظا. ثم جاءتنا في أوائل شهر شباط الضربة الثانية، إذ رأى هتلر هبوط المعنويات لدى البقية الباقية من الجيش الايطالي، فأدرك أنه يجب أن يقوم بعمل عنيف إذا ما أراد إبقاءهم في الحرب، وكان قد أرسل سابقا فيلق الطيران العاشر بقيادة الجنرال كيسلرنغ إلى جزيرة صقلية في شهر كانون الاول ١٩٤٠ لمساعدة الايطاليين في التحرش بسفننا في البحر المتوسط والآن أرسل رسالة رمزية إلى مقر قيادة القوة الجوية الالمانية تخبره وتخبرنا نحن أيضا بأن الجنرال رومل سيتولى قيادة وحدات الجيش الالماني المراد إرساله إلى شمال أفريقيا فهل سيتم القضاء على انتصار الجنرال (أوكونور) على الايطاليين يوم (٧) شباط عام ١٩٤١.

ففي منتصف شهر شباط أخبرتنا رسالة رمزية من (الاسرار فوق العادة)

موجهة إلى برلين بأن الجنرال رومل قد وصل إلى طرابلس، وكانت معلوماتنا لحد الان عن رومل لا تتعدى تلك المعلومات التي أرعبتنا فيها قوات دباباته اشتباك قصير في معركة فرنسا عام ١٩٤٠. أما الان، فعلينا أن نعرف عنه الكثير ويجب أن نعرف كل من المستر شرشل والجنرال ويفل وكل الاشخاص المطلعين على (الاسرار فوق العادة) بأنه يجب علينا الآن أن نحارب الآلة الحربية الألمانية في جبهتين جديدتين، وفي ردي على مذكرة المستر شرشل المرسلة لي والتي يستفسر فيها عن الوقت الذي يتوقع فيه وصول القوات الألمانية الى سرينكا، استطيع أن أبعث له رسائل القيادة الألمانية العليا التي تظهر فيها التواريخ التقريبية لوصول الوحدات إلى طرابلس والتي ستشكل الفيلق الافريقي الألماني، تلك الوحدات التي تأتي رأسا من ألمانيا، فستصل الفرقة الآلية الخفيفة الخامسة في شهر نيسان والفرقة المدرعة الخامسة عشر بانزر في شهر أيار، إذن لا بد أن تكون المعارك معارك دروع.

وبعد أيام قلائل أرسل الجنرال رومل رسالة رمزية إلى برلين يبلغ فيها القيادة الألمانية العليا رسميا بأنه قد استلم قيادة القطعات في طرابلس، غير أن المعلومات الصحيحة التي استلمها كل من الجنرال ويفل والجنرال أوكونور من (الاسرار فوق العادة) الآن تبين تكامل الفيلق الافريقي وقوته بحيث مكنت القوات البريطانية والقوات الامبراطورية من القيام بقتال التراجع من دون حدوث كارثة حقيقية.

وفي اوائل شهر آذار أخبرتنا (الاسرار فوق العادة) بوصول الفرقة الآلية الخفيفة الخامسة قبل شهر من الموعد المتوقع.

وعلى غرار ذلك، أخبرتنا أيضا عن وصول الفرقة المدرعة الخامسة عشرة بانزر يوم (١) أيار. وأصبح الجنرال ويفل يواجه الآن فرقتين مدرعتين.

وبعد أن أصبح الفيلق الافريقي جاهزا للعمليات، بدأ في شن هجماته مما دفع جيش الامبراطورية البريطانية إلى الخلف باتجاه الحدود المصرية بمثل السرعة التي كان قد انسحب منها.

وفي غضون ذلك، أصبحت القوة الجوية الالمانية المتمركزة في صقلية مصدر ازعاج كبير إلى اللواء البحري السير اندرو كننكهام قائد الاسطول البريطاني في البحر المتوسط والذي أصبح الآن أكثر التزاما في رعاية القوافل والتموينات المتوجهة إلى اليونان، وفي شهر آذار، حث الالمان الأسطول الايطالي على مغادرة الموانىء، والاشتراك ببعض الحركات الفعلية وعليه فقد خططوا للقيام بعملية كبيرة ضد القوافل البريطانية في المنطقة معتقدين أنهم سيواجهون فيها أقل ما يمكن من السفن الحربية البريطانية.

ومن حسن حظنا أنهم أعطوا تفاصيل العمليات إلى القوة الجوية الألمانية، المطلوب منها تأمين الغطاء الجوي للسفن الايطالية، وبذلك حصلنا على الخطة كاملة وتمكنا من إيصالها إلى أيدي اللواء البحري كننكهام في الوقت المناسب، وكانت العملية التي اكتشفتها (الاسرار فوق العادة) من الرسالة الرمزية تتضمن قيام الاسطول الايطالي بعمليتي كسح باتجاه الشرق، إحداهما إلى شمال جزيرة كريت والثانية إلى جنوب جزيرة كريت على أن تبدأ العمليتان يوم (٢٠) آذار، أما قصة إصدار اللواء البحري كننكهام أوامره إلى سفنه الكائنة في ميناء الاسكندرية بالاسراع حيث ذهب بنفسه مع أعضاء نادي الكولف ليعود بعدئذ دون أن يراه أحد ليتولى قيادة سفنه في عرض البحر وقت الغسق فهي قصة معروفة تماما، وكما أنه كان يلاحظ تماما حماية المصدر (الاسرار فوق العادة). وأنه بالرغم من تهديدات القوة الجوية الالمانية، أرسل في الحال طائرة مائية وطلب منها أن تحاذر في طيرانها بحيث تطير وتكون على مقربة ليتمكن الايطاليون من مشاهدتها فقط، وحالما شاهدنا الايطاليون المتوترو الاعصاب الغو عملية الكسح إلى شمال جزيرة كريت وأمروا جميع سفنهم بالتجمع في مثابة تقع جنوب الجزيرة، وكان هذا ما يريده اللواء البحري كننكهام، وتم إبلاغ القوة الجوية الالمانية، إلا أن الالمان لم يغيروا رأيهم أبدا.

ولقد أبلغت (الأسرار فوق العادة) الأسطول البريطاني في معركة

متابان البحرية (Matapan) بكل تفاصيل الخطة التي تم الحصول عليها من السفن الحربية الايطالية ومدمراتها وأعادوا السرب المشلول للعدو وهو يسير بسرعة نحو موانىء وطنه .

إن انتصار البريطانيين في معركة (متابان) البحرية جعل الأسطول الايطالي يبتعد عن البحر إلى آخر الحرب .

وفي بداية شهر نيسان ، وصلت رسالة رمزية من جنرال ألماني في قيادة غزو اليونان وهو المهيب (ويلهلم ليست Wilhem List) يخبر هتلر بأنه مستعد الآن للحركة .

وكان أحد الاسئلة الحرجة هو إذا كان اليوغسلافيون يسمحون بمرور الألمان عبر بلادهم ، ذلك الطريق الذي سيطول خطوط اليونان الدفاعية بحيث يجعل مقاومة العدو مستحيلة .

ولقد قاوم الأمير باول الذي اصبح وصياً على العرش بعد مقتل أخيه الملك ولم يرض بأن ينضم إلى النازيين .

والآن ، بعد أربع سنوات ، أخبرتنا (الأسرار فوق العادة) بأن سحق يوغسلافيا قد حان ، لأن هتلر يريد المرور عبرها ، وحين رفض الأمير باول هذا العرض ، كان عليه أن يهجر البلاد ، ثم علمنا من (الأسرار فوق العادة) بأن قسما من الجيش الثاني الذي يقوده الجنرال ماكسمليان فون فايج Maximilian Von Weich قد أمر بالتقدم عبر يوغوسلافيا في الوقت الذي يقوم فيه الجنرال (ليست) بشن هجومه بجيشه على اليونان من الشمال . وهناك الشيء القليل الذي تستطيع (الأسرار فوق العادة) أو أي شخص آخر عمله . لأن النتيجة كانت واضحة لأولئك الأشخاص الذين يعلمون مدى تفوق الألمان الهائل بالدبابات والطائرات منذ البداية أما بنظر المستر شرشل فانها حاجة تقتضيها السياسة ، ولقد تم انقاذ ما تمكنا من اخلائه من القوات الأمبراطورية في اليونان إلى جزيرة كريت ، لأهمية هذه الجزيرة من

الناحية الاستراتيجية ، فمطاراتها الجوية الكائنة على الساحل الشمالي الشرقي موضوعة بحيث يستطيع من يحتل جزيرة كريت أن يهدد الجزء الأكبر من منطقة البحر المتوسط ، فلا عجب أن يواصل الألمان تقدمهم لاحتلال هذه الجزيرة بعد احتلالهم اليونان بشكل سريع وحاسم ، ويستطيع الألمان . بعد استخدامهم المطارات الكائنة في اليونان وجزيرة كريت التخلص من كل تهديد يتعرض له جناحهم الأيسر حينما يقومون بغزوهم لروسيا . ولا أعلم من هم الأشخاص الآخرون بالاضافة إلى المستر شرشل والذين كانوا يعتقدون بامكانية الاحتفاظ بجزيرة كريت وأننا ، فوق كل ذلك ، نتمكن من ايصال التموينات اليها بواسطة القوة البحرية على الرغم من وجود قوات جوية ألمانية كبيرة في المطارات اليونانية الكائنة في الشمال .

ولم يتعلم الملاح العجوز الماهر لحد الأن الدرس - بأن السفن لا تستطيع العمل في مثل هذه الظروف - ومع ذلك فقد أبلغتنا (الأسرار فوق العادة) بأن الألمان سيحتلون جزيرة كريت بقوات محمولة جوا ثم اتبعت هذا التحذير بتزويدنا بتفاصيل كاملة عن خطط الغزو وكان لدينا بعض الأمل في أننا سنتمكن من التأثير على القوات الألمانية المحمولة جوا بدحرها حتى إذا تطلب ذلك منا الجلاء ، عن الجزيرة فيما بعد .

أخبرتنا رسائل (الأسرار فوق العادة) الرمزية في نهاية شهر نيسان بأن الوحدات التي يتشترك في هذه العملية من فيلق الطيران التاسع ستنقل إلى اليونان ، وفي نفس الوقت ، بينت بأن غورنغ قد بدأ في تحشيد الزلاقات والطائرات في بلغاريا ، لذلك ، سافر الجنرال ويفل كنتيجة لذلك إلى جزيرة كريت وعين الجنرال السير بيرنارد فراي بيرك Bernard Fregberk قائد للقوات المتواجدة في الجزيرة ، وحذره مما يتوقع حدوثه ، وقد أبرزت الرسائل الرمزية المناسبة إلى رئيس الوزراء وبينت بشكل واضح أنها تشير إلى غزو بقوات محمولة جوا وشيك الوقوع على الجزيرة ثم طلب مني رئيس الوزراء بأن ابلغ الجنرال السير فراي بيرك بذلك .

كان لدى الجنـرال (فراي بيـرك) الخطط المفصلة جـدا لعملية العـدو المقترحة والتي لم تكن متيسرة عند أي قـائـد أبـدا ، وكان المسـتر شرشـل قد طلبني ، لذلك تطلب الأمر مني أن أشـرح له العمليـة بأسـرها عـلى خريـطته الجديدة الكبيرة لجزيرة كريت الكائنة في الفرقة الحربية . بدأ الألمان هجـومهم في الوقت المحدد تماما وهو يوم (٢٠) أيار عام **١٩٤١** ولم تجر الأمور بـالنسبة للألمان على ما يرام ويعود الفضل في ذلك إلى رسائل (الأسـرار فوق العـادة) التي زودتنا بكافة المعلومات ، وتمكن العدو من احتلال مطار واحد فقط وهـو مـطار (مالم) ولم يقم الجنـرال (فراي بيـرك) بهجوم معـاكس لـذلـك تمكن الجنرال شتودنت من ترصين مواضعه في المطار ، ثم جاءته تقويات وامدادات كبيرة وأجبر الجنـرال فراي بيـرك على الانسحـاب ، وكانت السلوى الـوحيدة هي عثور سفن اللواء البحري كننكهام على احدى قوافل العدو من القطعات المحمـولة بحـرا فلم تصل أيـة قـوارب صغيـرة من التي تحمـل عـلى ظهـرهـا التقويات الألمانية من هذه القافلة إلى جزيرة كريت ، غير أن البحـرية الملكيـة دفعت الثمن غاليا في عملها هذا لأن خسائرها خلال هذه العملية فـاقت كل النسب بالنسبة إلى خسارة الجزيرة نفسها . ففي كريت تعلمنا الدرس القاسي وهو أن السفن لا تستطيـع البقاء لـوحدهـا في المياه التي تسيـطر عليها قـوات كبيرة من الطائرات المعادية ذات القواعد الساحلية .

ومن الصعب على المرء أن يفكر فيما لو لم يؤمر الجنرال فراي بيرك بترك مطارات كريتان سليمة بعد أن غادرتها جميع طائرات القوة الجويـة الملكية ولـو تم زرع الألغـام فيهـا أو وضعت العـوائق فيهـا لكـان الألمـان يحـرمـون من الاستفادة منها آنيا ولأصبحت نتائج الغزو المحمول جوا غير ما آلت اليه .

كـانت معركـة كريت من وجهـة نظر الاستخبـارات معـركـة فـاشلة ، وبـالرغم من المعلومـات التي قدمتهـا (الأسرار فـوق العـادة) فـان المعـركـة (السيـاسية) في اليـونان في كـريت يجب أن تنتهي حتما إلى كـارثة . غـير أن امكانية (الأسرار فوق العادة) قد أثرت في المستر شرشل ورؤساء الأركان ،

والقادة في الشرق الأوسط ، فأخذ المستر شرشل يتمعن في كل رسالة رمزية تتعلق بمعركة كريتان والتي تمكنا من حل رموزها مما أثارت ميله إزاء هذه (المعجزة) كمصدر المعلومات .

والآن ، تمنى أن يحين الوقت لاستخدامها باقصى طاقتها بينما أخذ قادة الميدان يتعجبون من كيفية تأثير مثل هذه المعلومات الدقيقة والتي نحصل عليها سلفا عن مقاصد العدو في سير الحرب . ولقد قال لي الجنرال الكسندر في وقت متأخر جدا في تونس (لقد تسببت (الأسرار فوق العادة) في تغيير مفهوم الحرب الحديثة كليا) .

لنعد مرة أخرى إلى شمال افريقيا فنرى الألمان قد عزلوا ميناء طبرق كما تقدموا على طول ساحل سرينكا في شهر نيسان عام ١٩٤١ . وأصبحت طبرق الآن كعظم سمكة في حلق رومل ، لأن البسالة والشجاعة التي أبدتها القوات الاسترالية والبولندية والبريطانية في الاحتفاظ بهذا الحصن فرضت تهديدا مستمرا على خطوط تموين رومل .

فبينما كان المستر شرشل يحرض المدافعين في طبرق على الصمود كانت الهواجس تنتاب رومل ويصمم على سحقها ، حيث اصبحت هذه الفكرة واضحة حينما كان يبعث برسائله إلى روما وبرلين ، غير أن طبرق صمدت أمامه .

وأخذت القيادة الألمانية العليا بشكل واضح تتضايق من هواجس رومل لأنّه تبين لنا من احدى الرسائل المهمة التي التقطتها (الأسرار فوق العادة) في منتصف شهر (أيار) تقريبا يأمرون رومل فيها بأن يترك ميناء طبرق محاصرا من قبل الايطاليين والاندفاع إلى الأمام بجميع قواته إلى السلوم والحدود المصرية .

ولم يتمكن الجنرال ويفل من ايقاف تقدم الفيلق الافريقي بالرغم من تحذيره بما جاء في أوامر رومل المتضمنة مواصلة التقدم ، واستطاع رومل بعد

أسبوع اعادة احتلال ممر حلفاية المهم كله ، ذلك الممر الذي يعتبر المدخل إلى القاهرة ويبدو الأمر كأنه انتقام تقريبا إزاء أوامره بترك طبرق ، وبالرغم من أن (الأسرار فوق العادة) قد أظهرت لنا بأنه قد تلقى التقويات المؤلفة من بعض الوحدات من الفرقة المدرعة الحديثة ، الا أن رومل أصبح الآن بأمس الحاجة إلى الوقود مما حدا به إلى ارسال رسائل رمزية إلى الجنرال كيسلرنغ يشكو فيها بمرارة قلة جميع أنواع التموينات ويطلب تزويده بتجهيزات جيدة وينتقد الايطاليين لاخفاقهم في انزال التموينات في بنغازي بدلا من انزالها في طرابلس ، ذلك الميناء الذي يبعد (٥٠٠) ميل إلى الغرب عن قطعات رومل الأمامية لكنه أقصر الطرق إلى سفنهم ، غير أن القيادة الألمانية العليا المنهمكة بشكل واضح في الهجوم وشيك الوقوع على روسيا ، رفضت ارسال التقويات إلى رومل ، ولكي تجعل الأمور اكثر سوءا ، سحبت معظم قوتها الجوية عن ساحة البحر المتوسط وارسلتها إلى الجبهة الروسية . واصبحت الرسائل الرمزية لاذعة .

ويجب أن نتذكر بأن المستر شرشل كان في هذا الوقت يدير دفة الحرب فعلا بدون مساعدة ، وأعتقد أن جميع معلومات (الأسرار فوق العادة) هي التي جعلته يتخذ قرارا اكثر تفاؤلا من القادة البريطانيين في الموقع ويأمر الجنرال ويغل بتخليص ميناء طبرق .

لم يفلح الجنرال ويفل في تخليص طبرق لذلك أعفي من القيادة .

وتولى الجنرال اوكنلك القيادة بعد فترة وجيزة من شن هتلر هجومه على روسيا .

وتأجل الهجوم على روسيا لمدة اربعة أسابيع مهمة بسبب العمليات في يوغسلافيا واليونان وتمكنت (الأسرار فوق العادة) من تلقي رسائل رمزية كثيرة تخص الجيش الألماني وقوته الجوية وكلها أوامر تنقل وذلك قبل البدء بشن الهجوم ، وتم ذكر اسماء معروفة لنا من معارك فرنسا ، ويجب أن نعرضها مرة أخرى فيما بعد ، مثل الفون بوك والفون كلوغة ، والجنرال

كودريان من جحفل الدروع والفون رايختاو والفـون كليست والفون رونشتـاد واسماء أخرى ممن كـانوا يحشـدون جحافـل جيوشهم ، وفـرقهم المدرعـة على طول نهر (باك Bug) ، ذلك المكان غير العملي لانطلاق هتلر لتغيير العالم .

وظهر عجب المستر شرشل حول المقدار الكبير من المعلومات التي يجب أن نعطيها للروس ، فاستشار المستر مينزيز ثم كتب رسالـة إلى ستالـين يخبره فيها : ـ بأن لـدينا معلومـات ممتازة بهـذا الخصوص وبـأن هناك تكـامل كبـير للقوات في المانيا الشرقية ، أما ستالين فأنه لم يرد على هذه الرسالة .

وبالرغم من اخفاق ويفل فقد استمر المسـتر شرشـل في التقاط رسـائل رومل التي يشكو فيها نقص الوقود والتموينات بشيء من التفاؤ ل بـالرغم من أنني قللت من أهميتهـا في عنـاويني البـارزة ، ولأن علينـا أن نعـرف الجنـرال أروين رومل . كما جاء دور الجنرال أوكنلك ليستلم أوامر المستر شرشل لشن هجومه على رومل الذي كان قد اجمل خطة هجومـه المقترح عـلى البريـطانيين ليفتح الطريق إلى القاهرة والتي حصلنا عليها حينما كان يبعث برسائله الرمزية إلى برلين وتلتقطها (الأسرار فوق العادة) .

ومن سـوء الحظ ، استـوجب تـأجيـل الهجـوم الـذي سيشنـه الجنـرال أوكنلك في ربيع عام ١٩٤٢ والذي خطط لضرب رومل قبل أن يشرع هو في شن هجومه ، مدة شهر واحد بسبب ما نعانيه من نقص في التجهيزات ، غير أن رومل شن هجومه قبل أن يستعد اوكنلك لشن هجومـه ، واذاعت القيادة الألمانية العليا بلاغا أدعت فيه انتصار رومل في العلمين في شهر تمـوز ، ويبدو أنها أغضبتـه نوعـاً ما لأننـا علمنا أنـه أخبر رومـا وبرلـين والألم يحز قلبـه بأن الجنـرال اوكنلك يصده الآن وأن الأمـدادات والتقـويـات تصله الآن ، ولقـد استفاد الجنرال اوكنلك من هذه الرسالة الرمزيـة التي أخبرنـا فيها رومـل عن خططه .

ولقـد نال الجنـرال البرت كيسلرنـغ ، الـذي التقيت بـه لأول مـرة في احـدى دعوات روزنبـرغ في برلـين عـام ١٩٣٤ ، والـذي رفضت تـرشيحـه

بمنصب الملحق الجوي الألماني في لندن ، منصبه الشهير بنفسه بالجهد الذي بذله في القوة الجوية الألمانية أواخر الثلاثيات من عام ١٩٣٠ . ولقد راقبت ارتقاءه بشوق لذلك لم أندهش حينما استلم قيادة احدى الأساطيل الجوية الألمانية حينما اندلعت الحرب .

وكنا قادرين على مراقبة أعمال كيسلرنغ خلال معركة فرنسا ومعركة بريطانيا عام ١٩٤٠ وعرفنا مقدار ما يتمتع به من القسوة والكفاءة ولكنه مثل غورنغ لا يعرف ماذا سيواجه من أعمال القوة الجوية الملكية .

ولما تبددت أخيرا جميع الافكار المتصورة مسبقا عن النصر بواسطة القوة الجوية الألمانية ، فلا بد وأن يتحدد مستقبل الجنرال كيسلرنغ فيما يتعلق بمنصبه لأن غورنغ فقد الثقة به ، لذلك لا بد وأنه بدأ يبحث عن مجال آخر لمواهبه غير المشكوك فيها وصفاته العسكرية المتفائلة وحماسه السياسي النازي التي هتلر كثيرا .

ولم نعرف مصيره بعد معركة بريطانيا بواسطة (الأسرار فوق العادة) غير أنه ظهر في بداية عام ١٩٤١ في روما في منصب في الجيش بدلا من القوة الجوية . وكان على كيسلرنغ أن يستشير رومل في روما بواسطة الرسائل الرمزية التي أخبره فيها بأنه هو وجنرال ايطالي يرأس القيادة الايطالية العليا سيزورانه في منتصف شهر تموز ، وبوسع المرء أن يتصور بأن رومل يستطيع العمل بدونهما ، غير أن ذلك اعطانا دلالة بأن الأمور ليست على ما يرام مع قوات المحور في أفريقيا ، وأعترف رومل بعد عودة كيسلرنغ إلى روما برسالة رمزية بعثها إلى روما وبرلين بأنه قرر التوقف أخيرا .

أما الجنرال أوكنلك الذي يفوقه دهاءا فقد وجه اليه ضربات سريعة مثله في ذلك مثلا الملاكم من الوزن الخفيف ، في المكان الذي أبعد ما يتوقعه رومل وذلك بمساعدة (الأسرار فوق العادة) التي كانت تخبره عن مكان رومل وقوته ، وأنني أتذكر بأن رسائل رومل الرمزية إلى رؤسائه في برلين كانت طويلة ، حيث بين فيها أنه تكبد خسائر فادحة ، ووضع اللوم كله على

الايطاليين ، وأن وحداته الألمانية بنصف قوتها ، وأن التقويات التي ترده هي أقل من القياس ، وأن الوقود والتموينات شحيحة لديه وأنه يرجو أن يحتفظ بمواضعه الحالية فيما إذا هوجم ، لقد حان دور الجزر بعد المد ، وإنني لا أعتقد بأن القيادة الألمانية العليا قد أخذت رسائل رومل مأخذ الجد مثلما أخذها المستر شرشل لأنها كانت منهمكة جدا في العمليات ضد روسيا .

لقد قام كيسلرنغ بارسال بعض التقويات إلى الفيلق الافريقي من القطعات المظلية التي استخدمت في كريت ، وكانت هذه الأخبار مهمة جدا ، لأننا كنا نستلم في تلك الفترة عددا من التقرير من وكلائنا عن وصول الزلاقات إلى جنوب ايطاليا وأنها تتحشد هناك ، وكنا لا نعلم في شهر تموز عام ١٩٤١ فيما إذا كانوا سيشنون هجوما على جزيرة مالطا بقوات محمولة جوا أو من سيقومون بذلك ولم تكن هناك دلائل مباشرة عن مثل هذا الهجوم عند (الأسرار فوق العادة) وأن استخدام القطعات المظلية لتقوية رومل كان دليلا مهما على التخلي الآن عن القيام بأية محاولة من هذا النوع لغزو مالطا .

إن المأزق الذي كانت فيه قوات رومل حسبما كشف عنها برسائله الرمزية إلى قيادة الجيش العامة هي التي آلت إلى أن يعتقد المستر شرشل مرة أخرى بامكانية إزالة جيش رومل بالرغم من تحذيراتي العديدة في العناوين البارزة التي أبديها له ومن تحذيرات رؤساء الأركان بأن رومل يبالغ في التأكيد على ما نظن ، ولقد أمروا الجنرال اوكنلك بأن يشن تعرضه بالرغم من أن جيشه كان متعبا ، وأعتقد تماما بأن خصمه الآن هو من حالة يأس كما ثبت لنا ذلك حقيقة حينما صد هجوم اوكنلك بالرغم من النقص الذي يعانيه في الوقود والعتاد .

وكان المستر شرشل يائسا يريد نصرا لأسباب سياسية ومعنوية معا ، وشعر بأن الجنرال اوكنلك قد خيب آماله لذلك فقد أعفاه من منصبه حينما عرج إلى مصر وهو في طريقه للاجتماع مع ستالين في موسكو في شهر تموز عام ١٩٤٢ حيث توقف في مصر وعقد مؤتمرا مع رؤساء أركانه في الشرق

الأوسط . وتم تعيين الجنرال الكسندر في منصب القائد العام في الشرق الأوسط وجيء بالجنرال مونتغمري من انكلترا ليتولى قيادة الجيش الانكليزي الثامن .

الباب التاسع

العلمين

اجتمع المستر شرشل مع قادته الجدد الجنرال الكسندر والجنرال مونتغمري في مصر حينما عاد من موسكو في منتصف شهر آب عام ١٩٤٢ بعد أن عانى بمرارة استهزاء ستالين لأن بريطانيا قصرت عن إداء دورها في الحرب ، ووضع الجنرال مونتغمري عربة نومه تحت تصرف المستر شرشل حيث كانت قابعة بالقرب من البحر بحيث يستطيع رئيس الوزراء الاستحمام في مياه البحر المتوسط الدافئة ، وكان موضوع النقاش والبحث يدور حول مستقبل رومل وفيلقه الافريقي .

ولقد زودت (الأسرار فوق العادة) الجنرال مونتغمري بكامل نظام المعركة لقوات رومل ومقدار قوته من حيث الجنود والدبابات والمدافع والطائرات كما زودته بتقدير تقريبي عن مواضع تموينه من الوقود والعتاد .

وحين كان المستر شرشل في موسكو ، رأينا أنه ليس من الصواب أن يحاط علما بأية معلومات من (الأسرار فوق العادة) ، وأنه لم يتعود بعد على استصحاب وحدة ارتباط خاصة ، وإنني لم أرغب استخدام أية جفرة أخرى غير جفرتنا وذلك لأسباب أمنية ، وعليه ، لا بد وأن تكون لحظة مفاجئة حينما تمكن الجنرال الكسندر من الحصول على رسالة رومل الطويلة إلى هتلر ، بغياب المستر شرشل . يخبره فيها بالضبط حول ما يقترحه في هجومه النهائي على الجيش الانكليزي ، إذ اقترح رومل وفقا للاستراتيجية الألمانية المتبعة أن يشن هجوما مباغتا قويا عبر منخفض القطارة على النهاية الجنوبية من جناح

مونتغمري الأيسر ومن ثم يتجه شمالا يكتسح فيها بدباباته الجيش البريطاني ويدفعهم أمامه حتى يلقيهم في البحر ، وحينما نتمعن في المعارك الماضية في فرنسا تظهر لنا أنها خطة سليمة ومتشابهة وأننا نعرف الآن بأنه سيكون الهجوم النهائي لرومل حيث يصل إلى القاهرة والاسكندرية وإلى قناة السويس . ولا بد أنه استعمل أيضا كلمة يائس لأنه يعلم ببساطة أنه لن يستطيع المضي في هجومة وهو في هذه الحالة من النقص في التموينات ومع طريق تموينه الطويل جدا ، وليس هناك من شك ، كنتيجة لشكواه لكيسلرنغ حول إستخدام طرابلس ، بأن سفن تموينه الآن ستحاول التوجه إلى بنغازي ويعني ذلك أنها ستصبح هدفا سهلا للبحرية البريطانية كما أن هناك مسافة (٦٠٠) ميل أخرى يجب أن تقطعها التموينات المرسلة في الصحراء لكي تصله .

وهنا عرضت الصورة التي عليها رومل ، والمستر شرشل يجلس مع قادته في عربة النوم المجاورة للبحر في ذلك الصباح من شهر آب .

ولقد حدد رومل بشكل دقيق جميع الوحدات التي تشترك في الهجوم كما عين يوم البدء بالهجوم أيضا . وكان هذا الأمر بالنسبة لنا في لندن أكبر مكافأة منذ معركة فرنسا وأما بالنسبة إلى الجيش الثامن فانها مهمة جدا ، وبامكاني أن أتصور تماما مقدار استساغة المستر ونستون شرشل لذلك .

كان علي أن أدرك من السنوات الطويلة من أن الجنرال مونتغمري لا يحب المعلومات التي ترده من (الأسرار فوق العادة) لأنه يعلم أن المستر شرشل ورؤساء الأركان يحصلون على نفس المعلومات ، وحسبما يقول المستر مينزيز أنه كان هناك نزاع حينما أخبر في البداية الجنرال مونتغمري عن (الأسرار فوق العادة) في لندن حيث أصر مونتغمري بأن يحصل هو وحده على المعلومات العسكرية وهذا الأمر لم يكن ممكنا تماما ، وقد أخبره المستر شرشل بذلك أيضا ، وكنتيجة لذلك ، لم يعترف مونتغمري (بالأسرار فوق العادة) كمصدر بمثل هذه الصورة وأدرك أن المستر شرشل كما هو الحال مع الجنرال أوكنلك ويفل سيتدخل في الموضوع ، ومع ذلك ، في هذه الحالة

وأمامه خطة هجوم روممل ، استدعى قادته لعقد المؤتمر وأخبرهم عن حدسه في أن روممل لا بد أن يحاول شن هجومه حول الجناح البريطاني الجنوبي قبل أن نشن هجومنا في العلمين .

وعلى النقيض من ذلك ، فقد استخرج الجنرال الكسندر كل ما في (الأسرار فوق العادة) من المعلومات وأخذ ، بالاضافة إلى ذلك يمتحنني حول كل المعاني الأخرى التي قد أجدها بين السطور وحول معلوماتي الشخصية عن الألمان ، ولقد عرف تماما مكونات العدو من عناصر الشؤون الادارية والعناصر القتالية مما جعله أن يكون كليا الدعامة الكفوءة المصممة بهدوء وراء نجاح مونتغمري .

ويجب أن نعترف بأن الموقف بأسره في عربة النوم كان أشبه ما يكون بلعبة البريدج يلعب فيها ثلاثة أشخاص مقابل شخص واحد ويظهر على المنضدة وجها هتلر وورمل معا ، ولكن مهما كانت آراء مونتغمري حول الاستفادة من (الأسرار فوق العادة) ، فإن العميد أي . تي . ويليمز ، ضابط استخبارات الركن الثاني ، أخذ اكثر ما يمكن من المعلومات وأظن بأنها على الأقل ستصل إلى الجنرال مونتغمري بشكل من الأشكال .

ومن الواضح ، أن أحد الأسباب التي أدت إلى أن يشن روممل هجومه النهائي في نهاية شهر آب هو أن كيسلرنغ قد وعده بأن يزوده بالوقود جوا ، وقد اشتكى قائلا بأن نقل الوقود بواسطة الشاحنات أدى إلى استهلاك الوقود في الوقت الذي كانت تصل اليه الشاحنات . وبقدر ما يمكنني استخراجه من رسائل روممل الرمزية لم تصل الدفعات الجوية أبدا .

ولكي تكون الأمور أكثر سوءا فان السفينة الوحيدة التي كانت تنقل الوقود بحراً لهجومه قد غرقت وهي في طريقها اليه .

شكرا لـ (الأسرار فوق العادة) حيث سيكون لدى مونتغمري الوقت الكافي لكي يتهيأ فيه لمواجهة الهجوم النهائي لروممل ، وعاد المستر شرشل إلى

لندن وهو أكثر استئناسا من أي وقت مضى بسب ما تقدمه (أعـظم مصادره سرية) من المعلومات .

ولحـد هذا الـوقت كنت قد شكلت اربـع وحدات ارتبـاط خـاصـة في الشرق الأوسط ، واحدة في القاهرة ، تقدم خدمـاتها للجنـرال الكسندر والي قـائد القـوة الجويـة في الشرق الاوسط معـاً مع خط إلى الاسكـندريـة لتقـدم خدماتهـا إلى اللواء البحري (رمـزي) Ramsay واللواء البحري كننكهـام ، وكانت توجد وحدة ارتباط خاصة ثانية مع الجنرال مونتغمري بالقرب من مقر الجيش الثامن والوحدة الثالثة مع مهيب الجو السير آرثر كولننكهام قائـد القوة الجـوية للصحـراء الغربيـة ، كما كـانت هناك وحـدة ارتباط خـاصة كبيـرة في جزيرة مالطا والتي كـانبت ترعى احتيـاجات الصنـوف الثلاثـة ، وكان المسـتر روبـرت كور ـ بـراون مسؤ ولا عن وحدات الارتبـاط الخاصـة هذه كـما كـان مسؤ ولا عن إدامة العلاقـات الجيدة بـين هذه الـوحدات وبـين القيادات التي تؤدي لها الخدمات ، وكانت لديه جميع التسهيلات التي تمكنه من الاتفاق مع كل شخص ، وله الذكاء والدهاء بأن يغير وجه الزبون أو العميل العابس إلى وجه بشوش على مائدة الشراب ، وكان في شهر آب عام ١٩٤٢ يقضي معظم أوقاته مع وحدة الارتباط الخاصة الكائنة مع مقر الجيش الثامن .

لقد شن رومل هجـومه في اليـوم الذي بينـه وهو (٣١) آب ، وسـار بموجب الخطة التي وضعها بالضبط ، أما الجنرال مونتغمري فانه نظم دفاعـاته بالعمق وكان مركز الدفاعات على السلسلة الصخـرية العـالية في علم الحلفـا نفسهـا والتي تبـرز في الصحـراء أشبـه بـالابهـام المقـروح ، وبـالـرغم من التحذيرات العديدة ، فـإن المعركـة جرت بضـراوة حيث أن دبابـات رومل لم تكن تتخـلى عن مـوضعهـا بسهـولـة ، ولكن حينـما أدى هجـومـه أخيـرا إلى التوقف ، لم يكن لديه أي بديل آخر غير الانسحاب ، تاركا وراءه عـددا من الدبابات بسبب نقص الوقود إضافـة إلى تلك الدبـابات التي حـطمها الجيش الثامن ، ومع حدس مونتغمري الذي تحقق بشكل واسع جدا ، ليس بمقدور

أي فرد أن يقدر ما سيحدث لو أن هجوم رومل العنيف قد حقق المباغتة التي ساوَم من أجلها .

واعترف رومل يوم (٢) أيلول بفشله وانسحب إلى مواضعه القديمة فورا . ولقد أظهرت لنا رسالته الرمزية التي أخبر فيها هتلر الأسباب التي دعته لهذا الانسحاب مقدار خيبة الأمل التي يعانيها بالطريقة التي يعامل فيها في التموين بحيث أصبح خاليا من المواد التموينية ، ولم يكن هذا الأمر بالنسبة لمن يراقب معركة روسيا مدهشا لأن هتلر كان قد أولى إهتمامه كليا للجبهة الشرقية ولم يعر أي اهتمام إلى قواته في شمال أفريقيا .

ولقد كشفت رسائل رومل الرمزية التي بعثها إلى برلين بعد فشله في الهجوم الذي شنه بأنه يواجه صعوبات كثيرة جدا كنقص مواد التموين وظهور علائم التعب والانهاك على قطعاته وبدا الفيلق الافريقي هذه المرة كأنه في حالة سيئة حقيقة لذلك ، حث المستر شرشل الجنرال مونتغمري على شن هجومه ضد رومل في منتصف شهر أيلول ، لكن الجنرال مونتغمري أجابه بأنه غير مستعد لشن الهجوم في هذا الموعد ، وأخبر المستر شرشل بأنه غير مقتنع من تدريب قطعاته وأن دباباته تحتاج الآن إلى وقت اكثر لتتكيف على حرب الصحراء لذلك تأجل هجوم مونتغمري أخيرا إلى نهاية شهر تشرين الأول .

ولقد اتاح هذا التأجيل لرومل فرصة ستة أسابيع لكي يتهيأ لهجوم الجيش الثامن الذي عرف أنه آت لا محالة ، ولم يكن الجنرال منتغمري من الذين ينتهزون الفرص ، لأنه رأى كيف أن الجنرال ويفل والجنرال أوكنلك قد أنجرفا وقاما بعمليات تعرضية قبل أن يكملا إستعداداتها ، فالعلمين هي المعركة التي يجب أن يربحها وأنها من بنات افكار مونتغمري العسكرية وتصميمه على خوض المعارك باسلوبه الخاص ، ولم يكن على استعداد لتقييد رومل وتكبيله ، ما لم يكن متفوقا بصورة مطلقة بالجنود والمعدات ويجب أن لا يكون هنا أي هجوم مباغت على الاجنحة بل هجوم رئيس على نطاق واسع ،

والذي يجب اعداد تفاصيله بشكل كامل تماما ، وكان الجنرال مونتغمري على الدوام حذرا ، ومع ذلك ، فمن الأمور التي يمكن مناقشتها بأن هذا التأخير قد مكن رومل من زرع الألغام في حقول الغام واسعة وفي وضع دباباته المفتقرة إلى الوقود في خنادق عميقة بحيث تكون لديه مواضع دفاعية منيعة جدا حينما يحين موعد الهجوم . وعلى أية حال ، لم تكن رسالته الرمزية الموجهة إلى هتلر والتي يلخص فيها اعماله متفائلة حقا .

لم يحط الجنرال مونتغمري من مقدرة رومل ، وعرف أنه سيخوض قتالا يشق فيه طريقه بصعوبة لكي يضعف دفاعات رومل بحيث يتمكن من القيام بعملية الاختراق النهائي .

وبدأت معركة العلمين الثانية يوم (٢٣) تشرين الأول وطلب المستر شرشل بأن تتمكن (القيادة الألمانية العليا في الظل) في بليجلي من ابداء المساعدة له بأن تتعقب المعركة من الجانب الألماني ، وبعد ثمانية أيام من المعارك الضارية جداً خسر فيها رومل المعركة فأبرق إلى هتلر مبيناً له الموقف الذي هو عليه فجاءت يوم (٣) تشرين الثاني رسالة هتلر الرمزية الشهيرة يقول فيها (لا يمكن أن يكون هناك غير مسلك واحد وهو الاحتفاظ بالمواضع إلى آخر جندي وأن للقطعات الألمانية أحد خيارين فقط : النصر أو الموت) ، وكانت معركة العلمين بمثابة الاندحار الحقيقي الأول لألمانيا في الحرب ، كما أن هذه الرسالة كانت الأولى من هذا النوع التي ترد من هتلر ، وعلينا أن نحصل على كثير من الرسائل من هذا النوع باشكال مختلفة عبر السنوات القليلة القادمة .

وليس لنا إلا أن نشكر (الوسيط) « الأنيكما » لادائه العمل بشكل صحيح حيث التقطنا هذه الرسالة فوراً وأصبحت بين أيدي الجنرال مونتغمري والمستر شرشل بعد بضع دقائق من ارسالها من قبل هتلر .

وربما تكون الرمال قد نفذت إلى جهاز جفرة رومل أو أنه تعمد عدم الرد على هذه الرسالة ، لأنه بدلا من اعترافه باستلام الرسالة نراه يرجوهم

بتكرار الرسالة ، وربما كانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي يستلم فيها قائد بريطاني رسالة رمزية من قائد عام للعدو قبل أن يستلم قائد العدو في الميدان الرسالة ، أو يعترف على الأقل بأنه استلمها .

وفي كلتا الحالتين ما هي إلا ثمرة جهود ملحوظة للعاملين في (بليجلي) .

وفي غضون ذلك ، كان روميل قد أرسل في وقت مبكر من يوم (٢) تشرين الثاني رسالة بنفسه إلى هتلر يطلب منه فيها موافقته على الانسحاب . وفي الحقيقة ، كان قد بدأ فعلا بالانسحاب دون أن ينتظر الجواب من هتلر ، وتقول القصة بأنه حالما تم حل رموز رسالة هتلر المكررة ووصلت إلى أيدي روميل في اليوم الثاني فظن أنها رد هتلر بالنفي لطلبه الأذن بالسماح للانسحاب . وسواء كانت الرسالة التي رآها روميل هي الرسالة الأصلية أم الرسالة التي طلب فيها تكرار الرسالة ليستر فيها أوامره للأنسحاب ، أمر غير معروف أبداً .

وعلى أية حال ، أصدر روميل أوامره إلى قطعاته يوم (٣) تشرين الثاني بالتوقف ومواصلة القتال . ولكن كانت القطعات الايطالية وعدد كبير من القطعات الألمانية قد ابتعدت كثيراً إلى الغرب من قبل فلا يمكن السيطرة عليها لذلك فإن أوامره لم تكن ذات قيمة .

وفي ليلة (٣ و ٤) تشرين الثاني شن الجنرال مونتغمري هجومه ليبدأ بصفحة الاختراق ولقد أصبحت انتصارات روميل طوال معاركه في شمال أفريقيا أسطورة تقريبا ، حيث زرعت بذور الثورات ضد البريطانيين في مناطق عديدة في الشرق الأوسط . لذلك ، يجب تحطيم هذه الأسطورة ، والآن اشترك الأمريكيون مع البريطانيين لشن هجماتهم في شمال افريقيا في الطرف الآخر من البحر المتوسط لذلك فمن الضروري أن تكون هناك أولى الانتصارات البريطانية لشق دول المحور . كان القتال بالدروع شرسا ، وتمكنا يوم (٤) تشرين الثاني من حل رسالة رمزية صادرة من روميل إلى هتلر

يعترف فيها باندحاره ، وصلت الرسالة إلى لندن صباحاً وأوصلتها إلى مقر رئيس الوزراء هاتفيا ، وكانت في الحقيقة أول خبر يتسلمه المستر شرشل عن الانتصار ، طالما لم يكن الجنرال مونتغمري الحذر جدا ليعلن فورا ، بل وردت رسالته الرمزية عصرا والتي لا بد وأنه قد استلم في غضون ذلك الوقت رسالة رومل هو الآخر .

ولا أعتقد أن أحدا كان يتوقع بأن تكون المعلومات التي تقدمها (الأسرار فوق العادة) ذات أهمية كبيرة خلال المعركة الحقيقية ولكنها أدت فعلا إلى حدوث تبدل مهم في الخطة قبل القيام بعملية الاختراق الرئيسية تماما . كانت خطة الجنرال مونتغمري تتضمن القيام بعملية الاختراق من الشمال ، من مسافة لا تبعد كثيراً عن البحر غير أن رئيس ركنه قد ألح عليه بشن الهجوم من الوسط ، ذلك المكان الذي تكون فيها المقاومة قليلة ، أما النتيجة فقد استندت على معلومات (الأسرار فوق العادة) التي بينت حركة احدى الفرق الألمانية إلى الشمال مع وصايا رومل بوجوب قيام الوحدات الألمانية بالتسلل من بين الوحدات الايطالية الكائنة في الوسط لغرض تقوية معنويات الايطاليين ، وأخيرا ، كشفت المعلومات التي التقطتها (الأسرار فوق العادة) عن غرق سفينة تحمل الوقود في البحر وهي في طريقها إلى بنغازي مما جعل من غير المحتمل قيام رومل بنقل دباباته إلى الجنوب حتى إذا رغب بذلك ، إن هذه الأسباب هي التي حثت أخيرا الجنرال مونتغمري بأن يغير رأيه وأن يشن هجومه الرئيسي من الوسط بين الجيوش الألمانية والايطالية واتضح الآن بشكل واضح بأن رومل بدأ يتحرر من أوهام هتلر بعد هذه الرسائل ولا يستطيع المرء أن يلومه لأنه كان ضابطا لامعا وقائدا بعمر صغير يرعى جنوده فعلا وأنه لم يكن ينوي البقاء بالتأكيد ليقاتل إلى آخر جندي إذا استطاع أن ينقذ الفيلق الافريقي من محنته ويوصله إلى الوطن .

أما الآن وبعد أن بدا الانسحاب فإنه تحول تقريبا إلى هزيمة ، غير أن الجنرال الحذر مونتغمري لم يعقبهم ويطاردهم ، لذلك تمكنت بعض

الوحدات الألمانية من العودة ، ولقد عرفنا من رسائل (الأسرار فوق العادة) بإن الوقود المتيسر لدى رومل آخذ بالنفاذ بسرعة وبإن الجنرال كيسلرنغ لم يكن قادراً على تموينه بالوقود .

وكان للجنرال كيسلرنغ مشاكله الخاصة به في هذا الوقت بسبب غزو الحلفاء الذي شنوه يوم (٨) تشرين الثاني على مراكش والجزائر وتونس في الطرف الآخر من شمال افريقيا ، وتلقى رومل رسالة رمزية من هتلر يوم (٧) تشرين الثاني ينذره فيها بان يتوقع انزال قطعات الحلفاء بين طبرق وبنغازي وهذا مما زاد من يأسه ، وكانت هذه المعلومات من نتائج خطة خداعية أعدت في الاسكندرية حينما بثوا الاشاعات ونشروها حول قيام الحلفاء بعملية انزال في هذا المكان وذلك من أجل القضاء على الفيلق الافريقي . وقد ساروا في الخطة إلى حد بدأوا فيه بتحميل القطعات على السفن مع تجهيزاتهم لأننا كنا نعلم بان لدى هتلر شبكة من المخبرين في مصر ولا بد وأن تصله الخطة الخداعية بسرعة .

وكما كان رومل يجد بان خطوط تموينه تزداد بعدا كلما توغل نحو الشرق نرى الآن مونتغمري يجد نفس المشكلة كلما توغل في الغرب وربما تكون تلك هي احدى الأسباب التي دعته إلى عدم مطاردة العدو ، كما كان يتوقع البعض . ولقد قرر ارسال الفرقة النيوزلندية الثانية عبر الجزء الجنوبي من الصحراء ليقطع الطريق على انسحاب رومل غير أنه من سوء الحظ شاهدتها احدى دوريات العدو وبذلك لم تتمكن من شن هجوم ناجح .

وفي هذه الاثناء ، لا بد وأن هتلر قد تأثر كثيراً من انسحاب رومل لأن الرسائل الرمزية الملتقطة بواسطة (الأسرار فوق العادة) لم تدع لدينا مجالا للشك بأن هتلر نفسه قد قرر تولي القيادة الاستراتيجية . في شمال افريقيا بالرغم من حقيقة أنه على بعد كبير وهو في شرق بروسيا . ولم يكن تولي هتلر القيادة شخصيا لادارة شؤون الحرب عاملا لتزودنا فيه (الأسرار فوق العادة) بالقرارات والتوجيهات السرية الصادرة منه فقط فحسب بل إنما

أصبح عاملا بحد ذاته أسهم في نصر الحلفاء ، وستتضح هذه الأمور فيما بعد ، وأوضحت رسائل هتلر الرمزية بأن رومل أصبح الآن يعمل ما يأمره به هتلر .

ويبدو أنهم سيسيرون مسافة طويلة حتى يصلوا تونس ثم أضفنا قلقا على قلقهم حيث بدأنا نتبع أسلوب (جد وأغرق القافلة) التي تحاول يائسة من نقل التموينات إلى جيش رومل المتعب ، وكنا قد وضعنا وحدة الارتباط الخاصة الكائنة في مالطا في موضع مخفي بين الصخور ومجاور لمقر القيادة الجوية والبحرية وهي مخصصة للبحرية وللقوة الجوية في تلك الجزيرة حيث تتجه إلى تونس قوات رومل وهي مجبرة . والآن ، حيث يتم تحميل سفينتين أو ثلاث في كل مرة في ميناء نابولي أو في ميناء ترانتو Taranto بالمواد الغذائية والوقود والأدوات الاحتياطية والعتاد ثم ترسل على شكل قافلة لتحاول الوصول إلى رومل في موانىء شمال افريقيا أو في شواطئها ، وكان الجنرال كيسلرنغ يبعث برسالة رمزية إلى رومل يخبره فيها بنوع التموينات المحملة ووقت وتاريخ ابحار القافلة من موانىء الوطن كما يخبره عن الطريق الذي تسلكه القافلة للوصول إلى المكان المقصود ، وأن هذه المعلومات هي ضرورية من غير شك لرومل ليقدر وقت وصول التموينات ومكانها كما أنها كانت وثائق دقيقة التفاصيل ذات فائدة كبيرة لنا . وبالطبع ، كانت هذه المعلومات ، عبارة عن هدية . وكان كلا من اللواء البحري كننكهام ولواء الجو السير كيث بارك ، قائد القوة الجوية في مالطا يتمسكان بشدة بقواعد الأمنية بالنسبة إلى (الأسرار فوق العادة) ، وكانا يهتمان كثيرا ليتأكدا بصورة صحيحة بأن كل قافلة قد رأت في الوقت الملائم الطائرة المرسلة إلى الجو والمفروض أنها قد شاهدتها قبل أن تنطلق البحرية ، فكان المستر بارك يأمر إحدى الطائرات بالطيران بمسافة قريبة بحيث يعرف أن السفن في القافلة تستطيع أن تراها ، ثم تصل البحرية بعد فترة وجيزة وتطلق نيرانها على القافلة وتغرقها جميعا ، ولقد تم إغراق ثلاثة قوافل دون أن يبقى لها أثر ، وفي القافلة الرابعة كانت السماء متلبدة بالضباب الكثيف حيث لم تستطع الطائرة مشاهدة القافلة كما أن

القافلة لم تشاهد الطائرة لكثافة الضباب .

تركت مالطا هذه العملية اكثر مدة ممكنة على أن ينقشع الضباب وتبدو السماء صافية ، ولكن يجب القيام بالعمل لأن القافلة على وشك الوصول إلى الساحل الافريقي ، ومن سوء الحظ ، من وجهة نظر (الأسرار فوق العادة) ، أن تنطلق البحرية والقوة الجوية الملكية في هذا الضباب الكثيف في المكان والزمان الصحيحين حيث تم اغراق السفن وليس قبل أن يخبر أحدهما عن هذا الحادث الغريب . وأدى هذا العمل بأن يقع كيسلرنغ في محنة واصبح شكوكا بحيث بعث برسالة رمزية إلى الدفاع وإلى مصلحة الأمن العسكرية الألمانية في برلين يطلب منها البحث عن هذه الحالات الغريبة التي تشير إلى وجود تسرب في المعلومات عن ابحار هذه القوافل الثمينة ، وارسلت نسخة من رسالة كيسلرنغ الرمزية إلى اللواء البحري كننكهام في مالطا .

ولقد أخبرني فيما بعد بأنه كان يتوقع بعض المتاعب ولكن هناك أمر آخر يستطيع أن يفعله ، إلا أن الارتياح بدا عليه حين لاحظ في الرد على رسالة كيسلرنغ بأن الدفاع لا يستطيع أن يجد تفسيراً لهذا التسرب في المعلومات ، ومع ذلك ، فأنني ارسلت رسالة رمزية إلى وكيلنا الخيالي في نابولي بعد أخذ الحذر الشديد بجفرة يستطيع الألمان قراءتها مهنئا اياه على معلوماته الممتازة وزدت راتبه ، وبامكاني أن اتصور مدينة نابولي المواجهة للمياه بأنه مكان غير مفرح لفترة من الزمن ، لكننا لا نستطيع الامتناع عن العمل ، وهكذا اخفقت السفن على الدوام في الوصول إلى رومل ، واخيرا ماتت هذه المسألة والسبب في ذلك مما لا شك فيه هو أن الدفاع رأى أنه لا يمكنه الاستمرار بهذا العمل ، وإننا سمعنا في وقت لاحق بأن الألمان اعفوا اللواء البحري المسؤول عن ميناء نابولي من واجبه لأنهم شكوا فيه بأنه هو الذي يسرب المعلومات إلى الخارج ، وهذا العمل ، اكد لنا بأنه لا يخطر على بالهم باننا نقرأ رسائلهم .

وفي هذا الوقت بدأ رومل ينسحب بانتظام نحو الغرب من ميناء بنغازي وهو الآن على وشك الوصول إلى المكان الذي يتمكن فيه من تموين

قطعاته من مدينة تونس نفسها ، وعلى أية حال ، كانت هناك قافلة واحدة أخيرة صدرت اليها الأوامر بالابحار إلى أقرب مكان من ساحل شمال افريقيا ، ذلك المكان الذي تنحشد فيه الآن قوات رومل ، وترمي هناك براميل الوقود المحملة على ظهرها بحيث يتمكن الفيلق الافريقي المنسحب من اكتشافها . كانت الرسالة المرسلة والتي تعطي معلومات مفصلة عن ابحار هذه القافلة وعن جواب رومل الذي يؤكد فيها على حاجته الشديدة لهذه المواد لكي يصل إلى المكان المقصود قد وصلت مكتبي مساء يوم السبت . لذلك يجب الانتظار حتى الساعة الثانية صباحا من يوم الاحد حتى ينتهي المستر شرشل من مشاهدة الفيلم لكي اتصل به هاتفيا وأقرأ له الرسالة الرمزية كما قرأت له رد رومل لهذه الرسالة ثم سادت فترة صمت لمدة دقيقة على ما اظن ثم ابلغني توجيهاته بأن اتصل برئيس أركان البحرية واتأكد منه حول اتخاذ كل الاجراءات التي تضمن اغراق القافلة ـ وعرفت أنه كان يراقب الموقف عن كثب ، كما عرفت أنه طالما كان الجنرال مونتغمري يواصل تقدمه بحذر نوعا ما ، فهناك على الاقل فرصة بأن رومل ، بدون تموينات ، لا بد وأن يضحي بكثير من تجهيزاته قبل انسحابه إلى تونس . وكنت مسرورا أيضا بأن المستر شرشل نفسه كان راغبا في دعم اغراق السفن حتى إذا تضمن ذلك المخاطرة ببعض الأمور الأمنية ، ثم اضاف قائلا : بأنه يجب أن نترك أي شيء للحظ .

إنني ذكرت هذه الحادثة بكاملها لأنني أعتقد أنها تعطي صورة جيدة عن المستر شرشل ، وكانت كلمته الأخيرة التي اعتدت عليها هي : (إتصل بي ثانية عندما تنتهي من إنجاز هذا العمل) .

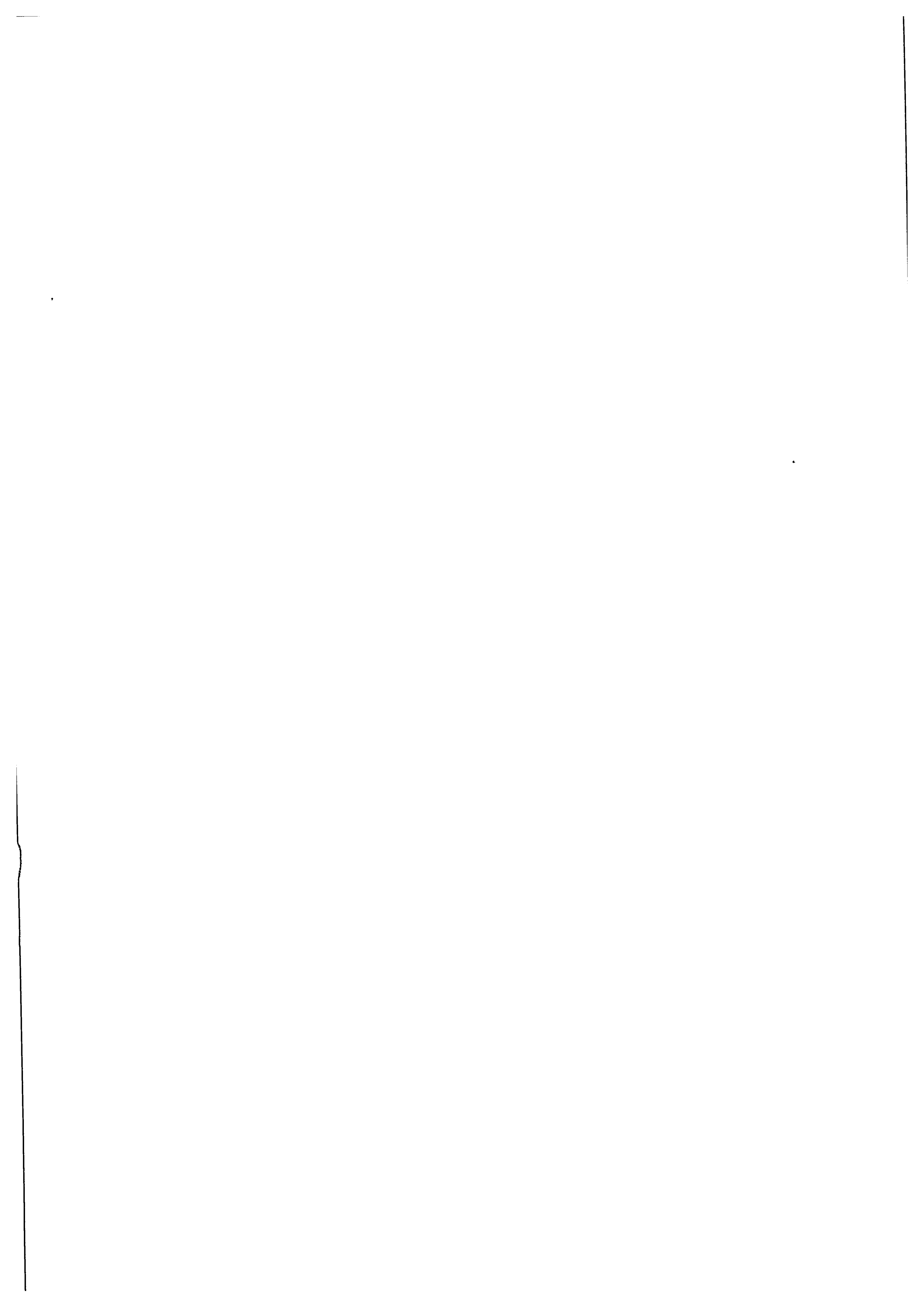
مرة أخرى كانت هناك قطع متناثرة من الضباب في البحر الأبيض المتوسط فلم تتمكن الطائرة التي أقلعت من مالطا أن ترى القافلة هذه المرة والتي كانت قد غيرت طريقها بشكل واضح في منتصف القنال كعمل إحتياطي زائد .

ولم يستطع الطيار إيجاد السفن خلال هذه القطع من الضباب لذلك فقد سار يبحث في هذه المنطقة في السماء الخطرة إلى أن تمكن فجأة من رؤية السفن خلال فجوات صغيرة من الضباب الكثيف وهي تسير في طريق غير الطريق الذي أخبروه عنه، وكان ارسال رسالة رمزية بواسطة طائرة بريطانية واحدة ينطوي على مخاطر عديدة ويعتبر عملا انتحاريا وخاصة إن كان بعيد عن الجزيرة طالما يتمكن الالمان في جزيرة صقليا من إيجاد مكان الطائرة وتستطيع عند ذاك أن تعترضها طائرة معادية قبل أن تصل إلى قاعدتها ومع ذلك جازف الطيار الشجاع وأرسل رسالة يخبر فيها عن مكان القافلة ودفع حياته ثمناً لذلك . تمكنت البحرية من سماع الرسالة الرمزية فاقتربت البحرية من القافلة حيث كانت على مقربةمنها فاغرقت هذه القافلة الأخيرة في الوقت المعين تماماً ، فثارت ثائرة روميل وامتلأ غضباً فأرسل رسالة رمزية إلى الجنرال كيسلرنغ يشكره فيها على وصول برميلين أو ثلاث براميل كانت طافية بالقرب من الساحل من السفينة المحطمة .

وأنا شخصياً ، أعود بذاكرتي إلى الوراء لاحداث شهر تشرين الأول من **١٩٤٢** فأجدها أكثر الأشهر أثارة في زمن الحر .

وأن تعاوني الوثيق مع المستر شرشل علمني كيف أتعامل مع رجال عظام اخرين من رجالات الحربَ العلمية الثانية وازن دوماً تماماً في عقلي المسؤوليات الملقاة على عاتقهم .

وبالرغم من أن المستر شرشل قد ابتهج جداً بقدر ابتهاجي حول مطاردة الفيلق الافريقي إلا أننا بذلنا جهدنا في اخفاء ذلك ، ومع ذلك ، بدأت أدرك ، بأسلوب غريب نوعاً ما ، ما يدور في ذلك العقل الكبيرعندما أتكلم معه بالهاتف .



الباب العاشر

الشؤون البحرية وإيجاز الامريكيين

إنني لا أقصد حينما أروي قصتي بأن أعطي انطباعاً بأن الاحداث التي جرت في شمال افريقيا والتي بلغت ذروتها بانتصارنا في العلمين كانت قد شغلت كل اهتمامي أو اهتمام (الاسرار فوق العادة) طوال فترة ٢٠ شهراً وهي الفترة بين وصول رومل إلى سرينكا في شهر شباط عام ١٩٤١ وانسحابه السريع في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٢ ، وبينما كانت ساحة العمليات هذه تستأثر بجل اهتمامنا لأننا كنا في موقف خطير جداً ، فقد كانت تجري أحداث اخرى . وكان احدها يتعلق بالعمليات البحرية في الاطلسي ، وبينما لم أكن منهمكاً بصورة مباشرة بالاحداث التي تتعلق بالبحرية إلا أنني كنت أبعث الرسائل الرمزية التي تعالج قضايا البحرية بصورة خاصة إلى مدير الاستخبارات في القيادة البحرية بلغتها الأصلية ـ الالمانية ـ وكنت أعرف عدداً من التطورات المثيرة .

ولقد كتبت روايات عديدة عن معركة الاطلسي ولكن لحد الآن لم يتمكن أي شخص من أن يكشف دور (الاسرار فوق العادة) في هذه المعركة وأن أحد أعظم الأمثلة المثيرة هو الذي حدث في قضية البارجة بسمارك ، وكان لغرق السفينة البريطانية (هود) يوم (٢٤) مايس (ايار) عام ١٩٤١ أثره البليغ في نفوس جميع البريطانيين ، ثم جاءت الاخبار معلنة بأن البارجة الالمانية العظيمة قد هربت يوم (٢٥) ايار وعرفنا جميعاً بأننا فقدنا الاتصال معها . وفي الصباح الباكر من يوم (٢٥) ايار بعث اللواء البحري (لوتينز

Lutyens) رسالة رمزية طويلة إلى مقر البحرية الالمانية لأنـه كان يتصـور بأن السفينـة الحربيـة البريـطانية تتعقب أثـره . ولقد ذكـر في رسالتـه هـذه جميـع الصعـوبات التي يـواجهها وكـانت الصعوبـة الرئيسيـة هي قلة الوقـود بسبب المعارك المبكرة وطلب في رسـالته تـوضيح مـا يجب عليه عمله ، وكـانت هذه الرسالة الرمزية والتي التقطناهـا هي السبب في كشف موضعـه مـرة أخـرى . وإنني أتـذكر مـا أصاب الضبـاط من الحماس والاثـارة في العمـل لمـا وصلت الـرسالـة الرمـزية الثـانية بـواسطة الهـاتف من الكوخ رقم (٣ بـأن الأوامـر صدرت إلى البارجة بسمارك بالتوجه إلى (بريست) حيث المكـان الذي يمكن حمايتها بواسطة جميـع وسائـل الحمايـة الجويـة والغواصـات . وتطلب منـا أن نعـرف بعدئذ بأن القيادة البحـرية كـانت قد أعـدت من قبـل الخطط لتتغلب عليها ، أما حينما تعود باتجاه الشمال قاصـدة المانيـا أو باتجـاه الجنوب قـاصدة فرنسا ، غير أن موضعها أصبـح الآن معروفاً بشكـل أكيد ، وفي يـوم (٢٦) ايار شوهدت البارجة بسمارك في الساعة (١٠٣٠) ق . ظ .

وسيوافق العارفون ببواطن الأمور بأن (الأسرار فوق العـادة) هي التي كـانت المحور لمعـركة الاطلسي ، ولم تكن أكـثر أهمية من كـونها معركـة بـين الغواصات الالمانية وبين قوافل سفن تجارية، وسفن حراستهـا والتي كانت بمـا تحمله من المـواد التموينيـة مهمة جـداً لبريـطانيـا طـوال السنـوات الأولى من الحرب ، لا بذكر دورها في تموين القطعات والصنوف لغرض انتصار الحلفـاء النهائي .

ولمـا كشفت (الاسرار فـوق العادة) للبحـرية المعلومـات بالتفصيـل ، تمكنا من قراءة ليس فقط الوصايا العديدة التي كانـوا يرسلونها إلى الغـواصات في البحـر بل إنمـا أيضاً حصلنـا على معلومـات دقيقة جـداً عن مـواقعهـا من الرسائل المرسلة من الغواصات لكي يحيطوا الأشخاص العاملين علما بما يدور حولهم . ولم يمض وقف طويل حتى ندرك أهمية هذه الرسائل ليس بالنسبة إلى قسم الاستخبارات البحرية فقط والذي كـان قادراً عـلى انذار السفن بسـرعة

عن مواضع الغواصات بل أيضاً بالنسبة إلى القيادة الساحلية التي جاءتها الفرصة لتعيين أماكن الغواصات ومهاجمتها حالما تصبح ضمن مدى الطائرات وهي في طريقها من وإلى موانىء الوطن من بحر البلطيق متجهة إلى خليج بسكاي ، وكانت تلك المعركة ضد الغواصات معركة ناجحة جداً وبقيت عملية القتل بشكل واضح سراً على الأقل حتى منتصف عام ١٩٤٢ ، وبدأ استخدام (الاسرار فوق العادة) الرئيسي بحيث تظهر براعة القيادة البحرية في تسيير قوافلها حول أماكن اختفاء الغواصات أو مجموعة الغواصات أو تبتعد عن تلك الأماكن .

لا يمكن للبحرية أن تستخدم اسلوب وحدة الارتباط الخاصة بطبيعة الحال بالنسبة إلى جميع سفنها ، واستخدمت بدلا من ذلك الجفرة الخاصة بها، لأن جميع وصاياها كانت تستند على معلومات (الأسرار فوق العادة) والتي كانت تعمل على نفس المبدأ (استخدام الورقة لمرة واحدة) ثم عرف ما عدا تلك التي تكون على اسلوب الكتاب وعليه جرى استخدام صفحات مجموعة أرقام كيفما اتفق لمرات عديدة .

وفي أواخر عام ١٩٤٢ أخذت عملية تدمير الغواصات تتضاءل وبدأت مجموعة الغواصات الالمانية تلعب دوراً كبيراً في الاطلسي وتدمر قوافلنا بحيث أصبحت معركة الاطلسي في عام ١٩٤٣ حرجة .

ومن حسن حظنا أن المقدم البحري الفطن دينئك Denning الذي كان يعمل في قسم استخبارات البحرية في مواضيع (الاسرار فوق العادة) أخذ ينتابه الشك حول الرسائل فبدأ يبدل في سجل الجفرة فتمكنت البحرية مرة أخرى من التغلب على الغواصات ، وقد كشف الاميرال كارل دونتيز في مذكرته بعد انتهاء الحرب بأن الالمان كانوا يلتقطون رسائلنا البحرية ويفكون رموزها في تلك الفترة الحرجة .

ولبيان مقدار أهمية وجود الارتباط الوثيق بين مُعِدّي الجفرة ومحللي رموزها علينا أن نسترشد بالحقيقة بأن الالمان كانوا قادرين طوال مدة سنتين

على استخدام مجموعةمن الأرقام العشوائية الكائنة على صفحات أعمدة سجل الجفرة البحرية بطريقة أقدم جيل فك الرموز المتضمنة بالتركيز على تكرار العنوان . مثلاً ، تبدأ معظم الرسائل الرمزية دائماً بتفاصيل مضبوطة إلى الجهة المرسلة وبأي عنوان مثل : إلى القائد العام للجبهة الغربية ، المقرات البحرية ، بورتسماوث . وهكذا تكون مجموعات سجل الرموز لهذه العناوين المخاطبة معلومة في الحال لدى الالمان وما عليهم إلا أن يطرحوا هذه المجموعات من الأرقام من مجموعات الجفرة التي تمثل بصورة واضحة العنوان الكامل على مئات الرسائل الرمزية المرسلة إلى ذلك القائد العام ثم يملأون أعمدة سجل جفرتهم بمجموعات الأرقام المتبقيةأمن مجموعة الأرقام .

وبعدما يحصلون على نسبة ولو يسيرة من هذه المجموعات يبدأون بحل الرسائل الرمزية بأنفسهم .

ولا بد أنهم تحيروا حينما قرأوا رسائلنا الرمزية حينما عرفنا مواضع غواصاتهم ولكن من حسن حظنا أنهم لم يصدقوا بأننا قد فككنا رموز جهازهم (الانيكما) .

إن تعقب أثر الغواصات في حرب الاطلسي ما هو إلا عمل جليل ناجم عن تعاون الاستخبارات مع قسم العمليات في غرفة العمليات الحربية في مقر القيادة البحرية .

وبالاضافة إلى ذلك ، كان هناك ثلاثة ارتباطات ذات علاقة كفوءة جداً بين روجر واين Roger Whyn الكائن في مقر القيادة البحرية والذي زوده المستر ساندرز Saunders الكائن في الكوخ الرقم (٣) بمعلومات موجزة. والمستر ماكس هورتن Max Horton الكائن في مقر القيادة الساحلية وليفربول ، وكنتيجة لذلك ، أصبح المستر شرشل على علم دائم بالصورة بمساعدة القيادة البحرية .

وإنني أعتقد أنه من المحتمل أن إحدى المساهمات الأكثر أهمية التي

أنجزتها (الاسرار فوق العادة) آزاء حرب الغـواصات هي تلك التي حـدثت فيـما بعد في عـام ١٩٤٣ حينما كـانت مسؤولة عن تحـديد مـوقع سفن تمـوين الغواصات الالمـانية في الاطلسي ، وكـانت أكثر المنـاطق خطورة للغـواصات حينما تأتي إلى قواعدها وتغادر هي تلك المياه التي تكون ضمن مـدى طائـرات القيادة الساحلية وضمن مدى المدمرات البحرية ، وعليه ، لأجل تمـديد مـدة بقاء الغواصـات في البحر ، كـانت سفن التموين التي تحمـل الوقـود والأنواع الأخرى من التموينات تتحرك حول المحيط وكانت الرسائل الرمزية تعطي إلى الغواصات أماكنها المتغيرة والتي تحدد لها المثابات بعدئـذ للالتقـاء بهذه السفن حالما تكون أماكنها معروفة ، ففي عام ١٩٤٣ أصبحت أمـاكن السفن المتغيرة معلومة لدينا بواسطة (الاسرار فوق العادة)، وكان الارتباط وثيقاً بين القيادة الساحلية وبين الامريكان الذين كانوا قادرين بشكل خاص على تغـطية طـرق القوافل البحرية الكائنة في القسم الجنـوبي من الاطلسي . وتمكن الامريكـان بحماسهم المثالي من إغراق سفن التموين في الحال .

وكانوا ، وبحث من المستر جاك سليسر القائد العام للقيادة الساحلية ، لا يعطون المجال للاميرال دونتيز بأن يشك في (الاسرار فوق العادة) وكـانوا يفرقون سفن التموين خلال فترة طويلة من الزمن . لا بد وأنها كـانت إحدى الضربات القوية جداً التي كابدتها الغواصات .

وأخـير وفي منتصف عام ١٩٤٣ ، تمت السيـطرة عـلى الغـواصـات في الاطلسي ثم تحـطمت أخيـراً بسبب الخسـائـر الجسيمـة في سفن التمـوين ، وأدخـل استعمال نـوع جديـد من الرادار في الـطائـرات لكشف الغـواصـات (الأنواع القديمـة من الرادار كـانت معرضـة للانكشـاف من قبل الغـواصات بحيث يتيح لها المجال للغوص في المياه قبل وصول طائرات الحلفاء) ثم أخيراً أتاح التراخي بقواعد الامنية الصارمة إلى (الاسرار فوق العادة) بحيث أمكن الاخبار عن مواضع الغواصات بواسطة الجهاز اللاسلكي إلى طائرات الحلفاء في عمليات البحث عن الغواصات .

ولقد حصلت (بليجلي) على واحدة منها حينما أسرت البحرية غواصة مع كامل جهاز الانيكما ومفتاح الجفـرة بصورة سليمـة . وهذا مما وفر جهـدا كبيراً من العمل كـما عملت كغطاء ممتـاز آزاء شكوك الالمـان من أننا قـد نقرأ رسائلهم المجفورة .

كما كانت هناك فرص بحرية أخرى على ارتباط وثيق مع (الاسرار فوق العادة)، ولقد شرحنا بعضا منها في أجزاء أخرى من هذا الكتاب، غـير أنه لا بد لنا أن نذكر القصة الخفية من المعارك البحرية في الحرب العـالمية الثـانية في المحيط الاطلسي والمحيط الهاديء معاً .

والعمـل الآخـر الـذي أشغلني كثيـراً خـلال عـامي ١٩٤١ ١٩٤٢ في تشكيل وحدات الارتباط الخاصـة مع وحـداتنا في المحيط الهـاديء وفي القيام باعلام القادة البريطانيين والامريكيين مع هيئة أركـان استخباراتهم عن أهميـة المعلومـات الصـادرة من (الاسـرار فـوق العـادة) وعن أهميـة الامنيـة في استخدامها .

ولا أعلم متى أخبر المستر شرشل المسـتر روزفلت عن (الاسرار فـوق العادة). وربما كان ذلك في لقائهما الأول بعد بيرل هاربر (ميناء اللؤلؤ).

وكان الامريكيون خلال هذه الفترة يلتقطون الرسائل الرمزيـة للبحريـة اليابانية بطريقة مغايرة لجهاز الانيكما، كما طلبوا المساعدة منا: ـ وكـان الالمان رجال تجارة من النوع الممتاز بشكل واضح ، حيث حثوا اليابـانيين عـلى شراء بعض من معداتهم الآلية .

وهكذا شرع الامـريكيون في الـدخول إلى أسـرار جهاز الالمـان السري (أنيكما) وأصبحت واشنطن في الحال مشغولة بجهاز اليابانيين المشابه لجهازنا (الاسرار فوق العـادة). وكان اللواء البحـري نيميتز Nimitz والجنـرال ماك آرثر أول المستلمين ، ووجدت الامـريكيين تـواقين من النـاحية الامنيـة لتبني الاجراءات التي اتخذناها لحد الآن في بريطانيا ، ووجدتهم في الحقيقة على اتم

استعداد للتشديد في هذه الناحية، لذلك كنت مسروراً جداً بأن اترك الموضوع على عاتقهم .

وفي شهر اب عام ١٩٤٢ ، أقام الجنرال أيزنهاور وهيئة أركانه في البيت القديم المسمى (نور فولك هاوس) الواقع في ساحة سانت جيمز في لندن ، حيث كان هناك مقر قيادة قوات الحلفاء لعمليات شمال افريقيا . وبدأت مع وصول الامريكيين في العمل من أجل تنظيم جديد كليا حول توزيع وأمنية (الاسرار فوق العادة) بحيث تغطي جميع قيادات الحلفاء سواء أكانوا في شمال افريقيا ، أو إذا دعت الحاجة ، في أي موقع آخر في ساحة الحرب الغربية .

كما اشتمل العمل أيضاً على سياق ايجاز ملائم لجميع أولئك القادة من البريطانيين والامريكيين والاشخاص المختارين من هيئة أركانهم الذين يجب ادخال أسمائهم في قائمة (الاسرار فوق العادة) .

وفي هذا الوقت اخبرني المستر مينزيز Menzies بأنه قرر تسليم قيادتي العليا في الظل في الكوخ (٣) إلى الإدارة العامة في (بليجلي) .

لا يعلم المرء ابداً ، أين يقف مع المستر مينزيز . ولقد وضح لي بتأكيداته بأنني نائبه مع المسؤولية الكاملة عن ضمان الامنية الحيوية لـ (الاسرار فوق العادة) في الميدان : وعن العمل التام لمصلحة (الاسرار فوق العادة) تجاه رئيس الوزراء ، وأضاف قائلاً بأن العمل سيأخذ كل وقتي وبراعتي لأننا سنبدأ في عمليات تعرضية ، وان هذا العمل كان انقلاباً عنيفاً بالنسبة لي ، لتسلم قيادة الكوخ (٣) ولكن في هذا الوقت كانوا يعرفون العمل تماماً .

وفي أوائل عام ١٩٤٢ ، ألحق العقيد بالمر ديكسن Palmer Dixon في القوة الجوية للجيش الامريكي إلى قسم الاستخبارات في وزارة الطيران، وبينت له الموقف ، بناء على طلب المستر جارلس ميدهيرست كما قمت بايجازه

حول القضاء الامنية الاعتيادية : والآن مع أمل ورود عدد كبير من وحدات القوة الجوية للجيش الامريكي إلى أوروبا رجاني المستر بالمر فيما إذا كان بالامكان الحاق المستر همفري من الكوخ (٣) إلى قيادة القوة الجوية للجيش الامريكي للاشتراك مع هيئة أركانها للاستفادة منه كاحسن مترجم وفي الاستفادة من معلومات (الاسرار فوق العادة) في العمليات . ويبدو أن هذا العمل يمثل مسؤولية كبيرة جداً لذلك كنت شخصياً بجانب هذا الموضوع ، وعلى ما أعتقد فإن ذلك بالتأكيد يؤدي إلى ، في حالة الحصول على المعلومات أن يستفيد قادة القوة الجوية الامريكية من هذه المعلومات ، ولقد نظم المستر همفري ما حصلت عليه القيادة - الظل - بشكل جيد ، بحيث أنها حسبما يعتقد تحتاج إلى مدير جيد لمواصلة ادارتها : لذلك اعددت الترتيبات لنقله بالاعارة إلى القوة الجوية الامريكية حيث يكون عمله.الأول الذهاب إلى شمال افريقيا مع اللواء كارل سباتز Carl Spaatz قائد القوة الجوية الثامنة .

وإن قضايا الامنية والتوزيع المتنامية تعني تزويد وتدريب عدد كبير من وحدات ارتباط خاصة جديدة .

كما أن المستر ستيوارت مينزيز أكد هو الآخر على نقطة مفادها بأن أتنقل في المستقبل إلى جميع مسارح العمليات العسكرية واتحقق من أن (الاسرار فوق العادة)، أعظم الاسرار في الحرب : لا تزال تحافظ على أهميتها ، وقد أكد لي بأن هذه السلطة لن تكون الوحيدة كنائب عنه بل أوضح رئيس الوزراء نفسه لجميع اعضاء القيادة العامة - بأنني أعمل بموجب سلطته أيضاً ، وكان ذلك دلالة واضحة لوجهة نظر رئيس الوزراء عما تحتله هذه المعلومات من أهمية في مجهود الحرب : وعرفت أن الوقت قد حان لتصنيف الوصايا الامنية وجعلها تتفق كلية مع واشنطن . ولقد سبق للامريكيين أن وافقوا على مجمل الاحتياطات الامنية العملية والبداية في المحيط الهادي ،،غير أنني رأيت أن من الافضل ارسال وصايا رؤساء الأركان الامريكية المشتركة إلى الجنرال ايزنهاور لدعم وحدات الارتباط الخاصة التابعة

لنا والتي ستلحق مع قادة القوات الامريكية .

وكنت خلال عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ أولاً مهتماً بشكل رئيسي بالأمنية البدنية (للاسرار فوق العادة) على الهواء وعلى الورق معاً ، وأعتقد أن أحد أصعب الأعمال في ترتيب مجموعة من التوجيهات الأمنية المعدلة هي القيام بموازنة بين ما هو عملي في العمليات ومقبول من لدن المستلمين بينما يتاح العمل ببراعة (للأسرار فوق العادة) .

يجب أن يكون االملاذ الأخير قاسياً في جعل عدد الذين يسمح لهم باستلام المعلومات من (الأسرار فوق العادة) ومعرفتها إلى أدنى حد في القيادات في الوطن وفيما وراء البحار ، وكانت هناك محاولة مستمرة لاضافة أسماء أخرى إلى القائمة إما بطريقة مباشرة أو عن غير طريق غير مباشر من قبل أولئك الاشخاص الذين يريدون الدخول في العمل غالباً إما بعيداً عن حب الفضول أو بأمل الحصول على بعض التقدم ، وكانت هناك اشاعات تدور بين أكثر الناس طموحاً بأن ذلك عمل جيد ، ولقد تحددت القائمة بأربعة أو خمسة أشخاص في كل مقر رئيسي والذين يتحددون إزاء المقرات العليا ، جحافل الجيش ، وقيادات الجيش والقوة الجوية الرئيسية العاملة معاً في ساحات الحرب في أوروبا وفي جنوب شرق آسيا والقيادات البريطانية والامريكية الجوية العاملة في بريطانيا .

وإنني أعتقد ، بأنه من المفيد أن تقيد الشروط الامنية الرئيسية التي تم اتخاذها بعد تجربة سنتين وذلك لاعطاء فكرة ما عن كيفية حماية المصدر .

فالشرط الأول عبارة عن تحديد صارم لعدد الأشخاص الذين يسمح لهم باطلاع على معلومات (الأسرار فوق العادة) ولا يسمح باضافة أية أسماء أخرى على القائمة دون اذن صادر مني ، يكون ضابط وحدة الارتباط الخاصة مسؤولاً عن توزيع رسائل (الأسرار فوق العادة) شخصياً إلى القائد أو إلى أحد أركانه المعين لاستلامها وعلى ضابط وحدة الارتباط الخاصة أن يسترد

جميع الرسائل حالما تتم قراءتها وفهم مضمونها ، ثم إتلافها بعدئذ .

لا يجوز لأي شخص استلم رسائل (الأسرار فوق العادة) بـأن يبث أو يكرر الرسـالة الـرمزيـة (للأسـرار فوق العـادة)، يجب أن يكون كـل عمل يتخذه القائد بناءاً على المعلومات المرسلة إليه من (الأسرار فوق العـادة) على شكل أوامر حركات أو على شكل أوامر أو وصايا بحيث لا يجوز أبـداً الاشارة فيها إلى رسالة (الاسرار فوق العادة) أو إلى ما يؤدي بأن يستدل منها العـدو بأن رسائله تلتقط وتقرأ من قبل العدو .

وحيثـما يكون العمـل المتخذ من شـأنه أن يبعث الشـك في نفس العدو (مثل الاغراق المستمر لقوافل العدو في البحر المتوسط) ينبغي استخـدام نوع من الغـطاء ، كارسـال طائـرة استكشاف ، كـما لا يجـوز لأي شخص يستلم رسائل (الأسرار فوق العادة) أن يضع نفسه قسراً في مكان يتمكن فيه العدو من أسره . وتطلب ذلك في أن أقوم بـايجاز جميـع قادة الحلفـاء وضباط ركنهم الرئيسيين عن (الأسرار فوق العادة) حينما يتولون قيـاداتهم ، إما في المملكـة المتحدة أو في أي مكان آخر من الجبهة الاوروبيـة . ولقد تصـورت بأن جميـع القادة هم على شاكلة واحدة ربما مع اختلاف طفيف في التدريب حـول كيفية خوضهم المعارك ، ولقـد وجدت خـلال الاحداث الأنـواع المختلفة جـداً من الـرجال بحيث أن دخـولي مع كـل واحـد منهم في الحـديث كـان يختلـف عن الآخر لكي أحصل على أفضل النتائج ، وتطلب الأمر مني أن اخبرهم بأنه في الوقت الذي يتسلمـون فيه الـرسائـل الرمـزية الحقيقيـة عن العدو عـلى أعلى المستـويـات وعليهم أيضـاً أن يعملوا بمـوجب نـظام الأمن الصـارم بـالنسبـة لفائدتها ، والأمر المهم هو أن لا يتخذوا أي عمل فوري حول المعلومات التي قد تؤدي إلى أن يشك العدو بأننا على معرفة بخططه . وقد أثار هذا منـاقشة واسعة بالنسبة إلى ما يمكن اتخـاذه من القرارات وقـد وقعنا مـرة أو مرتـين فيما يقـرب من الخطأ خـلال الأحداث الجـاريـة ، وكـان بعض القـادة يميلون إلى الشك قليلاً حتى اتحت لهم رؤ يـة بعض الرسـائل الـرمزيـة الحقيقية من هتلر

والتي أثبتت كونها صحيحة ، وكان عدد قليل من القادة غير مسرورين حول التقييدات الموضوعة حول استخدامها ، أما الأكثرية فقد كانوا مندهشين في النهاية وشاكرين وبذلك كان النظام مقبولاً .

ولقد ضايق النظام المتعلق بالأمنية الشخصية في تجنب الأسر قائدين هما اللواء جورج باتون واللواء جيمي دولتل Jimy Doolittle . وكان الجنرال باتون يحب دوماً أن يكون بالقرب من القتال أما الجنرال (جيمي) فقد كان يحب بالتأكيد أن يواصل مهمة القصف بنفسه .

ومن حسن الحظ ، أن القضية الحقيقية الوحيدة التي تطلبت الحذر حينها قام ضابط كبير من القوة الجوية الملكية بغارة خطرة بصورة خاصة إلى فرنسا . وسقطت الطائرة ، وتطلب الأمر اخبار المستر شرشل عن سقوطها . وكان القلق يسود بصورة واضحة هيئة الأركان الجوية ، ومن حسن الحظ أن تمكن الهاربون في فرنسا من اعادته إلينا دون أن يقع في الأسر ، وكانت احدى الفوائد العظيمة هي أننا بدورنا يجب أن نعرف من (الاسرار فوق العادة) عما إذا كان أي الماني يشك حقيقة بسبب الرسائل الرمزية التي يبعثها إلى برلين ، وعلى العموم ، فإن المساعدة والتعاون الذي تلقيته من أولئك الرجال الذين أصبحوا الآن مشهورين جعلت الأمور سهلة نسبياً . وكلانا (هم وأنا) عرفنا - بأننا أخيراً - نمدهم بمعلومات هي بمثابة دم الحياة ، ولم يكن أي شخص يريد أن تتوقف عن العمل .

والقادة الأوائل الذين تطلب مني الامر أن أقدم لهم ولهيئة أركان الجنرال أيزنهاور شرحاً موجزاً وفي إحدى أمسيات شهر آب دخلت أنا والمستر مينزيز إلى الغرفة الكبيرة الكائنة في الطابق الأول من قصر نورفولك ، جاء المستر مينزيز معي ليضفي على الاجراءات المتخذة شيئاً من الأهمية . وجاء الجنرال أيزنهاور ومعه الفريق مارك كلارك وضباط استخباراته الأقدمون ، ووجدت الجنرال أيزنهاور أقصر قامة مما كنت أتوقع لكنه اعطانا انطباعاً بأنه خبير بالفطرة وهي صفة أساسية لقائد ناجح . وقدم للحاضرين الفريق

كلارك وثلاثـة ضباط من هيئـة استخباراتـه ثم اعتذر حيث قـال بأنـه ورئيس ركنـه اللواء (ولتر بيـدل سمث Walter Badel Smith) سبق لهما وأن عـرفا الموضوع من رئيس الوزراء ، ووجدت الفريق مارك كلارك قلقا منذ البداية ، ولم أشرح فقط ما هو المصدر بل إنما أعطيت بعض الأمثلة التي لها صلة وثيقـة بـالموضـوع لكـي أحـاول أن أثير اهتمـام الفـريق مارك كـلارك عـما يمكن أن يفعله المصـدر . وقررت أن أتنهـج هـذا النهـج مـع الشـرح لكيفيـة وصـول المعلومات إليه والاجراءات الأمنية التي رافقت استخدامها .

وبـدا لي أن الفريق مـارك كـلارك لم يصـدق الجـزء الأول من حـديثي لذلك اعتذر بعد مضي ربع ساعة من الوقت وخرج ومعه ضباط ركنه بحجـة أن لديه عملاً يروم القيام به ، وكان هذا العمل بداية سيئة مما أزعج المسـتر مينزيز وأثر فيه لكنني شعرت بأن ضباط استخبارات الفريق مارك كلارك كانوا مهتمين ، لذلك رتبت بأن أتحـدث معهم مرة أخـرى فيما بعـد ، وفي غضون ذلـك شعرت وأنـا واثق بـأن الجنـرال أيـزنهاور سيتـأكـد من المعلومـات التي استخـدمها نـائبه بصـورة صحيحة ، وتحـدثت مع المسـتر بالمر ديكسن حول الموضوع ، لربما بدأت الموضوع بطريقـة مغلوطة ، وكـان المستر بـالمر شـاكراً وممتناً لأنني أيدت اعارة المستر همفـري إلى القوة الجـوية في الجيش الامـريكي ووجدت في الايجاز الثاني ترحيباً مغايراً جداً من الجنرال (سباتز) الذي كـان يتولى قيادة القوات الجوية للجيش الامريكي في شمال افريقيـا ، ولقد أحببتـه منذ البداية ووجدتـه متحمساً حـول الامكانيـات التي تفتحها (الاسـرار فوق العادة) كما هو الحال مع ضباط استخبـاراته . والـذين استفادوا منهـا عندمـا بدأت العمليات الحربية في شمال افريقيا .

ووجـدت اللواء السير كينث أنـدرسن kenneth Andersnقائـد الجيش البريطاني الأول في شمـال افريقيـا رجلا اسكـوتلنديـاً حذراً ، غـير أن اسئلته البارعة أظهرت بأنـه لم يفقد أي شيء من الأعمـال البارعـة خلال الايجـاز ، وكنت أعرف مـن قبـل مارشال الجو السير ويليام سنبادويلش والـذي كان في

قيادة القوات الجوية البريطانية في القيادة الجوية الشرقية، لذلك أصبح من السهل ايجازه هو وضباط ركن استخباراته ، وكان من الضروري حسبما ظننت ، أن يكون جميع الضباط الركن الاقدمين لعملية (المصباح) وهو الاسم الرمزي لانزال الحلفاء في شمال افريقيا ، في صورة (الأسرار فوق العادة) حالما يبدأون في اعداد الخطة على معرفة بالشكل الذي يتم فيه الاتصال بين رومل وكيسلرنغ والقيادة العليا في برلين والتي يجب أن يعتبروها ممارسة لا تقدر بثمن لكي يدرسوها ، وفي غضون ذلك ، يجب علي أن أجد وأدرب عدداً من وحدات الارتباط الخاصة الجديدة تتألف من ضباط وعرفاء جفرة من القوة الجوية الملكية مع اجهزتهم اللاسلكية الخاصة بهم على أن يتم تمويه كل فرد منهم بشكل دقيق لغرض الأمنية ، وتطلب الامر منهم أن يتعلموا كيفية استخدام الجفرة ذات الصفحة الواحدة من الورق كما توجب على الضباط أن يتعلموا كيفية استخدام جميع الترتيبات الامنية ، والأمر الأهم ، معرفة القادة الذين سيشتغلون منهم .

وعلى أية حال ، وجدت بأن زيارتي الشخصية لمختلف المقرات جعلت الأمنية أن تكون في الخط الأعلى مع أركان القيادة وذلك حسبما اخبرني به ضباطي في وحدات الارتباط الخاصة .

كان علي أن أعرف أولاً من القائد نفسه ما إذا وجد كل شيء على ما يرام ، ولكن كان قسم الاستخبارات يحييني عادة بكلمة (هالو ، ماذا اقترفنا من الاخطاء هذه المرة ؟) . ومن النادر أن تكون هناك أية شكوى من كلا الجانبين .

كنا محظوظين ، تماماً قبل عملية المصباح بأن تفتتح وسيلة أخرى من (الأسرار فوق العادة) والتي أصبحت في غاية الأهمية إلى عمليات قصف الحلفاء الاستراتيجي ، وهذه الوسيلة هي عبارة عن الاسلوب الالماني في الاخبار عن الطقس . ولقد كانت معرفة حالة الطقس في وسط وشرق أوروبا أمراً مهماً جداً فيما بعد وذلك عند اعداد خطة المهمات بعيدة المدى وعليه كان

عامل الطقس من البنود السرية جداً لدى الالمان .

وبالطبع ، لنا الأفضلية على العدو في معرفة حالة الطقس في المناطق الغربية غير أن هذه المعلومات في الأوقات الأخرى ليست بذات قيمة .

وكان الجنرال (سباتز) بعد أن تولى قيادة القوة الجوية السوقية الامريكية في أوروبا والعاملة من المملكة المتحدة ، يدعوني للحضور في مقره حينما يقوم باخبار قادة تشكيلاته لغرض القيام بغارات القصف إلى أبعد ما يمكن . وحالما نجلس في الغرفة ، كما كنا نفعل في الأيام الماضية في الصفوف المدرسية ، في مدرسة البنات (واي كومب أبي) الشهيرة ، والتي أصبحت الآن مقرات امريكية ، كنت اراقب اهتمام ضابط الانواء الجوية وهو يبين حالة الطقس بشكل اجمالي إلى الهدف والعودة ، وإنني سعيد بأن أقول ، بأنه لم يسأله أي أحد عن كيفية معرفته هذه التفاصيل ، ولكن إذا ما استفسر أحد عن هذا التنبؤ فلا بد وأن يسدد الجنرال (سباتز) نظرة بعينين براقتين تنمان عن الذكاء من خلف نظارته ذات الإطار الذهبي نحوي ويقول بهدوء : (أعتقد ، بامكانك الاعتماد على ذلك) . وبالرغم من فقداني السيطرة الشخصية على الكوخ (٣) وعلى القيادة العليا ـ الظل ـ فلا زلت أتمكن من التوجه مباشرة إليه عند الحاجة ، ولم يخبرني المستر مينزيز أبداً عن السبب الحقيقي الذي أخذوا منه قيادة (الأسرار فوق العادة) لكنني تمكنت بالتدريج من جمع المعلومات والحقائق التي حدت بوزارة الخارجية ومدراء استخبارات القوات المسلحة حيث اقلقهم وجود (الأسرار فوق العادة) بايدي المستر مينزيز ، لذلك قررت وزارة الخارجية أن تجعل السيطرة على هذا المصدر الحيوي من المعلومات من اختصاص لجنة استخبارات مشتركة وأعطيت إلى رئيس مجلس وزارة الخارجية (كفانديش بينتنك Cavendish— Bentinck) ولقد اتضح بأنه من المعقول أن تجعل جميع الدوائر في بليجلي تحت ادارة مدير واحد ، وهو المقدم البحري ترافيز Travis والذي حل محل المقدم البحري دينستون Denniston المؤسس الحقيقي لـ (الأسرار فوق العادة) والذي اعيد إلى لندن للقيام بواجبات أخرى من واجبات حل الجفرة .

(المصباح) الاسم الرمـزي لعملية الانـزال في شمال أفريقيا

طرت إلى جبل طارق قبل الثامن من تشرين الثـاني عام ١٩٤٢ للتـأكد من عدم فقدان أي فرد وللبقاء على اتصال دائم مع ايزنهاور قبل أن يصل إلى الجزائر : وكانت لحظة مثيرة إذ أقامت وحدة الارتباط الخاصة التابعة للجنرال أيزنهاور مقرها في مجموعة العمليات حيث حفرت مواضعها في الصخور وكان الطقس باردا ومرطباً ، وقد أصبحت جميع التخـطيطات تمـاماً حقيقـة وتطلب الأمر اختبار وحدة الارتباط الخاصة في العمليـة التعرضيـة البرمـائية العـظيمة للحلفاء : ومن العجيب أن تكون (الأسرار فوق العادة) ذات القيمة العالية جدا غير ايجـابية في تلك الأيـام وقبل البـدء بعمليات الانـزال تمامـا في شمال أفريقيا .

كانت تجري اتصالات على شكل رسائل رمزيـة قبل شهـر بين الجنـرال كيسلرنغ وبرلين حيث يبلغ كل واحد منهما الآخـر بتقاريـر الاستخبارات فيـما يتعلق بانزال الحلفاء المقبل في غـرب البحر المتـوسط ، وقد اعتـرف كيسلرنغ بانه لا يعـرف المكان الـذي سيتم فيه الانـزال ، غير أنـه بدأ في بـداية شهـر تشرين الثاني بارسال رسائل رمزية يذكر فيها بأنه يتوقـع أن يكون الانـزال في شمـال افريقيـا ، صقلية أو في سـردينيا وكـانت هذه المعلومـات مهمـة جـداً وخاصة في تلك الفترة لأنه لو كان الجنرال كيسلرنغ على علم اكيد بمقـاصدنـا لكان من المحتمل استخدام الفرنسيين في الجزائر في مقاومتنـا والتي لا بد وأن تسبب لنا الكارثة ،.ومع ذلك، فقد طلب من هتلر ارسال قطعات أخرى لكي

تتحشد في جزيرة صقلية وفي جنوب ايطاليـا كعمل وقـائي غير أن هتلر رفض طلبه مرتين ، مما حدا بالجنرال كيسلرنغ بـأن يصدر أوامـره لمثل هـذا التحشد من القطعات الكائنة تحت تصرفه في جنوب ايطاليا مع كل طائـرة نقل تتيسـر لديه .

ثم توقف بعد ذلك عن ارسال الرسائل بعد ارسـاله رسـالة رمـزية إلى برلين بأن الالمان شاهدوا قوافل بحرية بالقرب من السـاحل الاسبـاني ، ولقد ابتهج الجنرال أيزنهلور بهذا الدرس الأول من الرسائل المرسلة غير الواردة عن طريق (الاسرار فوق العادة) مما أعطانا كل الامل بأننـا يجب أخيرا أن نحقق المباغتة ذلك المبدأ المهم جدا في الحرب .

وكان الجنرال كيسلرنـغ حسبما نعلم قـائداً في القـوة الجويـة وعلمنا من قبل من (الاسرار فوق العادة) بـأنه يـرصن مواضـع قيادتـه بهدوء في البحـر المتـوسط وانه لن يضيـع أي وقت سدى منـذ اندحـار رومل في العلمـين لأنه يعلم إلى أين سنتوجه .

وكان التفكير التقليدي للالمان هو (لماذا التوجـه إلى الجانب الآخـر من البحـر المتوسط والنـزول فيه حينـما يكـون هـدفـك واضحـاً وهـو النـزول في أوروبا ؟) ، وكان الامريكيون يفكـرون بمثل هـذا التفكير أيضـاً حينما أرادوا الذهاب بتهور إلى فرنسا قبل أن يحثهم المستر شرشل بأن يحـاولوا أولاً القيـام بعمليـة شمال أفـريقيا : لـذلك : أعتقـد بـأن هـذا هـو السبب الـذي حـدا بالجنرال كيسلرنغ بأن لا يفعل أي شيء ما عدا الانتظار والتريث كما انتـظرنا نحن أيضاً في منطقة الروك (في جبل طارق) .

وحينما كنا في جبل طارق أرسل الجنرال رومل رسالة رمزيـة إلى الجنرال كيسلرنغ مقترحـا بأنـه سينسحب إلى الخلف إلى العقيلة الواقعـة على الحـدود الليبية بالنظر إلى امكانية انزال الحلفاء في شمال افريقيا ، وكانت هذه الرسالة أهم الرسائل إلى الجنرال مونتغمري في تلك اللحـظة : لكنها فـرضت أنه إذا استـطاع الجنرالِ كيسلرنـغ الصمود في تـونس فان قـطعاتـه ستلتحق بـالفيلق

الافريقي المنسحب . لم تمض فترة طويلة حتى اتضح لرومل هدفنا كما لم تمض فترة طويلة حتى عرف الجنرال كيسلرنغ هو الآخر هدفنا ، ففي رسالة أرسلها ضمن (الاسرار فوق العادة) إلى المفوض الالماني في تونس يأمره فيها بأن يعقد إتفاقاً عاجلاً مع الفرنسيين حيث يستولي الالمان على جميع تسهيلات المطارات والموانيء في تونس وبينزارت : ووصلت رسالة أخرى من هتلر بعد فترة وجيزة من ارسال الجنرال كيسلرنغ رسالته الرمزية يعطي فيها الاذن لكيسلرنغ (باحتلال هذه المناطق وتهيئة القوات لارسالها إلى تونس) . ولكن ، بما أن هتلر رفض أخيراً ارسال أية تعزيزات له ، فلا بد وأن يعمل كيسلرنغ بما يتيسر لديه من القطعات ، وكنا نعلم من (الاسرار فوق العادة) تأليف هذه القوة ، وأما الأمر الذي لا نعرفه فهو السرعة التي يتم فيها نقل هذه القوات إلى شمال افريقيا ، ومن سوء الحظ ، أن الموقف السياسي والعسكري للفرنسيين في الجزائر كان موقفا تسوده الفوضى ولقد وصل الجنرال أندرسن قائد الجيش البريطاني الأول إلى الجزائر بعد يوم من شن الهجوم كما وصلتها القوات الامريكية مع وحدات الارتباط الخاصة بها بنفس اليوم أيضاً : وقرأنا في مساء ذلك اليوم رسالة هتلر الرمزية الموجهة إلى قائد الجيش الالماني في باريس يأمره فيها باحتلال بقية أجزاء فرنسا .

ولقد أظهرت هذه الرسالة سلسلة من ردود الفعل في لندن حول حماية الاسطول الفرنسي في طولون لاننا بطبيعة الحال لا نود أن يقع في أيدي الالمان ، لذلك أعدت الترتيبات للاتصال بالفرنسيين في لندن حول امكانية اعداد بعض الترتيبات التي يمكن بها أن يقلع هذا الاسطول ويلتحق باسطولنا البحري في البحر المتوسط ، وأخيراً عالج الفرنسيون انفسهم هذا الموقف إذ أنهم اغرقوا الاسطول .

فلو كانت ردود فعل الجنرال كيسلرنغ قبل الانزال غير اكيدة لما كان هناك ما يعيقهم حول الموضوع الآن . فقد كانت هناك رسائل رمزية مستعجلة التقطتها (الاسرار فوق العادة) صادرة منه إلى القوة الجوية وإلى

تشكيلات الجيش يأمرهم فيها بالقيام برفعات جوية فورية لنقل القطعـات إلى تونس وبنقل الاسراب المقاتلة إلى مطارات تونس وبينزارت .

وكان بوسعه أن يبرق إلى برلين يخبر فيها بأن طائرات القوة الجـوية قـد هبطت في تونس مع رفعة جوية من القـطعات لحـراستها وذلـك بعد يـوم من انزال الحلفاء في الجزائر .

ولقد كانت هـذه الاخبار مـزعجة للجنـرال اندرسن وتـطلب الأمر من الجنرال ايزنهاور أن يراقب الاحداث طوال اليومين التاليين لكامـل القطعـات الالمانية المنقولة جوا من ايطاليـا بسرعـة وبشكل غـير متوقـع حينما أمـر رئيس أركان الجيش الامريكي باجراء الانزال إلى الغرب اكثر في الدار البيضـاء وفي أوران والجزائر بـدلا من الشروع في الانـزال بعيدا إلى الشـرق ، وهو المسلك الذي اقترحه البريطانيون .

لقد نزل الجنرال ايزنهاور في الجزائر يـوم (١٣) تشرين الثـاني ، وأردت أن أكون هناك يوم (١٠) تشرين الثـاني على ظهـر طائـرة قنص الغواصـات ، وفي منتصف الطريق اشار الطيار إلى وجود شبح اسـود يتحرك في البحـر تحتنا وكاد الدولفين المسالم أن يصاب بصدمة .

ولقـد اراحنا دفء الجـزائر بعـد مغادرتنـا برد لنـدن ووجدنـا الاشجار الباسقة مليئة بالازهار المختلفة الالوان كما وجدنا البـرتقال متوفراً بكثـرة ، ولم يهـدأ نقاشي أبـدا مع الضـابط الطبيب فيـما إذا كان البـرتقال أو حقن الحمى الصفراء هي التي سببت اليرقان .

وكان مقر الحلفاء الكائن في فندق سانت جورج يقع في منتصف الجبـل المطل على المدينة ويبدو للعيان بلونه الأبيض البراق نظيفاً ، وللاسف الشديـد وجدت حينما دخلت الفندق بان كلا من (سنباد) ويلش قـائد القـوة الجويـة الملكية والجنرال أندرسن قائد الجيش البريطاني الأول غير موجودين . فتعقبت أثر ويلش إلى مقره الجـديد الـواقع بـالقرب من مـطار ميشن بلانـج Maison

Blanche واخبرني بأنه وجد منطقة كنك جورج مزدحمة جـداً بحيث لا يمكن الاشتغال بكفاءة .

أما مقر الجنرال اندرسن فقد كان من الصعب ايجـاده ، لأنه نقـل مقره إلى بيت في مزرعة معزولة يقع بين تلول مغطاة بالشجيرات على بعد (٣) أميال تقـريبا شـرق الجزائـر ، وهذه المنـطقة تبـدو كأنها مشـابهة لمـوطن اندرسن في أسكوتلانـده وشرح لنـا مع ابتسـامة سـاخرة بـأنه انتخب هـذا المكان بحيث يراقب خط سكة الحديد الوحيدة التي لا بد وأن تحمل التموينات إلى الجبهة .

وبالنظر للاخبار الـواردة من (الاسرار فـوق العادة) عن تنقـل الجنرال كيسلرنغ السريع إلى تونس فانه يبذل قصارى جهـده بتحريـك الجيوش نحـو الشرق قبل أن يحتل الالمان منطقة كبيرة من الأرض . ووجدته شاكرا لرسائل (اسرار فوق العادة) الفورية ثم جرنا الحديث في مساء ذلك اليوم ونحن على مائدة العشاء في ذلك البيت القديم في المزرعة إلى موضوع التعليم الثانوي في سكوتلانده والذي يبدو أنه اهتم به بحنان ، وعلى أية حال ، استلمنا فيها بعد في ذلك المساء أوامر الجنرال كيسلرنغ والتي أبرقها إلى القيادة الجوية في تـونس بان يقوم فوج مظلي بـاحتلال المـطار الساحـلي في (بون Bone) الـواقع عـلى طـريق تقدم الحلفـاء ، وكان من الضـروري ان يحتل الحلفـاء هـذا المـطار ، كانت المطارات الجوية متباعدة الواحد عن الآخر وقليلة العدد ، وكانت أوامر كيسلرنـغ تقضي بأن يحتـل الالمان هـذا المطار في (١٢) تشـرين الثـاني أي في اليوم التالي ، وهذه الرسالة جعلت المقر ينهمك في الاعمال في ذلك المسـاء ، فصدرت الأوامر إلى فوج صغير من القطعات المظلية البـريطانيـة كان تـدريبه لفترة قليلة جداً إلا أنه كان على الأقل متواجداً في الجزائر بأن يحتل هذا المطار أي مـطار بون في صبـاح يـوم (١٢) تشـرين الثـاني قبـل أن يصله الالمـان . وتـطلب ذلك الحصـول على عـدد من طائـرات داكـوتـا الامـريكيـة لنقله إلى هناك .

وبـالرغم من مضي الـوقت ، إلا أن العمليـة تمت في وقتهـا المحـدد ،

ولقد شاركت ضابط ارتباط القوة الجوية الملكية لاندرسن ونمت في غرفته على سرير سفري في تلك الليلة الدائمة الحركة فنهضنا مبكرا قبل الفجر ونحن ننتظر أخبار السباق ازاء الالمان ، وبما أنهم لا يعرفون بأننا سنقوم بانجاز نفس العمل الذي سيقومون به لذلك فلنا الافضلية عليهم .

ومن حسن حظنا أنهم غادروا تونس بعد مغادرتنا الجزائر حيث أن الطائرات الامريكية الناقلة لقطعاتنا المظلية اقلعت من المطار عند الفجر ، وكانت العملية اشبه بسباق مثير فكانت الغلبة للحلفاء ، حيث أن الطائرات الالمانية وصلت تماما في الوقت الذي هبطت فيه آخر قطعة مظلية بريطانية فوجب من الالمان أن يعودوا أدراجهم إلى قاعدتهم ، وبهذا كانت العملية مفرحة أيضاً ، فلو تأخر الاقلاع لتناولوا الفطور المؤلف من عصير البرتقال ومن لحم الخنزير والبيض في بيت المزرعة القديم ، وهذا الحادث أقنع كلا من الجنرال اندرسن وضباط ركنه حسبما اعتقد بأن (الاسرار فوق العادة) يمكن أن تكون ذات فائدة تعبوية فضلا عن الفائدة الاستراتيجية وبأن هذا الحادث كان حالة كلاسيكية حقاً ، ولم يتمكن الجنرال كيسلرنغ من الشك بأننا قرأنا رسالته الرمزية . وفي الجزائر رأيت اللواء البحري كننكهام الذي كانت وحدة الارتباط الخاصة تزوده بتقارير الموقف العام من موقعها في فندق سانت جورج والتي كانت تسهر على شؤون الجنرال أيزنهاور وويلش بالاضافة لما لديه من أجهزة الاستخبارات الخاصة بالبحرية وحدها .

انني لم أبحث معه موضوع (الاسرار فوق العادة) الخاص بالبحرية لكنني عرفت من آمر القوة الجوية في جبل طارق ، الذي كان سابقاً آمر طيراني الأول في فرنسا عام ١٩١٧ ، بأن (الاسرار فوق العادة) قد تمكنت من معرفة موضع الغواصة الالمانية في البحر المتوسط .

إن الغواصات لم تزعجنا بالتأكيد لا في الجزائر ولا في تلك العمليات البرمائية الأخرى في المنطقة فيما بعد .

ولقد تطلب الأمر مني أن أركب أحد الخيول الحربية ، طائرة دوكلاص

داكوتا الشهيرة لاعود إلى جبل طارق ثم اركب طائرة شراعية إلى بلايموث ولقد أعددت الترتيبات بحيث أعود إلى الجزائر ضمن ستة أسابيع . وفي غضون ذلك : تطلب الأمر مني أن اراقب العملية من وجهة نظر الالمان في لندن بمساعدة الجنرال كيسلرنغ .

ولقد وجدت الترتيبات التي كنت قد أعددتها لعناوين الرسائل الرمزية المرسلة إلى رئيس الوزراء قد سارت على ما يرام طيلة مدة غيابي ، ووجدت أيضاً بأن صفة الاستعجال التي يتميز بها عند طلبه رسائل (الاسرار فوق العادة) قد تراخت قليلاً ، والآن وبعد أن اصبح الجنرال ايزنهاور القائد الاعلى لعملية المصباح فبامكان المستر شرشل أن يستريح من عناء توجيه اهتمامه إلى الحرب في شمال افريقيا والتي كانت لحد الآن تحتل مكاناً كبيراً من اهتمامه .

ولقد عرفنا الآن من (الاسرار فوق العادة) بأن القيادة الالمانية العليا قد وعدت الجنرال كيسلرنغ بمده بتعزيزات هائلة ، ذلك الوعد الذي يسوده الشك بعد التجارب مع رومل .

ومع ذلك ، استطاع الجنرال كيسلرنغ أن يخبر برلين في نهاية شهر تشرين الثاني بأنه قد أنزل ما يقرب من (١٥) ألف جندي مع (١٠٠) دبابة في تونس كما أن هناك (٨) آلاف جندي أيطالي تقريباً كانوا قد وصلوا المنطقة ، وكانت الدلائل تشير إلى أن الالمان يستطيعون الآن صد الحلفاء بالاستفادة القصوى من الأراضي الوعرة . واشتملت الصورة التي كانت تعطيها (الاسرار فوق العادة) في نهاية شهر تشرين الثاني فصاعداً على وجود ليس فقط القوات الالمانية بقيادة الجنرال (ولتر نيهرنك Walter Nehring) في تونس فحسب بل انما وجود الفيلق الافريقي لرومل المنسحب من سرينكا في الشرق .

أما هتلر ، الذي تولى القيادة البعيدة للفيلق الافريقي ، حسبما بينت (الاسرار فوق العادة) فقد أمر رومل بأن يتوقف في العقيلة ويتخذ له

مواضعَ دفاعية . و وهذه الرسـالة هي التي عجلت بـالجنرال مـونتغمري بـأن يرسل الفرقة النيوزلندية الثانية لتقوم بقطع خط انسحاب رومل .

أما رومل فأنه لم يتوقف أخيراً في العقيلة وأبرق إلى روما وبرلين يعلمهم فيهـا عن مقصده وهـو الانسحاب إلى خط حمص في تـونس واننـا عـرفنـا من (الاسرار فوق العادة) بأن هتلر أمر رومل بأن يتوقف ويتخذ موضعـاً دفاعيـاً ابعد ما يكون للشرق بقـدر الامكان ، وهـذا هو السبب الـذي جعل رومـل يتخـذ قراره بحفـر الخنادق في (بـوارت Buerat) الأمر الـذي كان ابعـد ما يكون عما قـرره في نفسه ، فـأبرق إلى هتلر بهـذا الخصوص وهـذا هو السبب الذي قرر فيه مونتغمري ارسال فِرقته المدرعة السابقة خلال الصحراء لمهـاجمة الموضع من الجناح الغربي .

وبعد وقوف رومل في العقيلة حصلنا على قوات كثيرة منه ولكن بالرغم مما يلاقيه من الصعوبـات الهائلة في الـوقود والتمـوينات الأخـرى إلا أنه كـان يملك قوة مناسبة من الدبابات .

وبحلول عيـد الميلاد كنت اتلقى الـطلبات العـديـدة لتـزويـد المنـاطق الامـامية في تـونس بوحـدات ارتباط خـاصة عديدة، لـذلـك قـررت أن أرى المواضع بنفسي قبل توسيع توزيع جماعة (الاسرار فوق العادة) .

وهـذا يعني التعرض للخـطر العظيم والـذي يجب أن يكون هنـاك مـا يبرره .

ولقـد وجدت بعض التبـدلات في المقر ، فقـد جاء تيـدر Tedder من القاهرة وتولى قيادة جميع قوات الحلفاء الجوية وكان بشكل عام يساعد الجنرال ايزنهاور بالحصول على كل مساعدة ممكنة وكانت هذه المعلومات أخباراً حسنـة بـالنسبة لي لانـه كان صـديقاً قـديماً لي وقـد اشتغلت معه خـلال عام **١٩٣٠** وشعـرت بأن لي حليفـاً جيداً يتـواجد في المـركـز الأعـلى والـذي كـان هـذان الرجلان يتشابهان كثيراً بصفة الطباع الهادئة وكان كل منهما يفهم الآخر لذلك

لا موجب للدهشة حينما اختار الجنرال أيزنهاور ، بعد مؤتمر الدار البيضاء ، (تيدر) بأن يكون نائب الرئيس للأحداث العظيمة عام ١٩٤٤ وحالما وصلت رغب (تيدر) في رؤيتي . وكان معه في مكتبه الجنرال سباتز والآن طلب مني الجنرال سباتز بأن الحق جماعة (الاسرار فوق العادة) إلى مقر عملياته الامامية وأيده في ذلك (همفري) الذي كان مستشاراً له وذلك لتنفيذ أوامر (تيدر) . ولقد نظمت وحدة ارتباط خاصة من الاحتياط الذي كنت قد أرسلته للطوارىء ، لذلك فقد سر هذا العمل سباتز وكان يستخدم (الأسرار فوق العادة) لتحقيق أقصى الفائدة، في قصف اهداف لا نهاية لها مثل وصول الطائرة الالمانية حديثا إلى المطارات البعيدة جداً واهداف أخرى من تلك الأهداف التي تعينها له (الاسرار فوق العادة) .

كما أخبرني (تيدر) بوجود الجنرال باتون الآن في الجزائر ويجب أن أقوم بايجازه ، حيث كان قد ابحر فوراً من الولايات المتحدة مع قوات الانزال إلى الدار البيضاء لذلك لم تكن هناك فرصة لإعلامه بأمر ما ، وكنت في حالة عصبية نوعاً ما عندما طرقت باب مكتبه لانني سمعت حكايات كثيرة جداً عن خوذته الفولاذية المطلية بالذهب وعن سلاحه الشخصي . فلا موجب للقلق ، حيث رحب بي بابتسامة عريضة وبكلمات ترحيبية حارة وقال : والآن ، يا سيدي الصغير ، ما هو الموضوع ، لقد سر كثيراً من فكرة قراءة رسائل العدو الرمزية ، ولكنني حينما دخلت في موضوع الامنية اوقفني عن الكلام بعد ان استرسلت في الحديث بضع دقائق وقال لي : (انت تعلم ، يا سيدي الصغير ، أنه من الأفضل حسبما أعتقد أن تبين كل هذه الأمور لضباط استخباراتي . وأنا شخصياً لا أتصرف كثيراً بمثل هذه الأمور ، لاحظ بأنني أحب القتال فقط) .

ولقد لخص أوصافه بشكل صحيح تماما ، ونقطة واحدة لم يذكرها هي تلك التي تشير إلى الامنية الشخصية ، لقد تطلب الأمر مني أن التقي به كثيراً في السنين القليلة القادمة ، وكان دائم الابتسامة لكنه لن يخضع ابداً إلى

التقيدات ، وكان علي أن أعتمد على (تيدر) تماماً بأن يراقبه بعناية ويراقب ضابط استخباراته الممتاز جداً بحيث يجعله على اطلاع دائم بالرسائل .

ولقد طلب زميل آخر قديم وهو جورج لوسن Cerge Lowson الذي يعمل كضابط ارتباط في مقر الجنرال أندرسن مع القوة الجوية الملكية في تونس عما إذا كان بامكاني مواجهته مع صديق قديم آخر وهو الفريق (أولفراي Alfry) قائد الفيلق البريطاني الخامس . وكلاهما أرادا أن تصلهما (الاسرار فوق العادة) من بليجلي فوراً طالما هما بعيدان جداً عن الجزائر ، ووجدت بأن (لوسن) قد اقتنع بوجود عدد كبير من المقاتلات والقاصفات المنقضة تعمل من تونس أكثر مما بينته (الأسرار فوق العادة) وانني اقنعته بأن السبب هو كون المقاتلات تستطيع العمل من عدة مطارات وهي مجهزة تجهيزاً كاملاً وبوسعها القيام بثلاث أو أربع طلعات يومياً بينما كان أندرسن نفسه يائساً تقريباً من العثور على المطارات حتى وإن كانت وقتية في تلك المنطقة الجبلية ، كانت لاسراب القوة الجوية الالمانية مزايا كثيرة في تلك الفترة ، لذلك كانت المصادمات لغرض الاستيلاء على المطارات المتواجدة خارج محيط تونس شديدة جداً ، وكانت هذه منطقة عمليات حيث تكون معلومات (الاسرار فوق العادة) في غاية الاهمية في مساعدة القاصفات المقاتلة التابعة للجنرال سباتز لحرمان العدو من الاستفادة منها . وكان (أولفراي) في حالة جيدة لحد الآن فيما يتعلق بموقف وقوة وحدات الجيش الالماني والتي مسكت الآن الممرات المنيعة في الجبال وهذه بمثابة تجربة لنا في استخدام مصلحة (الأسرار فوق العادة) ووحدات الارتباط الخاصة لتتمكن من اجابة الطلبات : انه عمل خطير جداً .

وحينما عدت إلى الجزائر كنت في غاية السرور والغبطة لانني وجدت صديقي القديم جورج رونن Georges Ronin من مؤسسة دوكسيم Deuxieme Bureau في باريس قد استطاع الخروج من فرنسا حينما استولى الالمان على القسم الجنوبي من فرنسا بواسطة طائرة مدنية صغيرة وطار ومعه

رئيسه السابق إلى الجزائر . وحينما سمع المستر ستيوارت مينزيز بالنبأ في لندن طار من فوره ليتمكن من الالتقاء مع نظيره القديم وربما بدأنا فيما بيننا بتشكيل مصلحة استخبارات فرنسية جديدة تكون قاعدتها في الجزائر . ولقد أقام العقيد ريفيت Rivet والمستر جورج رونن وليمة غداء فاخرة لي وللمستر ستيوارت مينزيز في شرفة بيت صغير مشمسة في الجزائر ، وأتتنا الأخبار ونحن نحتسي القهوة حول مقتل دارلان في منزله الذي يبعد بضعاً من الياردات عنا ، ولم يهتموا بمقتله .

وفي شهر كانون الثاني عام ١٩٤٣ ذهب المستر شرشل للاشتراك في مؤتمر الدار البيضاء وهذا يعني ارسال الرسائل عبر وحدة الارتباط الخاصة من الجزائر إلى رئيس الوزراء ليكون على علم دائم بما يجري ، وبينما كان رئيس الوزراء هناك ، ارسل الجنرال رومل رسالة رمزية مرة اخرى إلى القيادة الالمانية العليا يخبرهم فيها بأنه اضطر إلى ترك مواضعه الدفاعية في بوارت Buerat وأنه ينسحب إلى (حمص) . وفي هذه المرة لم يعطه الجيش الثامن فرصة لحفر الخنادق ثم ارسل تقريباً رسالة أخرى فوراً يخبر فيها هتلر بأنه ينسحب إلى خط ماريت في الأراضي التونسية . ولقد جاء الجنرال الكسندر في شهر شباط من القاهرة وتولى قيادة الجيش البريطاني الأول والقوات الامريكية مع الجيش الثامن الكائن في الجانب الآخر من تونس وفيها يتم تشكيل جحفل الجيش الثامن عشر ، وبحلول شهر شباط بدأ الامريكيون يهددون الفيلق الافريقي من الجناح ومن الخلف كلما اقتربت جيوش الحلفاء من بعضها البعض .

وفي اوائل شهر شباط التحق الجيشان الالمانيان معا وهما الفيلق الافريقي والجيش الذي يقوده الجنرال يوركن فون أرنيم Juergen Arnim مع الجيش الايطالي الأول تحت قيادة الجنرال كيوفاني ميس Giovani Messe لتشكيل جحفل الجيش الافريقي على أن يقود هذا التشكيل الجديد الجنرال رومل ، ولقد اكدت (الاسرار فوق العادة) هذه المناصب ، وقد لاحظنا بأن

الـرسائـل الرمـزية عن طـريق (الاسرار فـوق العادة) الجـارية بـين الجنـرال كيسلرنغ والجنرال روميل بدأت تبتعد عن نطاق الصداقة ، فقـد كان الجنـرال كيسلرنغ يحاول تـوثيق عرى الارتبـاط بين الجنـرال روميل والايـطاليين الـذين كانوا يتهمون روميل بـالتخلي عن طـرابلس وبين هتلر الـذي ما زال يلح عـلى رومـل ويأمـره بالتـوقف ، وكان الجنـرال أرنيم الذي لم يستسـغ تـولي رومـل القيادة بشكل واضح على نزاع وخصام مع روميل نفسه . وفي الحقيقة ، كـان الجنرال كسلرنغ يقوم بدوره ببراعة فيجمع بهدوء القرارات الحقيقية في يديه .

ومن سوء الحظ أن تفشل (الاسرار فوق العادة) في اعطاء الانذار عن هجوم الجنرال روميل على القوات الامريكيـة المتقدمـة في قصرين Kasserine يـوم (٢٠) شباط مما أدى إلى أن تصاب قـوات الجنرال عمـر برادلي بـاضرار خطرة ، وكنت حينما أقوم بايجاز القادة أحذرهم دوماً عن تسهيـلات (الأسرار فـوق العـادة) الممكنـة وعـدم الاستغنـاء عن القيـام بـالاستـطلاع الجـوي المناسب . ففي هذه الحالة ، بدت لنا غياب (الاسرار فوق العادة) والسـرية التامة والهادئة التي قام بها الجنرال روميل في الاستحضار للعملية وتـوجيهها في ذلك الوقت بأنها تدل على حدوث انشقاق خطير بـين قادة المحـور في تونس ، وأول دليل للحدث في (الاسرار فوق العادة) جاء برسالة واقعية من رومـل إلى القيادة الالمانية العليا يبين فيها بـأنه سينسحب مـع جميع قـواته إلى الخلف إلى خط ماريت وذلك بسبب الضغط الواقع على الفرقـة الفرنسيـة في الجنوب الغربي .

ووردت رسالة أخرى بنفس الوقت تقريباً من الجنرال كيسلرنغ إلى روميل يكرر فيها الأوامر الصادرة من هتلر بالنسبة إلى المضمون بوجوب الاحتفاظ بخط ماريت ويجب أن لا يكون هناك أي انسحاب آخر .

وفي الحقيقة ، كان خط مـاريت موضعـاً محصناً ومنيعـا ، وتم بناؤه في الأصل من قبل الفرنسيين ، وتلت ذلك رسالة مفصلة جداً لم يسبق لروميل أن ارسـل مثلها ، وربمـا أراد أن يهدأ هتلر لفتـرة من الـزمن والحقيقـة أنها بينت

الترتيب الكامل لخط ماريت مع بيان مواضع كل وحدة من الدفاع ، وعرف عند ذاك الجنرال مونتغمري القوات التي تواجهه ، ومهما كانت الأسباب التي يتذرع بها الجيش الثامن من عدم مقدرته على ايقاع الفيلق الافريقي في الفخ في العراء ، فان النتيجة كانت بأن الجنرال مونتغمري يواجه الآن مواضع دفاعية محصنة جداً . وأعقبت رسالة كيسلرنغ التي يأمر فيها رومل بالاحتفاظ بالخط الدفاعي مهما كلف الثمن ، رسالة من هتلر بشن هجوم تعويق ضد الجيش الثامن . وتطلب الأمر من كيسلرنغ تمرير الأوامر التي استلمها من هتلر بالرغم من وجهة نظره هو عن الموقف ، وهذا الأمر أدى إلى استلام كيسلرنغ رداً قاسياً من رومل المتحرر من الوهم والذي عرف خصومه معرفة كافية الآن ليدرك عدم جدوى مثل هذه العملية . لذلك فقد أبرق إلى كيسلرنغ رسالة بين فيها بأن الهجوم على الجيش الثامن إنما له تأثير طفيف في تأخيره وأنه طالما يتوقع هجوم الحلفاء على خط ماريت فانه يقترح بالانسحاب من خط ماريت إلى مكان أبعد لكي يوحد جحفل الجيش في محيط أقصر . ثم جاءه الرد من كيسلرنغ في الحال يبين فيه بأن اقتراحات رومل متناقضة ، ولا يستطيع المرء أن يتمالك نفسه من الشعور بالاسى لهذا الرجل في هذا الوقت ، لأنه أظهر بأنه مقاتل بارع في الصحراء ولقد أفلت من الطوق الذي أراد مونتغمري ايقاعه به وتطويق جيشه المدرع وأنه كان دائماً يعاني من شحة التموينات والتجهيزات فلا بد أنه سيرى بداية نهاية عملية شمال أفريقيا بأسرها لاحظ بأن هتلر منهمك كليا في الموقف الذي يزداد سوءاً في الجبهة الروسية وبأنه بعيد كل البعد عن الموقف في تونس .

وصحيح ، أنه في هذا الوقت : كما عرفنا من (الاسرار فوق العادة) ، بدأت تردهم تموينات كبيرة إلى تونس ولكن ، بدت كأن قوات المحور قد بددت تمويناتها في أوائل شهر آذار ، وكان المستر شرشل يشم رائحة القتل في شمال افريقيا ، فبدأت الرسائل مرة أخرى تنهال بكثرة .

واعتقد ، بأن رومل ادرك وجوب تنفيذ الأوامر الصادرة من هتلر على

أية حال ، وكان (للاسرار فوق العادة) الدور الأول في العملية التي شنها رومل لأن الرسائل انذرت الجنرال مونتغمري وبينت له قوات المحور بشكل اكيد والتي ستصد هجوم الجيش الثامن في ميدنين Medenine الواقعة على بعد (١٥) ميلا جنوب غرب خط ماريت ، ولقد حاول رومل بأن يهيء ثلاث فرق بانزر بالاضافة إلى فرقتين ايطاليتين لهذه العملية . الأمر المهم جداً هو ما بينه لنا بكل تفصيل المكان الذي تشن منه قوات المحور المدرعة هجومها ، ففشل هجوم رومل الذي شنه يوم (٢٠) شباط لأن الجنرال مونتغمري حصل على معلومات جيدة بحيث ضرب الجيش الثامن دروع العدو بنيران مركزة من مدافع مقاومة الدبابات واعتبر رومل هذه العملية بأنها نهايته في افريقيا ، وكان من قبل قد تبادل رسائل حامية مع كيسلرنغ قبل الهجوم والآن التمس منحه اجازة مرضية وغادر إلى المانيا ، واننا لم نحصل على الرسالة الحقيقية بواسطة (الاسرار فوق العادة) عن مغادرته ، وانني لا أعتقد أنه أراد ارسال رسالة رمزية عادية إلى هتلر حول هذا الموضوع الشخصي وربما ارسلها بواسطة البريد بالطائرة لذلك عرفنا للمرة الأولى بأن رومل ترك مقره وذلك حينما علمنا بتعيين الجنرال فون ارنيم محله .

وحينما قرأنا هذه الرسالة في لندن ، اسفنا جداً لنهاية رومل في افريقيا . وبعد أن قضى مونتغمري على هجوم رومل في (ميدنين) واصل تقدمه بشنه هجومه الرئيسي على خط ماريت والذي يعرف الآن تماما النقاط الواهنة فيه .

ومرة أخرى تملص الفيلق الافريقي وهرب من خط ماريت ، وكان قد حل عيد الفصح فأبرق الجنرال آرنيم إلى الجنرال كيسلرنغ بأنه يشك في الصمود لفترة أطول وبين بجرأة انه يقترح شن هجوم معاكس على جيوش الحلفاء الآخذة بالاقتراب من الغرب ، وبدا الموضوع سليما لهتلر ، ولكن ، كانت هناك فرقة مدرعة بانزر واحدة فقط متيسرة للهجوم الالماني الأخير المدرع في معركة تونس .

وفي بداية شهر أيار تمكنت مرة أخرى من الذهاب إلى الجزائر حيث

أصبحت تونس على وشك السقوط واردت أن افرز كل وحدات الارتباط الخاصة التي ستتيسر للخطوة الثانية وهي التقدم نحو صقلية ، ذهبت إلى مدينة قسطنطين (Constantine) لمشاهدة الوحدة الكبيرة من وحدات الارتباط الخاصة العاملة في الوقت الحاضر هناك . وكنا قد تمكنا منذ زيارتي في شهر كانون الأول عام ١٩٤٢ من تحويل جزء كبير من ارسال الرسائل بواسطة جهاز الطابعة البرقية الجفرية . ولقد كانت وحدة الارتباط الخاصة الجزائرية تعمل بشكل رئيسي مع القوة الجوية لشمال غرب افريقيا ومع قيادة الاسناد الجوي الامريكي الثاني عشر والتي اصبحت فيها بعد تسمى باسم القوة الجوية التعبوية لشمال غرب افريقيا ومع القوة الجوية التعبوية للبحر المتوسط فضلاً عن جحفل الجيش الثامن عشر . وجدتهم منهمكين جداً ووجدتهم جماعة منتصرين ، وعرفت الآن الكثير عن البراعة والمقدرة التي كانوا يستخدمون فيها وحدات الارتباط الخاصة .

وكانت قضايا التموين تشكل دوماً المعضلة حيث اخبرني العريف رينولدس Reynilds بأن الأمر كان يتطلب منهم دوماً تكييف جهاز الطابعة البرقية ، إذ يراد منهم أولاً الغاء وحدة القوة الكهربائية الفرنسية ١٢٠ فولت ومن ثم مكائن توليد الطاقة الكهربائية الامريكية (١١٠) فولت وأخيراً وكان عليهم اخيراً استخدام التجهيزات الالمانية القديمة .

كما كانت هناك حادثة ممتعة أيضاً وهي كيف أن الأمور البسيطة تستطيع أن تبرهن على أنها خطرة للامنية ، لقد حصلت وحدة الارتباط الخاصة مرة على معلومات مسبقة عن قيام العدو بغارة جوية على مدينة (قسطنطين) وارتدت الجماعة بطبيعة الحال تماماً خوذها الفولاذية حينما ذهبوا إلى الواجب ، وحينما وصلت الغارة الجوية ارتاب بعض الاشخاص في المقر لذلك لم نسمح لهم بارتداء الخوذ الفولاذية حتى إذا كانت جماعة (الاسرار فوق العادة) في حالة انذار .

وفي هذا الوقت ، بدأ الجنرال كيسلرنغ يهيء القيادة الالمانية العليا من

اجل الاستسلام بواسطة الرسائل الرمزية وكان دوماً يتلقى ما يؤذيه من برلين ومن تونس ايضاً وكان يطلب المساعدة دوماً من القيادة الالمانية العليا ويطلب الوصايا عما سيفعله ازاء تقدم الحلفاء الآخر أيا كان نوعه . ثم جاءته النهاية بسرعة بعد هجوم الحلفاء الأخير في (٦) آيار . وكانت (الاسرار فوق العادة) قادرة على اصدار أوامر النقل إلى جميع القوات الجوية في شمال افريقيا بخصوص انطلاق طائرات النقل الالمانية من نوع Ju 52 مع زلاقاتها من نوع ME 323 بسرعة بحيث تستخدم لاخلاء القطعات الالمانية من تونس ، وقد اخبرتني وحدة الارتباط الخاصة بأن واجبهم كان تقييد قوات الحلفاء الجوية من القيام بعمل مستعجل جداً وعلى أية حال ، تم اسقاط معظم هذه الطائرات اثناء الاحداث .

كما لاقت المدمرة الالمانية هرمز Herms نفس المصير وهي المدمرة الالمانية الاخيرة في البحر المتوسط ، كما لاقت قافلة الاخلاء بيلينو Belino نفس المصير بالرغم من تمكن بعض كبار الضباط الالمان من الهرب بواسطة سفينة مستشفى . ولقد بقيت (الاسرار فوق العادة) صامتة إلى أن كرر الجنرال كيسلرنغ يوم (١٣) آيار ، رسالة مختصرة جداً يخبرهم فيها عن الخسائر الاجمالية في تونس وعن خسائر جحفل الجيش الافريقي .

الباب الثاني عشر

(هسكي)
الاسم الرمزي لعملية غزو جزيرة صقلية

قمت بجولة في شهر أيار عام ١٩٤٣ شملت كلا من الجزائر والقاهرة والاسكندرية ومالطا لغرض التأكد بأن الجميع منظمون في مختلف وحدات الارتباط الخاصة التابعة لي بحيث يكون في وسعهم ابداء أقصى ما يمكن من المساعدة والمعلومات لعملية « هسكي » وهو الاسم الرمزي للغزو والمخطط لجزيرة صقلية .

ولقد أصدر لي (تيدر) في الجزائر أمراً بتشكيل القيادة لعملية « هسكي » وكان هو شخصياً يتولى قيادة جميع القوات الجوية في البحر المتوسط واقترح علي بأن أتريث حتى يتجمع الاشخاص الرئيسيون لعملية « هسكي » في (لامارسا La Marsa) الواقعة بالقرب من كارثاج Charthage خلال أسبوعين وعندها يسهل علي الاتصال بمن أريد ، ووجدت خلال جولتي بأن مقداراً كبيراً من المراسلات ذات المستوى العالي ترسل عبر قنوات « الاسرار فوق العادة » من قبل رؤساء الاركان في لندن إلى الجنرال ايزنهاور ، والجنرال الكسندر وبين مختلف القادة العاملين في منطقة البحر المتوسط في جميع المحطات الرئيسية لوحدات الارتباط الخاصة؛ والسبب الرئيسي لذلك هو أن مقداراً كبيراً من التخطيط لغزو صقلية وايطاليا كان يستند على المعلومات التي تقدمها « الاسرار فوق العادة » حيث يلزم ارسال كل مناقشة أو تبدل في الخطة المستندة على هذه المعلومات فوراً عبر قنواتنا. هذا فضلاً عن أن القادة العسكريين الكبار والمستر شرشل وجدوا بأن قنواتنا هي

أسرع من تنظيمات المخابرة الاعتيادية وكانت سريتها القصوى مفيدة حينما يراد من الشخصيات اجراء المناقشة ، وكنتيجة لذلك ، فقد كانت وحدات الارتباط الخاصة تعمل بدون فائدة .

ولقد أخبرني اللورد (غورت Gort) حاكم جزيرة مالطا خلال زيارتي لها عن أهمية « الاسرار فوق العادة » خلال معركة فرنسا في عام ١٩٤٠ . وتحدثنا على مائدة الغداء في مقر الحكومة عن « الاسرار فوق العادة » وما كان لرسالة الجنرال براوشيش الشهيرة من تأثير في اقناع لندن بوجوب خروجنا من فرنسا باسرع ما يمكن ، وهو الاستنتاج الذي توصل اليه من قبل ، وقال : « أظن أن هناك عدداً كبيراً سيبارك ويهنىء محللي الرموز لو عرفوا ما قدموه من خدمات » .

غادرت وحدة الارتباط الخاصة الرقم (٥) وتركت عدداً من الاشخاص كاحتياط مع (تيدر) في (لامارسا) وقمت بارسال قسم من وحدة الارتباط الخاصة الرقم (٥) ، تلك الوحدة التي هي احدى اهم الوحدات ذات الخبرة العالية ، مع الجنرال الكسندر حينما ينتقل إلى جزيرة صقلية . وظلت وحدة الارتباط الخاصة التي كانت مع الجيش الثامن لفترة طويلة من الزمن وهي تهتم بشؤون الجنرال مونتغمري بينما ذهبت وحدة الارتباط الخاصة التي كانت تعمل مع (اندرسن) لتقوية وحدة الارتباط الخاصة التي تعمل مع الجنرال (باتون Patton) ومن ثم تنتقل إلى الجيش الخامس لتعمل مع الجنرال مارك كلارك ، ثم جرى تخصيص الوحدات المندمجة الأخرى لمختلف القوات الجوية التعبوية والاستراتيجية البريطانية والامريكية أو ابقيت كاحتياط .

وكان للاميرال (رمزي Ramsey) وحدة ارتباط مباشرة خاصة به في الاسكندرية بينما كان اللواء البحري كننكهام وحدة كاملة من وحدة الارتباط الخاصة الكبيرة في مالطا بالاضافة إلى (لامارسا) ، وكانت جميع وحدات الارتباط الخاصة متمرسة في أعمالها ولها خبرة جيدة لذلك استنبطوا طرقاً يتمكنون فيها من مواصلة العمل في الجو حتى في أوقات التنقلات السريعة

طالما أخبروني بأن قادتهم لا يرغبون أن يبقوا بدون « الاسرار فوق العادة » ولفترة قصيرة جداً .

كانت وحدة الارتباط الخاصة في (لامارسا) تعالج مقدار (٢٠٠) رسالة رمزية كل (٢٤) ساعة ، وكانت معظمها رسائل طويلة ، حيث كانوا يخصصون ثلاثة أشخاص في الاقل للبقاء في الخفارة لانجاز العمل ووجدنا مرة أخرى ، حتى بعد انتهاء العمليات الحربية ، أنهم يستخدمون قنوات وحدات الارتباط الخاصة في المواصلات الداخلية حينما يخططون لعملية الانزال في ايطاليا في الوقت الذي كانوا يستخدمون فيه (الاسرار فوق العادة) بعناية فائقة وهذا ما أضاف عبئاً ثقيلاً على وحدات الارتباط الخاصة .

لأن الخطط كانت ، في الحقيقة ، تستند على معلومات (الاسرار فوق العادة) بدءاً بعملية (هسكي) وصاعداً ، لذلك لم أستطع أن أشكو أو اتظلم وحينما زرت معسكر الجنرال الكسندر الصغير الواقع بالقرب من (كارثاج Carthage) ، اقترح علي بأن نتجول بين الكثبان الرملية حيث نتمكن من التحدث هناك ، لقد سحرته أخبار « الاسرار فوق العادة » لذلك بينت له اعمالها بالتفصيل ، ولم يعرف لحد الآن كيف تمكنا من ايصال المعلومات اليه بشكل دقيق وسريع ، وأراد أن يعرف امكانية استمراريتها في معركة ايطاليا فأخبرته بأنه ما لم يكن هناك أي شخص ساذج خطير فلن يغير الالمان رسائلهم الرمزية في جهاز الانيكما ، والآن ، باستثناء الاحداث ، وكنا في الحقيقة نأمل الحصول على نتائج جيدة لأن هتلر والقيادة الالمانية العليا كانا على مدى بعيد من روما فلا بد أن ترسل جميع الرسائل الرمزية على الهواء . وبدا لي أنه اقتنع تماماً بكل ما قلته ، ووجدته أيضاً قد افتتن بالسجايا الخشنة لخصمه والتي استخرجتها من معلوماتي الشخصية عن الجنرال كيسلرنغ ، وأراد أن يعرف أيضاً تماماً من هم الاشخاص المتواجدون من قيادته الجديدة في صورة (الاسرار فوق العادة) وأخبرني بأنه قد عرف عند أول اجتماعه

بالمستر شرشل في مصر قبل معركة العلمين بأن رئيس الوزراء على علم تام بالمعلومات التي تقدمها له (الأسرار فوق العادة) بينما لم تكن لديه أية فكرة عنها إلى أن اخبرته تماماً بأنه قد استلم رسائل رمزية مباشرة وعلقت عليها .

فكر الجنرال الكسندر قليلاً حول الموضوع فأدرك أنه لا بد وأن يتعقب المستر شرشل المعركة تماماً كما يفعله هو عن كثب ، وعلى أية حال فقد بذلت بالتأكيد جهداً عظيماً حتى أؤكد للجنرال الكسندر بأنني علقت فقط على الرسائل من وجهة النظر الالمانية طالما ما كنت أعرف الأوامر والاعمال من جانب الحلفاء .

ولقد وقعت حادثة واحدة ممتعة في شهر حزيران ، حيث كشفت (الاسرار فوق العادة) بأن مقر الجنرال كيسلرنغ الامامي في صقلية هو فندق (سان دومينكو San Dominico) الواقع بشموخ على الجرف في تورمينا Toormina المطل على البحر ، فحصلت القوة الجوية الملكية على معلومات صحيحة عن مكانه فألقت بقنابلها وسط هذا الفندق الذي كان في يوم ما ديراً قديماً وكان الجنرال كيسلرنغ اثناء الحادث في روما غير أن القنابل سقطت على مطعم الضباط وأوقعت خسائر بشرية كبيرة . وقبل أن اغادر تونس ، وجد الجنرال كيسلرنغ أن من الحكمة أن يخبر القيادة الالمانية العليا عن طريق (الاسرار فوق العادة) حول التكامل التام للقوات الالمانية والايطالية في صقلية ، وكان هذا الخبر بطبيعة الحال أثمن هدية لنا ، ولم تعط (الاسرار فوق العادة) أية اشارة عن ردود فعل الالمان على (الرجل المزيف) ، الميت وبحوزته الخطط المزيفة لعملية غزو شمال أفريقيا والذي (جرفته المياه إلى الساحل) يوم (٩) آيار في ساحل اسبانيا ، وعلى أية حال ، اخبرتنا الرسائل اللاحقة بأنه لم تكن هناك أية تعزيزات كبيرة في صقلية ماعدا الفرقة المسماة بفرقة غورنغ المدرعة بحيث بدت الأمور كأنما لا يزال هتلر غير متأكد من الغزو ، وبدت الأمور لنا أيضاً كأنما اتفقت آراء الجنرال كيسلرنغ حول المكان الذي سيحدث فيه الانزال ، أيا كانت فكرته الخاصة عنها ، مع رأي

الفوهرر ، ومن الواضح ، فإن الجنرال كيسلرنغ يتوق وهو يائس بأن لا يقع في أي خطأ واتضح لنا من الرسائل الرمزية التي بعثها والتي يبين فيها توزيع قواته ، أنه قد اتخذ بعض التحوطات في جزيرة صقلية .

وعرفنا من (الاسرار فوق العادة) بأن الجنرال كيسلرنغ كان يخشى حدوث الانزال في (باليرمو Palermo) الواقعة على الساحل الشمالي لأنه كان قد وضع قسماً من الفرقة المدرعة بانزر (١٥) الالمانية مع فرقتي ميدان ايطالية في تلك المنطقة وعلى أية حال ، فإن عدم تأكده كان أمراً مساعداً لنا طالما قسم فيما بعد بقية الفرقة المدرعة (١٥) وفرقة غورنغ المدرعة معاً إلى ثلاث جحافل في وسط الجزيرة وهي على استعداد للحركة إلى أي أتجاه كان .

وكان الدفاع عن جزيرة صقلية رسمياً بأيدي الجنرال الايطالي كوزوني Guzzoni مع جيشه الايطالي السادس المؤلف من اربع فرق ميدان وفرقتين ساحلية ، وقد بين الجنرال كيسلرنغ برسالته المواضع الصحيحة للفرق الايطالية ، وكما وضحت لنا الرسائل أيضاً بأنه وعلى الرغم من أن الوحدات الالمانية هي رسمياً تحت قيادة الجنرال (كوزوني) ، إلا أنها كانت في الحقيقة تعمل وفق ابداعها الذاتي وأن الجنرال كيسلرنغ كان على اتصال معها بواسطة ضابط ارتباط الماني يتواجد في مقر الجنرال (كوزوني) .

ومن ترتيبات جميع قطعات المحور في الجزيرة ، اتضح لنا بوضوح بأن حراسة منطقة الانزال هي خفيفة حيث تحرسها الالوية الساحلية الأيطالية وأنه إذا ما حرمنا الدروع الالمانية من التقدم على العدد القليل من الطرق الجبلية نحو الساحل ، لكون المنطقة جبلية ، فإن المقاومة ستكون قليلة ازاء قطعات الانزال ، كما كان واضحاً أيضاً بأن كلا من الجنرال كيسلرنغ والجنرال كوزوني يجهلان تماماً المكان والوقت الذي سيتم فيه شن الهجوم . وهكذا ، فإن (الاسرار فوق العادة) لم تعطنا فقط قوة العدو وترتيباته بل إنما أظهرت أيضاً بأن الحلفاء يمكنهم تحقيق المباغتة التعبوية وأنها ، عند مجرى الاحداث ، بل سيتاح المجال لقطعات الحلفاء المظلية في سد الطرق امام الدروع الالمانية

حينما تحاول التقدم سريعاً نحو السواحل ، وكانت هذه المعلومات أفضل ما أعطته (الأسرار فوق العادة) .

ولقد تعلمنا لحد الآن بأن الأيام القليلة التي تسبق عملية الغزو المحمولة بحراً هي أكثر الأيام توتراً وشدة ، ومرة أخرى ، اكدت على التدقيق في كل رسالة رمزية من (الأسرار فوق العادة) بعناية فائقة لمعرفة ما إذا كان هناك أي دليل على شعور الجنرال كيسلرنغ بالنسبة إلى المكان الذي تقع فيه الضربة بالضبط.|ولقد أخبرتنا (الأسرار فوق العادة) مرة واحدة فقط حينما شاهد الالمان يوم (٩) تموز اسطولاً من السفن متوجها من الاسكندرية بأن القطعات المتواجدة في جزيرة صقلية وفي كل مكان آخر قد وضعت في الانذار ، وعلى أية حال ، لم تكن دول المحور متأكدة بالنسبة إلى الاهداف التي نقصدها بالضبط ولم يحصل الحلفاء على الفوائد الاستراتيجية حينما انزلوا قواتهم في صقلية يوم (١٠) تموز ولقد أخبر الجنرال كيسلرنغ القيادة الالمانية العليا حالما بدأ الحلفاء بالانزال ولم يتلق أية أوامر لحد ذلك الوقت من هتلر « إما النصر أو الموت » .

ولم يستخدم الجنرال كيسلرنغ (الأسرار فوق العادة) مباشرة مع وحداته المدرعة والتي تعمل الأن وفق ابداعاتها الذاتية ، لذلك كانت الرسل المرسلة في (الاسرار فوق العادة) قليلة بحيث تتضمن تفاصيل عن تطور القتال إلى أن بعث رسالة تتضمن تقرير الموقف وادعاءه بايقاف البريطانيين جنوب (كتانيا Catania يوم (١٥) تموز ، وكانت القوة الجوية الالمانية ذات فائدة قليلة بالنسبة للالمان .

وفي الحقيقة ، من المحتمل أن يكون هتلر قد صب جام غضبه على غورنغ بعد فترة وجيزة من الانزال ، حول هذا الموضوع لأنه بعث برسالة رمزية مزق فيها ستارة طياري اسطوله الجوي وأرسلها بواسطة الجنرال كيسلرنغ عمداً .

ففي يوم (٢٠) تموز استلم كيسلرنغ رسالة رمزية من (الأسرار فوق

العادة) من القيادة الالمانية العليا تعلمه فيها بارسال التعزيزات من القطعات المظلية بالطائرات إلى جزيرة صقلية في اليوم التالي وبأنه ستكون هناك تعزيزات أخرى من القطعات المظلية وأنه قد صدرت الأوامر إلى الفرقة المدرعة الشعبية من الفيلق المدرع (١٤) بالعبور إلى الجزيرة من البر الرئيسي . وبالاضافة إلى ذلك ، بدأ قسم من الفرقة المدرعة الشعبية (٢٩) بالوصول يوم (١٩) تموز .

ومرة أخرى لم يُضِع الجنرال كيسلرنغ الوقت بعد أن اتضحت له الاهداف ولكن ذهبت جهوده كلها سدى ، لأن الجنرال باتون الذي استفاد كل الفائدة من تقدم الدروع الالمانية لايقاف تقدم الجنرال مونتغمري ، والذي عرف من (الاسرار فوق العادة) بأنه لا توجد أية قوة توقف تقدمه ، كان يتقدم بسرعة من الجناح الأيسر متجهاً نحو (باليرمو) و(ميسينا Messina) مما حدا بالجنرال كيسلرنغ إلى أن يبرق يوم (٨) آب إلى القيادة الالمانية العليا يخبرها فيها عن انسحابه من (كتانيا Catania) ثم أعقبها من بعد فترة وجيزة بقراره حول انسحاب جميع وحداته إلى البر الرئيسي الايطالي ، ومن الواضح أنه حصل على موافقة القيادة الالمانية العليا ، وهكذا أنتهت معارك صقلية يوم (١٧) آب ؛ ولقد لعبت (الأسرار فوق العادة) الدور الحيوي في هذه المعركة ثم تلخص الموقف بدقة بما قاله لي الجنرال الكسندر سابقاً من أن (الأسرار فوق العادة) قد أحدثت أبعاداً جديدة كلية في سير المعارك .



« أفا لانج »

الأسم الرمزي لعملية غزو ايطاليا

كان المستر شرشل يقتنع دوماً بأنه إذا ما غزا الحلفاء ايطاليا فإن الايطاليين سرعان ما ينحازون إلى جانبنا ، ثم أصبح الرئيس الامريكي روزفلت يعتقد بنفس الاعتقاد ، وكان موسوليني الذي كابد عام ١٩٤٢ من النتائج غير المثمرة لزيارته إلى سرنيكا Cyrenaica ، أصبح الآن يواجه انهياراً كلياً لنظامه بعد النجاح في عملية غزو صقلية ، لقد كان قلقاً للغاية وكان هتلر يتصور بأن موسوليني سيواجه صعوبات جمة في البقاء كشريك مع المحور في الحرب ، وفي اجتماعهما في (١٧) تموز لم تخنه شجاعته ، لكنه من المحتمل ، لم يساوم من أجل تسلسل الاحداث السريعة فيما بعد ، وبعد أسبوع واحد فقط أخبر مجلس الفاشست الاعلى بوجوب تخليه ثم أوقف في اليوم التالي بأمر الملك .

وتولى المارشال بادوليو Badoylio رئاسة الحكومة وأكد للجنرال كيسلرنغ بأن ايطاليا ستبقى في الحرب ، ونقل الجنرال كيسلرنغ هذا التأكيد على شكل رسالة إلى هتلر الذي لم يثق بكلمة واحدة منها ، ثم بدأ الايطاليون خلال أسبوع واحد بالتفاوض سراً من أجل الهدنة مع الحلفاء ، ولما شعر هتلر بأن الهدنة واقعة لا محالة بدأ بالاستحضارات لارسال قوات المانية إلى شمال إيطاليا إذا ما قام الايطاليون بمثل هذا العمل المشين ، وعلى أية حال ، فقد كان أول خبر أكيد عن ذلك على شكل رسالة رمزية من هتلر إلى كيسلرنغ في روما يخبره فيها بأن يتوقع وصول الفرق الالمانية إلى شمال إيطاليا

وبأن يخبر الايطاليين بأن هذه القطعات ستشكل قوة احتياطيات استراتيجية للمنطقة بأسرها ، لكي لا يزعجهم هذا العمل كثيراً ، وكان هذا العمل ينسجم مع وجهة نظر هتلر الذي كان قد صرح بها في تقدير الموقف الذي بعثه في وقت مبكر إلى كيسلرنغ بأن الحلفاء قد يحاولون غزو البلقان بعد أن يطهروا الأراضي في شمال أفريقيا . والحقيقة غير المفرحة التي أصابت الجنرال كيسلرنغ هي وضع هذه القوات التي ترسل إلى شمال إيطاليا تحت قيادة المستر رومل والتي سميت بجحفل الجيش (ب) والتي تعني بأنه لن تكون للجنرال كيسلرنغ أية سلطة عليها أبداً . لقد ازداد الموقف الايطالي سوءاً حيث أمر هتلر في أوائل شهر آب الجنرال كيسلرنغ بأن ينقل جميع القطعات الالمانية الى شمال ايطاليا ، في حالة استسلام ايطاليا ، وعليه أن يلتحق بجحفل جيش المستر رومل ويحتل الخط الدفاعي على طول جبال ابنين Apemineo الشمالية ونهر بو . ثم أضاف قائلاً بأن يتولى رومل القيادة ، كانت هذه الرسالة بمثابة لسعة مريرة في الظهر بالتأكيد وعليه أن يتجرع الدواء بمرارة ، لكنه لم يتجرعه ، إذ بذل جهده من أجل الحصول على منصب القائد العام في منطقة البحر المتوسط؛ والذي يعرف الجنرال كيسلرنغ ، لا يتعجب بأن يرى الطريقة التي يصمم فيها للانطلاق بعزم وتصميم على المراوغة من أوامر هتلر ويخوض غمار المعارك الايطالية كلها لكي يبقى محتفظاً بالقيادة ، وخلال شهر آب استلمنا رسالة تبين أخبار تحركات فرق رومل إلى شمال ايطاليا وأخبر الجنرال كيسلرنغ في نفس الوقت عن مواضع فرقة في جنوب ايطاليا ، وكانت هناك رسائل كثيرة جداً تبين بالتفصيل طرق الامدادات والوقت الذي يمرون فيه من كرينوبل Grenoble . وكنتيجة لذلك ، شنت طائرات القوة الجوية الامريكية الخامسة عشرة غارات كثيفة واحدثت أضراراً جسيمة .

وأظهرت لنا رسائل كيسلرنغ وجود الفرقة الالمانية المدرعة (٢٦) والفرقة الالمانية الآلية (٢٤) في الطرف الجنوبي من ايطاليا بينما انتشر قسم من الفرقة المظلية حول كعب ايطاليا ، ووجود الفرقة الالمانية المدرعة (١٦) شمال

هذه المنطقة بحيث تشمل منطقة (ساليرنو Salerno) أما في شمال نابولي فقد تواجدت الفرقة الآلية المسماة بفرقة نيورنغ الخامسة عشرة، وتمركزت بالقرب من روما فرقة آلية وقسم من الفرقة المظلية ، وأصدر هتلر أمراً سرياً إلى كيسلرنغ يخبره فيها بأن تشكل جميع القوات الالمانية ، ما عدا تلك المتواجدة حول روما ، جيشاً بقيادة الجنرال فيتنكهوف Vietinghoff لكي يريح كيسلرنغ ، كما تخلص هتلر ، من عناء تفاصيل السيطرة التعبوية وأصبح الحلفاء الآن على علم ودراية بالمكان الذي ستكون فيه المقاومة بالضبط في البر الايطالي الرئيسي : كما عرفوا من رسالة كيسلرنغ التي بعثها في نهاية شهر آب الى القيادة العليا الالمانية يخبرها فيها بأنه أصدر اوامره إلى الجيش العاشر الكائن في أقصى الجنوب بالانسحاب نحو الشمال ، وكان هذا لحد الآن مطابقاً لأوامر هتلر والآن بالرغم من أن وقت الانزال لغزو إيطاليا آخذ في الاقتراب وقد سميت هذه العملية بالاسم الرمزي (أفالانج) ، في بداية شهر ايلول ، لم نزل على يقين ، من الرسائل التي ترسل إلى برلين ، بأنه ليس لدى الجنرال كيسلرنغ أية فكرة عن المكان الذي سيحدث فيه الانزال الرئيسي . وقد بين لهتلر في احدى رسائله احتمالية نزول الحلفاء في شمال نابولي لأن الطريق نحو روما قصير كما بين في نفس الرسالة بان الفرق الالمانية المدرعة الكائنة في اقصى الجنوب آخذة في الانسحاب الآن ، وكنتيجة لذلك ، كان الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتغمري قادراً على العبور إلى البر الايطالي الرئيسي من (ميسينا Messina) دون أن يلاقي أية مقاومة جدية ، وابرق كيسلرنغ إلى برلين يخبر فيها أنه لا يعتقد أن ذلك هو الانزال الرئيسي ، الذي لا يزال يتوقع حدوثه في الغرب من روما وانه سيواصل انسحابه نحو الشمال حسب الوصايا الصادرة من هتلر .

ومن حسن حظنا أن تكون (الأسرار فوق العادة) الكائنة في منطقة (بليجلي) منهمكة في عملها تماماً خلال النصف الأول من شهر أيلول سنة ١٩٤٣ .

فلو استطاع المرء أن يحلل المقدار الكبير من المعلومات المتضمنة قوة

العدو وترتيباته ومقاصده المتيسرة لقيادة الحلفاء في ذلك الوقت فانه سيتصور بأنه لو كانت خطط الحلفاء اكثر مرونة ، ولو أننا نستطيع ابقاء الايطاليين في مواضعهم لفترة أطول ، ولو أعطينا الجنرال كيسلرنغ الوقت لكي ينسحب باتجاه الشمال لتجنبنا عند ذاك المحن والمصائب التي أصابتنا في معارك كاسينو Cassino وانزيو Anzio ، ولكن بما أن الأمور تتطلب ، فقد انكشف اسطول الحلفاء الغازي بعيداً عن خليج ساليرنو Salerno في الوقت الذي لم يسحب الجنرال فيتنكهوف قطعاته بعد من المنطقة ، ومع ذلك ، فقد حقق الجيش الخامس بقيادة الجنرال مارك كلارك المباغتة الاستراتيجية الكاملة حينما قام بالانزال الفعلي ، وحالما علم الجنرال فيتنكهوف بنبأ الانزال أبرق في الحال إلى الجنرال كيسلرنغ وحاول الحصول على السيطرة بالنسبة إلى الموقف وما يتطلبه كمقاومة الانزال أو الانسحاب شمالاً إلى روما وفقاً لأوامره السابقة ، وأن مثل هذا القرار هو امر حيوي جدا لنا ، ومع الأسف انتظرنا طويلاً ولم يكن هناك جواب لهذا الطلب ، واتصل بي مرتين سكرتير رئيس الوزراء هاتفياً فيما إذا استلمنا الجواب ام لا ، وعلى المرء أن يتصور مقدار إنشغال كيسلرنغ في مواجهة الوحدات الايطالية المتواجدة حول روما كما أخبر برلين فيما بعد برسالة رمزية ، وفي غضون ذلك ، تولى الجنرال فيتنكهوف الأمور بنفسه وقرر الصمود والقتال فحرك فيلقه المدرع نحو منطقة الانزال ثم جاءته رسالة كيسلرنغ عند الظهر يؤيد فيها عمله ، ومن المحتمل أنها كانت من اعظم القرارات التي اتخذها كيسلرنغ على الرغم من أوامر الفوهرر . وكنتيجة لذلك ، فقد كانت ردود فعل الجنرال فيتنكهوف سريعة وعنيفة بالرغم من عدم حدوث مقاومة تقريباً لانزال الجيش الخامس الامريكي ، إلا أنه عمت الكآبة لندن بعد أربعة أيام من القتال المرير والقاسي وذلك حينما بينت الرسالة التي بعثها فيتنكهوف إلى كيسلرنغ ويدعي فيها بأن مقاومة العدو قد تلاشت وبأن الجيش العاشر يدفع الحلفاء إلى الخلف على جبهة واسعة .

ولم اكن ادري في ذلك الوقت بأن الجنرال الكسندر قد أمر بشكل جلي ، الجنرال مونتغمري بأن يتقدم لانقاذه بدون تأخير ، لأنه بعد استلام

رسالة فيتنكهوف اتصل المستر شرشل هاتفياً وسأل عن وجود أية حجة تدل على وجود أية معارضة لتقدم الجنرال مونتغمري ، لم تكن هناك أية معارضة بقدر ما اعلم ، وعلى أية حال ، وبالرغم من أن الجيش الثامن لم يأت فعلاً لنصرة الجيش الخامس ، إلا أن الأخير تمكن من الصمود وأنه من دون شك كان لتهديد تقدم الجيش الثامن المسؤولية الجزئية أكثر بكثير من ترحيبنا لرسالة فيتنكهوف في (١٦) ايلول والتي يطلب فيها من كيسلرنغ الاذن بالانسحاب بسبب القصف الجوي والبحري الشديدين .

ولقد أعلن كيسلرنغ الاذن بالانسحاب ، لكنه أمره بأن يؤخر العدو أكثر ما يمكن ، وأن يوعز بانفتاح قطعاته المنسحبة فوراً عبر أيطاليا ، وبين كيسلرنغ في رسالته بأنه سيبذل ما في وسعه من جهة في تهيأة موضع دفاعي على نهري فولتيرنر Volternr وبيفورنو Bifurno ، أما هتلر نفسه فقد تأثر بشكل واضح من قابلية كيسلرنغ واستراتيجية لأنه أقتنع شخصياً الآن وغير رأيه وأوامره الاصلية المتضمنة الحركة نحو الشمال فبعث برسالة الى كيسلرنغ يأمره فيها بمسك الخط الممتد باتجاه الشرق في شمال نابولي لأطول مدة ممكنة من الزمن .

وبطريقة ما ، بالرغم من اخلاصه لهتلر ، لا اعتقد بأن كيسلرنغ كان يوافق عن رضا على فكرة انسحاب كل قواته الالمانية إلى شمال أيطاليا ثم يسلم القيادة بهدوء لرومل ، ولم يكن هذان الرجلان على علاقة افضل حينما غادر رومل تونس ، وأنه بالرغم من كون رومل الجنرال المدلل لدى هتلر فقد برهن كيسلرنغ على أنه شخص ذو تفكير سريع الآن سواء في تونس أو في إيطاليا ، وكان يعرف الأراضي الايطالية وامكانياتها في المعارك الدفاعية وأنه كان قد تولى قيادة ساحة عمليات البحر المتوسط في وقت ما لذلك لا أعتقد ، بأنه يستسيغ فكرة القيام بدور ثانوي بالنسبة لرومل ولا النزول إلى مرتبة أدنى بحيث يتولى قيادة قسم من القوة الجوية المستنزفة في الجبهة الروسية .

لقد أعطت رسالة كيسلرنغ المرسلة إلى فيتنكهوف الصورة الكاملة إلى

الجنـرال الكسندر كـما اعـطتـه الاخبـار السـارة بـأن الحلفـاء سيحتلون ميناء نابولي .

لقـد أصيب الميناء بـاضـرار كبيـرة ، ولكن يمكن اصـلاحهـا في الحـال بحيث يعمل بانتظام ، ووجدت قيادة البحرية ، على كل حال ، أنه ليس من المحتمل أن يشَن كيسلرنغ الآن هجومه المعاكس الخطير باتجاه الجنوب .

وكـان الجيش الثامن يحـرز تقدمـاً جيداً ويـنـدفع شمـالاً من السـاحـل الشـرقي ، كما أتم احتـلال ميناء تيـرموني Termoni يـوم (٥) تشـرين الأول بهجـوم ممتاز من القـوات المحمولـة بحراً ، واعتقـد كيسلرنغ تمـاماً بـأن هـذا الاختراق قد فتح باب التقدم الخطير إلى روما من الاتجاه الشرقي ، لذلـك ، أبرق إلى الجنرال فيتنكهوف بأن يرسل الفرقة الالمانية المدرعة (١٥) من منطقة (فولتورنو) Volturno عبر شبه الجزيرة فوراً إلى الجـانب الآخر ويحـاول صد وإيقاف تقدم مونتغمري .

ولقد توقف الجنـرال مونتغمـري وهو المشهـور بالحـذر في غضون ذلـك الوقت وذلك لاعادة تنظيم أماكن تموينه ، ثم أخبر الجنرال فيتنكهوف بعـدئذ الجنرال كيسلرنغ بأنه لا يبدو بأن الجيش الثامن سيستثمر الفوز وبعد أن أنجز اللواء (لـوسيان تـروسكوت Lucian Trscott) الصغـير والفرقـة الأمـريكيـة الثالثة العبور البارع لنهر فولتورنو سافر فيتنكهوف باجـازة واعلمنا بـأن جنرال آخـر جديـد وهو الجنـرال (ليملسن Lemelson) قـد عـين كقـائـد للجيش العاشر حسبما ظهر لنا ذلك من الرسائل الملتقطة وكما تنبأت للجنرال الكسندر حينـما التقيت به في (لامـارسا) فقـد اعطتنـا (الأسرار فـوق العادة) صـورة واضحة جداً عن تحركات هتلر وكيسلرنغ ونواياهما .

وكان المستر شـرشل قـد سافـر إلى طهران في نهايـة شهر تشـرين الثاني وتـوقف أثناء سفـره في القاهـرة حيث عقد مـع المسـتر روزفلت مؤتمـراً مهـماً واختـاروا الرجـال للقيام بعمليـة السيد الأعـظم وهـو الاسم الـرمـزي لغـزو فـرنسا ، وفي هـذه المرة ، أراد المسـتر شرشـل أن يصطحب معـه جماعـة من

الاستخبارات (أي من جماعة الاسرار فوق العادة) ثم وردتني مذكرة مختصرة من مقره في داوننك ستريت باسلوب لطيف عادي يقول فيها : « يا سيد براي هيىء الترتيبات الضرورية» . وكان المستر شرشل يستخدم قناة وحدة الارتباط الخاصة طوال فترة وجوده في مؤتمر طهران كلما أراد أن يحصل على رد سريع ، وكانت هناك حالات قليلة جداً يجب فيها استخدام وحدة الارتباط الخاصة من قبل المستر شرشل والجنرال ايزنهاور وأخيراً المستر هاري ترومان حينما يرغبون باتصال شخصي سري من جماعة (الأسرار فوق العادة) مع شخص سري آخر لاجراء مخابرة فورية وذلك حينما لا يريدون أن يطلع أي شخص على تلك الرسائل وان كان من منظومات مخابراتهم .

وامضى ايزنهاور ومونتغمري عيد رأس السنة في لندن وباشرا معاً في اعداد الخطط لاعظم مغامرة في عبور القنال الانكليزي ، ولكننا الآن سنتوقف قليلاً مع الجنرال الكسندر الذي نقل في الوقت الحاضر مقره إلى (كاسيرتا Caserta) ومع الجنرال السير أو ليفر ليس Sir Oliver Leese الذي تولى قيادة الجيش الثامن من مونتغمري .

ماذا يقول المرء عن مآسي وآلام شاطىء أنزيو Ansyio لنعد إلى لندن ، أننا شعرنا قبل البدء بهذه العملية بأننا حينما نقوم بها لا بد وأن نجبر الجنرال كيسلرنغ على ترك الخط الدفاعي كوستاف ونضع حداً للمعارك الدامية في كاسينو وما حولها لذلك بدأنا ندقق كل رسالة رمزية تقع في أيدينا لنرى فيما إذا كانت هناك أية اشارة تدل على أن الجنرال كيسلرنغ لديه شكوك فيما سيقع من الاحداث ، وأتضح لنا من رسائله الى القيادة الالمانية العليا بأنه يعتقد بأمكانية أيقاف الحلفاء على خط كاسينو ، لفترة من الوقت في الأقل ، ولم نجد أية علامة تدل على وجود تحشد للقطعات في اتجاه (أنزيو) بل أظهر كيسلرنغ اهتماماً حول تنامي فرق المستعمرات الفرنسية كما تم جلب بعض القطاعات إلى جنوب روما ولم تكن هناك أية اشارة تدل على وجود تهديد لـ (أنزيو) ، وفي نهاية الاسبوع الثالث من شهر كانون الثاني تماماً وإلى لحظة

الانزال، تمت تهدئة الجنرال مارك كلارك بخصوص المباغتة الاستراتيجية الكاملة واحتمال عدم وجود مقاومة جديدة ولا يمكنهم جلبها قبل مضي (٤٨) ساعة.

ومع الأسف الشديد، أصبحت قصة معركة أنزيو الآن معروفة تماماً، فان مسك رأس الجسر الناجح على الشاطىء ومن ثم تردد القائد الامريكي بالتقدم إلى الداخل لقطع خطوط تموين الجيش العاشر وتأخره كثيراً بحيث أصبح اتخاذ أي عمل آخر أمراً متأخراً جداً ما عدا حفر الخنادق والانتظار للهجوم المعاكس الذي لا مفر منه .

وعلى أية حال ، لم يكن الوقت متأخراً جداً حينما قرأنا رسائل الجنرال كيسلرنغ إلى برلين بأنهم حصروا منطقة الانزال الآن . ففي شهر شباط أصبح على وشك القضاء على رأس الجسر غير انهم تمكنوا من الصمود وحاول بعد ذلك وهو مقتنع أن يحاصرهم بجيش جديد وهو الجيش (١٤) الذي أمر هتلر بتشكيله لهذا الغرض ، وأصبح لديه الآن (٢٢) فرقة موزعة بين روما وخط كاسينو وصمد رأس الجسر الضيق لمدة أربعة أشهر وعرفنا الآن من (الأسرار فوق العادة) عن وصول القطعات الجبلية شديدة المراس والتي سبق لها وأن قاتلت في كريت .

وبعد برهة وجيزة ، حصلنا على رسالة مهمة صادرة من كيسلرنغ الى القيادة الالمانية العليا يخبر فيها بأنه يتوقع أن يقوم الحلفاء بمحاولة كبيرة لتحطيم خط كاسينو حالما تسمح الانهار الفائضة والطرق الخارجية بذلك .

نكتفي بهذا القدر ونقول كيف أن هؤلاء الجنود الجويين انقلبوا الى جنود وقاموا بعمل شهير وهو إيقاف تقدم الحلفاء إلى روما وتغلبوا على أعمال حلفائهم الايطاليين المشينة . ولم يكن كيسلرنغ عاطلاً عن العمل خلال فصل الشتاء لأنه عرفنا من رسائله الملتقطة بأنه يقوم ببناء خطوط دفاعية خلف خطه الدفاعي الحالي وهو خط ادولف هتلر الدفاعي عبر وادي (ليري Liri)

والخط الأخير وهو خط القيصر حيث يتحد فيه الجيشان العاشر والـرابع عشـر لحماية روما من السقوط .

ويبدو أن هتلر كان مقتنعاً بهذه الترتيبات ولكن لغاية اليوم العاشـر من شهـر آيار لم يكن كيسلرنـغ متأكـداً من مكان وزمـان تعرض الحلفـاء المتوقـع القادم .

وفي الحقيقة ، أن الرسالة إلى الجنـرال فيتنكهوف قـائد الجيش العـاشر والتي استلمها وهو في مقر هتلر تخبره بلزوم عودته حالاً هي التي بينت لنا بأنه ليس فقط غائباً عن قيادته وهو في المانيا فحسب بل إنما أيضاً بينت بأن توقيت التعرض كان امراً مباغتاً للجنرال كيسلرنغ .

ولقـد بدأ تعـرض الجنرال الكسنـدر على خط كـاسينو في منتصف ليلة (١٢) آيار من عام ١٩٤٤ واخبر الجنرال كيسلرنـغ بأن الهجـوم الرئيس عـلى مونت كاسينو قد ارتد غير أنهم فقـدوا بعض الأراضي الكائنـة جنوب مـدينة كاسينو . كما أخبر القيادة الالمانية العليا يوم (١٣) آيار بانه قد استخدم جميـع القوات الاحتياطيـة في المعركـة ، وتلقيت مكالمـة هاتفيـة ظهر يـوم (١٣) آيار والذي يصادف يوم الاحد من رئيس الـوزراء في منزلـه في جيكرز وطلب مني أن التقي به مساء في الساعة التاسعة في مقـره في مدخـل العمارة وأحمـل معي جميع الرسـائل التي تعـالج جبهـة كاسينـو . وتعجبت من الأمر فقلت لنفسي ماذا جرى ؟ ثم اتصل بي هاتفياً سكرتيره، الخاص بعـد بضع دقـائق وأطلعني على الموضوع ، واتضح أن المستر شرشل كان قـد عاد إلى جيكـرز مساء يـوم السبت من زيارة سرية قام بها إلى مقر الجنرال الكسندر في إيـطاليا ، وعـرفت أن رئيس الوزراء قد أصبح قلقاً جداً من جراء ضعف الحلفاء وعدم تقـدمهم في إيطاليا ، وكان يريد أن تسقط روما قبـل البدء بعمليـة (السيد الاعـظم) عبـر القنال الانكليـزي ، وكان لمـأساة معـركة انـزيو ، التي لم يكن للجنـرال الكسندر أي ذنب فيها أثرها الكبير في تباهي وتفاخر الالمـان بمعنويـاتهم والتي كنا نرغب في اضعافها قبل أن نشرع بالانزال في فرنسا .

واتضح أن الجنرال الكسندر قام بايجاز المستر شرشل وكان بين يدي رسالتان أو ثلاث رسائل تشير إلى تقدم الجيش الثامن تقدماً طفيفاً حول كاسينو وإلى ادعاءات الجنرال كيسلرنغ في سحق الهجوم على (مونت كاسينو) ولم تكن هذه الرسائل من الرسائل المختارة خاصة لادخال السرور والفرح في قلب رئيس الوزراء ، وكانت تلك الليلة من الليالي الشديدة البرد من شهر آيار ، وكان رئيس الوزراء يرتدي بدلته المفضلة وقد غاص في مقعده ذي الوجه المصنوع من الجلد الاخضر امام موقد النار الفاخر ، وكانت علامات التعب بادية عليه ، وحالما طلب مني أن أجلس واقص عليه ما عندي من الاخبار ، كان يمتص نفساً طويلاً من السيكار وكنت اشعر بالضيق بحيث سلبني هدوئي الاعتيادي ، ولكن في الحقيقة ، كان افتتاحي الحديث معه بطريقتي الخاصة في سرد الاخبار شيئاً مثيراً وبينت له تفاصيل قليلة عن مختلف المعارك التي جاءتنا بعد الظهر وحينما قال لي : « هل هذا كل ما لديك » ؟ وجب علي أن اقول له بأنني أخشى أنها كذلك ، ثم ذهبنا إلى غرفة الخرائط حيث وضع الاشارات على بعض الاماكن نتيجة لما أخبرته من المعلومات ، لكنني وجدته متحيراً ومصاباً بخيبة أمل ، وشكرني على قدومي بطريقته اللطيفة التي اعتاد عليها ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال : « لاحظ ، أول شيء أريده في الصباح هو معلومات اكثر ، واعتقد ان بامكانك ان تجد بعض المعلومات المهمة » ، وكان الوقت متأخراً ولكنني اتصلت هاتفياً بالخفير في منطقة بليجلي وحذرتهم بأن يحترسوا ثم جاءتني الاخبار في الساعة الثالثة صباحاً مع طرق السيدة (أوين) باب مكتبي وهي تحمل معها كوبا من القهوة الفاخرة وتتضمن تسلق القطعات المراكشية الفرنسية الجبل جنوب كاسينو . وكان الجنرال كيسلرنغ هادئاً لكن الرعب كان مسيطراً عليه بوضوح جراء هذا العمل البطولي ، فأبرق إلى هتلر يقول فيها : « أصبح الخط الدفاعي كله في كابينو في خطر الآن » ، فارسلت هذه الرسالة في الحال إلى مقر رئيس الوزراء قبل الساعة السابعة والنصف صباحاً واتصلت هاتفياً مع الجنرال (أسماي) ليعلم مجريات الاحداث وأنني لم أشاهده قبل ليلة ولا

أعلم هل غمضت جفونه في تلك الليلة أم لا ، ولم أكن أعرف أنه سهر الليل مع المستر شرشل حتى الساعة الثانية صباحاً ثم استيقظ في الساعة السابعة صباحاً .

وكانت الرسائل إلى برلين في ذلك اليوم تتضمن بأن الامريكيين والانكليز يحرزون بعض التقدم وأكد كيسلرنغ مرة أخرى بأنه القى بجميع قواته الاحتياطية في المعركة .

كان الجنرال كيسلرنغ رجلاً قلقاً كما أن الجنرال فيتنكهوف لم يزوده بكافة المعلومات بشكل صحيح لكي تتضح له الصورة الصحيحة لأنه أرسل في وقت مبكر من صباح يوم (١٤) آيار شخصاً إلى الجنرال فيتنكهوف يخبره بأن يخبر الجنرال كيسلرنغ وقت الظهر ماذا يجري بالضبط من الاحداث ، (وكنت في غاية الفرح حيث دونت ملحوظة على هذا النبأ إلى المستر شرشل وقلت فيها بأن هذا الأمر انما يفسر على أكثر احتمال لماذا لم يخبر كيسلرنغ عن نجاح الفرنسيين يوم الأحد ، وما أردته أن يشعر بأن الكوخ رقم (٣) قد اخفق في عمله) .

وفي يوم (١٥) آيار ارسل كيسلرنغ رسالة إلى هتلر يخبره فيها بحدوث اختراق آخر من قبل قوة فرنسية أخرى على جبل مونتي أوروني Monti Aurunei المنيع والذي يسيطر على وادي (ليري) بأسره وعلى طرق التموين المؤدية إلى خط كاسينو .

وفي يوم (١٦) وردت التقارير من كيسلرنغ يخبر فيها عن نجاح القوات البريطانية والبولندية حول كاسينو ثم جاءتنا الاخبار يوم (١٧) وهي الاخبار التي كنا ننتظرها : لقد أمر الجنرال كيسلرنغ باخلاء جبهة كاسينو كلها ، لأنه ، كما يقول : ـ اخترق الفرنسيون الجبهة لمسافة (٢٥) ميلا خلف الخطوط الالمانية ، ولقد كرر رسالته إلى القيادة الالمانية العليا ولقد عم السرور في منطقة بليجلي فأرسلوا هذه الرسالة إلى المستر شرشل والجنرال الكسندر

وإلى رئيس اركان الجيش الامريكي في واشنطن بعد بضع دقائق من ارسال كيسلرنغ هذه الرسالة .

ولقد كان هجوم القطعات المراكشية عبر الجبال كما يقول كيسلرنغ في رسالته إلى برلين ، امراً غير متوقع تماماً .

وبحلول (١٩) آيار أصبح من الصعب جداً حتى من رسائل (الأسرار فوق العادة) تصنيف ما يجري من الاحداث ، فقد أبرق الجيش العاشر الالماني طالباً التقويات والامدادات وهو يائس بعد أن فقد معظم قطعات فرقتين من فرقه . وعرفنا بأن مواصلاته هي على أسوأ حال لأنه يطلب في رسائله الاخيرة بان يخبروه عما يجري من الاحداث ، ويبدو أن الجنرال فيتنكهوف قد فقد الاتصال مع فرقه لأنه لم يرد على رسائلها . واصدر الجنرال كيسلرنغ أوامره يوم (٢٢) آيار بوجوب انسحاب القوات من وادي (ليري) وبدأ الحلفاء اندفاعهم من (أنزيو) في اليوم التالي .

وأبرق كيسلرنغ إلى برلين مخبراً بأن الحلفاء شطروا الجيشين العاشر والرابع عشر إلى شطرين وطلب من هتلر السماح بترك خط ادولف هتلر الدفاعي الواقع على بعد (١٠) اميال تقريباً من الخط الحالي كاسينو . وينسحب إلى خط قيصر الدفاعي الذي يقع جنوب روما بمسافة (٢٠) ميلاً تقريباً ، وفي رسالة أخرى أمر فيها آخر فرقة احتياطية الكائنة في شمال ايطاليا أن تأتي وتشترك في المعركة ، ثم جاء الرد مر هتلر ان يسمح له بالانسحاب إلى خط قيصر الدفاعي وذلك يوم (٢٤) آيار .

وقد أخبرني المستر ستيوارت مينزيز قائلاً بأن المستر شرشل حينما زار ايطاليا وافق على خطة الجنرال الكسندر المتضمنة ايقاع الجيوش الالمانية في الفخ ثم تدميرها جنوب روما بدلاً من دفعها إلى الشمال ، فإذا نجحت الخطة فانها تحطم معنويات الجيش الالماني باسره تماماً في هذا الوقت الحرج قبل البدء بعملية السيد الاعظم .

ولقد تم ايجاز الجنرال مارك كلارك تماماً حول خطة الجنرال الكسندر

واستلم الوصايا لاستخدام قواته المستعدة الآن للقيام بالاندفاع من أنزيو وتتحرك بسرعة باتجاه الشرق لايقاع الجيشين العاشر والرابع عشر المنسحبين في الفخ من الخلف . (بينت الاسرار فوق العادة النقطة الضعيفة) . ولكن بدلاً من ذلك رأى من المناسب أن يتجاهلها ويرسل قوة رمزية صغيرة الى الشرق وان يقوم هو شخصياً بالاندفاع شمالاً من الساحل الغربي إلى روما ، وكانت النتيجة أنه لم يحقق كلا الغرضين أو الهدفين ، فلم يتمكن الجنرال كلارك من فتح روما ولا ايقاع الالمان في الفخ .

وفي هذا الوقت ، أرسل هتلر رسالة رمزية يقول فيها اما الموت أو النصر إلى قطعاته في ايطاليا والتي عبرها كيسلرنغ في الوقت المحدد إلى الجنرال فيتنكهوف . أما الجنرال فيتنكهوف فلم يبعث باية رسالة تدل على اعترافه باستلام الرسالة ، والتي لم تسبب أية دهشة في مجريات الاحداث ، ولكن ، في يوم (١٣) آيار أبرق كيسلرنغ إلى القيادة العليا الالمانية يخبر فيها بأن خط قيصر الدفاعي الذي انسحب اليه الجيشان الالمانيان الآن صامد أمام هجمات الحلفاء بالرغم من الخسائر الجسيمة .

ومع ذلك ، لم يدم تقريره فترة طويلة حيث أخبر في اليوم التالي بأن الحلفاء فتحوا ثغرة الآن في خط قيصر الدفاعي نفسه ، ولم يبق أي شك بأنه سيحاول استعادة نوع من التماسك فجمع الجيش العاشر والرابع عشر معاً .

وفي (٢) حزيران طلب كيسلرنغ من هتلر الاذن باخلاء روما بدون قتال ، فوافق هتلر على طلبه يوم (٣) حزيران حيث كانت قوات كيسلرنغ في هذا الوقت تهرب نحو الشمال ، والآن استلم الجنرال كلارك بعض الملاحظات من (الأسرار فوق العادة) أخيراً ، وعرف من رسائل كيسلرنغ بأن الالمان لا يدافعون عن مدينة روما فنظم رتلين منقولين جوا وسار في مقدمتها وهو يدخل منتصراً للمدينة الازلية قبل أي شخص آخر .

وانني أرى ان عدم دفاع كيسلرنغ عن روما انما هو مفخرة بنبل وربما لم يرغب ان يقترن اسمه مع (نيرون Nerone) ولكنني اعتقد ان احساسه

الداخلي للفن والتاريخ هـو الذي حثـه لانقاذ رومـا ومن بعدهـا فلورنس من الدمار الذي ينجم من الهجمات الخارجية القاسية والعنيفة .

ولقد حصل شرشل على مدينة روما قبل يومـين تمامـاً من البدء بعمليـة السيد الاعظم التي عصفت بهدوء القنال الانكليزي .

وإنني اعتقـد ، إذا ما تمعنـا في الموضـوع ، بأن معـركة ايـطاليا اعـطتنا الصورة الكاملة تقريباً للجانب الالماني حسبما وجدنا ذلك في الملفات الموجـودة في مكتب كيسلرنـغ في روما ، وكـان من الضروري بشكـل واضح أن نضـع جميع الرسائل المتداولة بـين كيسلرنغ والقيـادة الالمانيـة العليا وهتلر ونعـرضها على الملأ ، وهي النقطة التي كنت قد أعددتها سابقاً مع الكسندر .

أمـا بـالنسبـة لي وانـا في مكتبي في لنـدن حيث الخـطط الاستـراتيجيـة الرئيسة فقط لعملية (أفالانج) و(أنزيو) معروفة لي ، كأني جالس على يمـين كيسلرنغ اراقب سير المعركة كلياً من وجهة نظره .

ولقد بينت بشكل جيد ومفصل رواية معركة الطريق إلى روما من وجهة نظر معلومات (الاسرار فوق العادة) لكي أظهر كيف أن هذا « البعد الجديد للحرب » ليس فقط هو في أيدي قادة الميدان بل انما في ايدي المسـتر شرشـل وروزفلت ورؤ ساء اركان الحلفاء ايضاً .

وقـد يستنتج بعض النـاس بأن قـادة الميـدان لم يـدركـوا كيف يلعبـون بالأوراق التي هي في أيديهم، ولكن لا يمكننا أن ننكر بأنهم أعطوهم الفرص لتنفيذ خطة الجنرال الكسندر .

وانني اعتقد بأن الصورة التي بينتها في مجرى الاحداث والمعنـونة بقتـال كيسلرنـغ وانسحابـه من صقليا إلى رومـا هي بمستـوى حـركـات الانسحـاب العظيمة الاخرى في التاريخ .

الباب الرابع عشر

الاستحضارات لعملية السيد الأعظم

لقد اختار وزراء دول الحلفاء ورؤساء أركانهم الفريق فردي موركان Freddi Morgan بعد مؤتمر الدار البيضاء ليكون في منصب رئيس أركان القائد الأعلى للحلفاء لغرض تشكيل منظومة التخطيط لغزو الحلفاء لفرنسا .

ولقد تولى منصبه في أوائل شهر اذار من عام ١٩٤٣ في قصر نورفولك الخالي الآن حيث كان الجنرال أيزنهاور قد أقام مقره فيه سابقاً قبل البدء بعملية المصباح في شمال افريقيا .

وناقشته في موضوع تزويده بجماعة من (الاسرار فوق العادة) لمساعدته في اعداد الخطط لعملياته ، وأقر بأنه سيجد كل المعلومات التي يحتاجها وهي منسقة ومصنفة في وزارة الحرب ووزارة الطيران .

وأخبرته ، على كل حال ، بأنني سأجلب له كل موضوع مستعجل أو مهم جداً حال ظهوره .

وكان عدد كبير من الأشخاص المؤهلين يقصون حكاية القذائف الطائرة (٧١) ولكن لحد الآن لم يكشف النقاب عن الدور الذي لعبته (الأسرار فوق العادة) في موضوع بحوث الاستخبارات في طبيعة أسلحة هتلر السرية مع مكان موقع التجربة والتي تطورت فيها والمعلومات المتعلقة بالاطلاق الحقيقي والمعلومات عن كفاءتها .

لقد قام بالبحث أولاً آر . في . جونس R. V. Jones والذي كان يعمل

في الاستخبارات العلمية السرية في دائرة مصلحة استخباراتنا السرية وتبين لنا الطريقة التي بواسطتها تحل المعضلة وكذلك عن التنسيق الذي يمكن القيام به بين التقارير الواردة من الوكلاء السريين ومن (الأسرار فوق العادة) ومن تصاوير طائرة التجسس .

وأول مرة تنكشف فيها القنابل الطائرة (٧١) في (الأسرار فوق العادة) هي من رسالة رمزية تتضمن ارسال حماية خاصة لمقاومة الطائرات إلى الموقع (FZ676) الكائن على بحر البلطيق ، وهذه هي المرة الأولى التي سمعنا فيها اسمها الصحيح الرسمي . وكنا قد سمعنا شيئاً ما عن القنابل الطائرة السرية من وكلائنا في أوائل عام **١٩٤٣** وقبل رسالة (الأسرار فوق العادة) .

ولقد أثبت هذان التقريران معاً بأن هناك نوعاً ما من القذائف قيد الانتاج ، ثم قام المستر جونس بمغامرة ، فقد كان يعلم بأن الالمان ، بعد أن اصيبوا بالقلق من جراء تثبيت مسار المدفع بعيد المدى الذي بواسطته قصفوا باريس في الحرب العالمية الأولى ، قد يحاولون استخدام الرادار لتأشير أي نوع من القذائف التي يطورونها ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإنه خمن تخميناً صحيحاً بأنهم قد يسألون مؤشري الرادار الأكثر خبرة من الموجودين لديهم . واعتقد أنهم يتواجدون في السرية (١٤) و (١٥) من كتيبة (لوفت ناخ رختن فيرسوخز) Luft Nachrichten Versuchs ، وعليه قام بايجاز الشخص الذي يتصل به في الكوخ (٣) في بليجلي ليراقب كل شيء يتعلق بهاتين السريتين وابلاغه فوراً إذا ما تحركت احداهما أو كلتاهما إلى ساحل البلطيق ، وبعد شهر أو شهرين ظهرت رسالة رمزية لدى (الأسرار فوق العادة) تبين بأن السرية (١٤) قد تحركت حقيقة إلى هناك وباشرت في تأشير طيران القنابل الطائرة ، ومن حسن حظنا أنهم اذاعوا التأشيرات برسالة رمزية ذات أرقام بسيطة بحيث نتمكن بأنفسنا من حلها .

ومن التأشيرات ، تمكن جونس من ايجاد ترتيبات جميع محطات التأشير وحصل على أرقام الكفاءة بالتفصيل عن معظم تجارب القنابل الطائرة وعندما

وجد احداثيات نقطة الاطلاق في (بينموندا Peenemunde) بتعقيب الأثر إلى الخلف من تـأشيرات الـرادار ، طلب من طائـرة التجسس أن تقـوم بـطلعـة استطلاعية فوق ذلك المكان البارز وفوق نقطة الاطلاق الأخرى أيضاً ، والتي عرفها بنفس الـطريقة وهي تبعـد مقدار بضعـة أميال عـلى طول السـاحل في (زمبن Zempin). وأظهرت التصاويـر الجويـة موقعي الاطـلاق وحدث ان كـانت القنبلة الطائـرة (٧١) في (بينمونـدا) في وضع الاطـلاق قائمـة على قاعدتها .

ولقـد قصفت (بينمونـدا) في حينه في شهـر اب عـام ١٩٤٣ وكـانت الاضرار كثيرة إلى درجـة تأخـر فيها صنـع القنابـل الطائـرة (٧١) لمدة ستـة أشهر، ثم توقفت تأشيرات الرادار و (الاسرار فوق العادة) لفترة من الزمن وعلى كل حال ، بدأت (الأسرار فوق العادة) تعمل عملها مرة أخرى حينما نقـل موقـع الاطلاق إلى بولندا وتطلب ذلك ارسال الرسائل الرمـزية مـرة أخرى . وكـان هذا الانجاز من الاستخبـارات البارعـة جداً للمسـتر (آر . في . جونس)، ولما اقترب موعد البدء بعملية السيد الأعظم ، بدأنا نحصل عام ١٩٤٤ عـلى تقارير كثيـرة جداً من وكـلائنا عن بنـاء مواقـع اطلاق القنـابل الـطائرة عـلى الساحل الفرنسي ، كما تم تصوير هـذه المواقـع وتم قصفها حـالما ظهـرت لنا مـواقعها بحيث اضـطر الالمان لصنـع قواعـد اطلاق جـاهزة سيـارة ليتجنبـوا تدميرها .

وفي شهر نيسان عام ١٩٤٤ اخبرتنا (الأسرار فـوق العادة) أخيـراً بأن هتلر قد أصدر أوامره بخصوص تـأسيس مقرات خـاصة بـالقرب من (آمـين Amieno) في فرنسا للسيطرة على عمليات القنابل الطائرة (٧١) وكل شيء يقـوم مقامهـا ، وتكون هـذه المقرات الجـديدة تحت قيـادة العقيـد (فـاختـل Wachtel) وتسمى باسم (كتيبة مقاومة الطائرات ١٥٥)، وبمـا أن الرسـالة كانت معنونة أيضاً إلى الجنرال (هاينمان Heinemann) قائـد الفيلق (٦٦) فأصبح من الواضح بأن الكتيبة الجديدة ستصبح تحت قيادته الإدارية .

وفي نهاية شهر أيار عام ١٩٤٤ وردت رسالة رمزية من العقيد (فاختل) إلى قائد الفيلق (هاينمان) يخبره فيها بأن خمسين موقعاً لاطلاق القنابل الطائرة هي جاهزة للاطلاق ، وهذا النبأ جعل المستر شرشل يصمم أخيراً على الحث للبدء في عملية (السيد الأعظم) في شهر حزيران مهما كلف الثمن : وعند ذلك ، أصبح الوقت اثمن شيء ، وفي يوم (ي) أي يوم البدء بالعملية يوم (٦) حزيران استلم العقيد (فاختل) رسالة رمزية يؤمر فيها بالاستعداد لشن تعرض فوري شامل يبدأ يوم (١٢) حزيران ، وفي يوم (١٣) حزيران أصبحت جاهزة وأطلقت أول قنبلة طائرة (٧١) .

ولنعد إلى الوراء إلى عام ١٩٤٣ ، في شهر تشرين الثاني كانت هناك معلومات مهمة إلى (موركان)، وهي عبارة عن رسالة من القيادة العليا الالمانية إلى جميع الوحدات في الغرب ، تخبره فيها بوصول الجنرال رومل للقيام بتفتيش عام للدفاعات الساحلية في فرنسا وبلجيكا ـ أو ما يسمى بالجدار الاطلسي لهتلر وكانت هذه المنطقة ساكنة تماماً من حيث الرسائل الرمزية منذ عام ١٩٤٢ حينما غادر الجنرال رونشتاد الجبهة الروسية ثم ظهر ثانية على المسرح كقائد عام في الغرب .

ولقد تغيرت القوة الاعتيادية المؤلفة من (٦٠) فرقة شاذة في القيادة الغربية بشكل طفيف جداً : حيث عرفنا من رسائله بأن جزءاً من واجبات الجنرال رونشتاد هي راحة واعادة تجهيز الفرق المنهكة والمستنزفة من الجبهة الشرقية ، وكانت لدينا صورة تقريبية عن القوة البشرية والتجهيزات والنواقص الأخرى بالاضافة إلى الصعوبات التي واجهت تطبيق خطة ادخال المحاربين من اسرى الحرب في الوحدات الالمانية ، كما عرفنا أيضاً ، بأن القوة الفعلية للفرق الجديدة لا تبلغ أكثر من ٥٠ ٪ من الملاك الكلي .

وفي عدة مناسبات ، بعث رونشتاد برسائله إلى القيادة الالمانية العليا يشكو فيها من حالة عدم الكفاءة بالنسبة للطاقة البشرية والحالة العامة للدفاعات في الغرب ، وكانت كل هذه المعلومات مهمة جداً للمخططين .

وعلى كل حال ، كان أحد المواضيع التي حصلنا عليها بوضوح والتي هي في غاية الأهمية إلى الفريق (موركان) في أواخر عام ١٩٤٣ هي التي يبين فيها الجنرال رونشتاد تقديره للموقف ويبين فيه المكان الذي سيحدث فيه غزو الحلفاء ، وكان تقديره للموقف صحيحاً بالنسبة إلى التفكير العسكري الالماني التقليدي حيث بين فيها رأيه بأن الحلفاء سيسلكون بالتأكيد أقصر الطرق البحرية ويهاجمون من منطقة (باص دي كاليه) .

وأعتقد أنه من الصواب القول بأن هذه الرسالة هي التي بذرت بذور الخطة الخداعية المتقنة لتأسيس جيش وهمي في مقاطعة (كينت Kent) المقابل لـ (باص دي كاليه) لدعم وجهة نظر رونشتاد . وفي مؤتمر كيوبيك عرض الفريق موركان خطته الأولية لعملية السيد الأعظم والذي انعقد في شهر اب عام ١٩٤٣ ، وفي شهر تشرين الثاني وافق كل من المستر شرشل والمستر روزفلت أخيراً على هيكل القيادة عندما كانا في القاهرة وهما في طريقهما إلى مؤتمر طهران .

وأخبرني (تيدر) في شهر تموز عندما كنت في تونس بأنه يأمل أن يحصل على عمل بمستوى عال مع الجنرال أيزنهاور ، وعرفت الآن بأنه أصبح نائب القائد العام تحت قيادة الجنرال أيزنهاور ، وكان ذلك من الاخبار الجيدة جداً . وفي شهر شباط عام ١٩٤٤ ، أقام الجنرال أيزنهاور مقره تحت اسم (القيادة العليا لقوة حملة الحلفاء ، وبدأت بدوري في اعداد خطتي لتأمين شبكة جديدة من وحدات الارتباط الخاصة وجعلت من واجبي معرفة كافة القادة العسكريين وضباط ركنهم شخصياً ، وكان هذا العمل نوعاً خاصاً جداً من الاستخبارات ويتطلب علاقة خاصة إذا ما اردت الحصول على أفضل النتائج من (الاسرار فوق العادة)، وإنني لم أكن من مؤيدي الرأي الذي يحمله مونتغمري القائل بأن يكون جميع أفراد الاستخبارات مجهولين تماماً ويجب أن لا يتصل القائد بالمصدر أو يقدم شكره بأي حال من الأحوال .

أما بالنسبة لـ (الأسرار فوق العادة) فقد تضمنت القائمة العريضة اسماء أولئك الذين يستعملون معلوماتها باستمرار مع مقدار كبير من المعلومات الخفية بالاضافة إلى تلك المعلومات التي تنتخب من قراءة رسائل القيادة الالمانية العليا الكثيرة جداً ، ووجدت أن هذا الأمر هو الذي يريده أكثرية القادة ويحرصون على معرفته .

ولما استقر مقام القادة العسكريين نظمت أعمالي مع كل واحد منهم فكانت هناك خطوط طويلة من الأكواخ الخشبية الخضراء التي تشكل مدينة امريكية صغيرة في ساحة (بوشي بارك Bushy Park) . وهنا في هذه المنطقة ارتفعت الأعلام الامريكية على الصواري وأقيمت الاحتفالات وتتواجد حول الساحة الانيقة أكواخ القائد الأعلى وضباط الأركان الرئيسيين وكنت انجذب عادة نحو الكوخ المعد لـ (تيدر) لأعرف ما إذا كانت هناك أية حالة خاصة تريد القيادة الأعلى لقوة حملة الحلفاء مراقبتها . وكان الجنرال برادلي على علم ودارية (بالأسرار فوق العادة) في تونس ، غير أنني الآن بامكاني أن أعطيه الايجاز الكامل مع الضباط الركن الذين طلب مني ادخال اسمائهم في قائمة (الأسرار فوق العادة) .

وأصبحت صديقاً حميماً لضابط استخبارات الركن الثاني للجنرال برادلي وهو العقيد مونك ديكسن Monk Dicksin طوال فترة الحرب ، وكنت التقي به في عربة عمله الواقعة في إحدى الزوايا من الحقل أو الغابة جندياً هادئاً وكفوءاً ، أما الفريق ويليام سمبسون William Simpson الذي كان من المقرر أن يقود الجيش الامريكي التاسع حينما يكون جاهزاً للعمليات فقد نقل مقره إلى كلية (كلفتن Clifton) من بريستول Bristol وكان رجلاً طويل القامة ، لطيف المعشر ، ودودا ولا تفوته أية كلمة أو يسأل نفس السؤال مرتين وظهر لي أنه كان لائقاً تماماً لملء كرسي المنصب الذي خصص له في غرفة عميد الكلية والتي أصبحت الآن مقراً له ، وعندما ذهبت لأراه فيما بعد حينما كان في فرنسا أو المانيا وجدته يختار المدارس عادة ليتخذها مقرات له ،

كما وجدت الترتيبات النموذجية الحالية فاخرة وكانوا دوماً يرحبون بي حينما أعود إليهم لتناول الغداء أو المبيت ليلاً . أما الجنرال باتون فأصبح الآن من زملائي القدامى رغم أنه كان يفضل ـ حسبما قال لي في أول لقاء معه ـ بأنه يترك موضوع الاستخبارات إلى ضابط ركنه الكفوء جداً . وهو مقاتل جيد ولم يفشل أبداً من الاستفادة من كل فرصة تمنحها له (الاسرار فوق العادة) ويوجه فيها ضربة للعدو .

التقيت مع الجنرال مايلز ديمبسي Miles Dempsey ـ قائد الجيش البريطاني الثاني ـ لأول مرة حينما طلب مني أن التقي به في شقته في لندن في إحدى الأمسيات لأخبره بكل ما يتعلق بـ (الأسرار فوق العادة) . وكان حديث العهد بالنسبة لهذا المصدر لذلك أمضيت وقتاً طويلاً معه وأعطيته كل شيء عما قد يتوقعه . وكلما كنا نحتسي الويسكي والصودا كان يستغرق في الضحك وهو يقرأ رسائل هتلر ، وحينما غادرته في منتصف الليل ، شعرت وأنا متأكد من أنه سيستفيد من (الأسرار فوق العادة) إلى أقصى حد ويكون حريصاً جداً على هذا المصدر الثمين .

وأعتقد أن ضابط ركن اللواء لويس . ايج . بريريتون Lewis' H' Brereton كان على علم بمهمتي إلى (تيدر) حيث لقيت الترحيب الحار منه ، وكما أنه لم يمكث طويلاً في انكلترا ولم يلتق في ذلك الوقت مع أعضاء كثيرين من القوة الجوية الملكية ، وكان الاعتقاد يسود بأنني سوف القي محاضرات حيث هيأت السبورة ، ولكن عوضاً عن ذلك فقد اتيحت لي الفرصة بالتحدث لمدة ساعة أو أكثر ، ومرة أخرى ، سردت القصة الكاملة وكانت القوة الجوية الامريكية احد أكثر المستفيدين عملياً من (الأسرار فوق العادة) حتى حينما تكون أعمالها سرية في بعض الأوقات .

وكان الفريق هنري كريرار Henry Crerar قائد الجيش الكندي هو شخص جديد مع (الاسرار فوق العادة) وكان قد أقام مقر قيادته في قصر اللورد بيفر بروك Beaver Brok الواقع بالقرب من ليذرهيد

Leathrheadوكان موقعـاً هادئـاً : وكنا قـد أدخلنا اسم الجنـرال سيمونـدس Simmonds أحد قادة فيلقه في قائمـة (الأسرار فـوق العادة) بنـاء على طلب من الجنرال (كريرار) وأوجب عليه أن يبرهن على أنه ليس فقط قائداً لامعاً بل إنما شخص يتعامل بحماس مع (الأسرار فوق العادة) .

ولقد عاد الجنـرال سباتـز إلى انكلترا من تـونس لقيادة قـوة القاصفـات الاستراتيجية وكنت أعرف في هذا الوقت هذا القائد الامـريكي معرفـة جيدة والتقيت بـه في مقر الجنـرال (دولتل) الجـديد في مـدرسة واي كـومب أبـاي للبنـات Wy Combe Abby Girls School في (هـاي واي كـومب) High Wy Combe وهو لم يكن مسؤ ولا مباشـراً عن عملية السيـد الأعظم غـير أن قوته كانت تحت تصرف الجنرال أيزنهاور عند الحاجة .

لذلك كان مشغولاً جداً ، وكنت أسهر عـلى مصالحـه بصورة جيـدة في تـونس ووجدتـه دوماً الشخص الـذي يستفيـد من (الأسـرار فـوق العـادة) بحمـاس ، وخاصـة عندمـا كان شـاكراً لمـا تقدمـه من معلومات عن الانـواء الجوية في أوروبا ، ولم يكن مقره بعيداً عن قيادة القاصفات ، لذلك ثبت بأن يكـون كلاهمـا متصلين مبـاشـرة مـع الكـوخ (٣) . وحينـما انتقـل الجنـرال (سباتز) فيما بعد إلى القيادة الأعلى لقوة حملة الحلفاء في فرنسا كانت وحدات الارتباط الخاصة التابعة تقدم خدماتها . ومع كل هؤلاء القادة الذين عرفناهم الآن وأولئك الآخرين الـذين يطلبـون من دون شك وحـدات ارتباط خـاصة طالما تأتي تحت قيادتهم وحدات أخرى لعملية السيد الأعـظم فلا بـد وأن نعد منهاجاً واسعاً نوعاً ما لتدريب وحدات الارتبـاط الخاصـة المراد استخـدامها ، واحتجت لما يقارب (٦٠) عريفاً من القوة الجوية الملكية من العاملين في الجفرة واثني عشر ضابطاً ، ويجب اخفاؤ هم اخفاءاً كاملاً ـ وهي عملية تحتـاج بحد ذاتهـا بعض الوقت ـ وحينـما كنت اقتنع بـالاسس الامنيـة فقط ، كنت أقـوم باجراء مقابلة مع كل فرد لاتحقق من أننا نحصل على النوع الممتـاز من الجنود المندفعين إلى الواجب الصحيح وذوي المسؤ ولية العالية ، وجرى تعليمهم في مدرسة

خالية في شمال لندن ، يوماً بعد آخر مواضيع حل الجفرة وما يتعلق بالأمنية وكانت المجموعة المختارة تضم رجالاً اذكياء جداً أصبحوا يكرسون كل جهودهم للواجب .

وأصبحت وحدات الارتباط الخاصة على أتم استعداد في بداية شهر ايار للالتحاق بقياداتها حيث باشروا بالحصول على (الأسرار فوق العادة) من الكوخ (٣) .

لم تكن هناك رسائل رمزية مهمة تجلب الانتباه بالنسبة إلى عملية السيد الأعظم خلال شهر اذار، غير أننا علمنا بحلول شهر نيسان من الرسالة الرمزية الصادرة من القيادة الالمانية العليا ؛بأن الجنرال رومل قد تولى قيادة جحفل الجيش (ب) المسؤول عن الدفاع عن الساحل الممتد من هولندامارا بنورماندي وبريتالي وإلى نانت Nantesكأبعد ما يكون . أما جحفل الجيش (ز) الذي ضم معظم النصف الجنوبي من فرنسا ، فيكون مسؤولاً عن الساحل الغربي من (نانت) إلى الحدود الاسبانية ، وحالما تولى القيادة بدأ يبدد قواته ، واتضح له بعد التفتيش الذي اجراه على دفاعاته الساحلية أنها غير مرضية وبدأ في شهر نيسان يطلب طلبات مثيرة لتزويده بالمواد والعمال للقيام بتشييد الجدار الاطلسي الذي يفتخر به هتلر على أحسن وجه لأنه وجد الدفاعات غير ملائمة تماماً ولم تظهر أية علامة لتلبية طلباته بخصوص السمنت والفولاذ والخشب والأسلحة مما دعاه أخيراً بأن ينذر القيادة الالمانية العليا بأن ما كان يريد عمله قد انجزه بواسطة الجنود أنفسهم وهذا يعني بأن حالة الاستعداد أصبحت ضعيفة لديهم ولقد أيدت التصاوير الجوية طلبات رومل وتمكنا من الحصول على جدول توقيت جيد من كلا الطريقتين عن الانشاءات القائمة على قدم وساق في الساحل وعن الدفاعات الساحلية التي لا بد لنا من مواجهتها فيها بعد ، واتضح لنا من التصاوير الجوية بأنه بالرغم من طلباته الملحة والمستمرة من برلين لكل شيء بكثرة ، إلا أنه قام بواجبه على أحسن ما يكون بما لديه من القوات . لقد قام الالمان خلال ربيع

عـام ١٩٤٤ بعمل يجب أن يكـون من أعظم القـرارات المهمة من كـل تلك القـرارات التي تؤثر عـلى خطط الحلفـاء وعملية السيـد الأعظم . لقـد انبثق القرار من الخلاف في الرأي بين هتلر ورونشتاد ورومل وكـودريان وشفينبيـرغ Schweppenburg الذي كان يقود جحفلاً مؤلفاً من أربع فرق مدرعـة بانـزر وألفت القوة المدرعة الاحتياطية وتمركزت بالقرب من باريس . ولمـا كان هـذا الموضوع من المواضيع المهمة جداً لذلك أرى من الفائدة سرد كل الحقائق عما جرى ، كما عرفنا ذلك من الوثـائق المستولى عليهـا بعد الحـرب ومن ثم بيان المقدار الذي عرفناه من (الأسرار فوق العادة) في ذلك الـوقت . لقد أجـرى هؤلاء القادة الكبار مناقشتهم مع هتلر بصورة شخصية في بـرلين ، ولكن من حسن الحظ ، كانت هناك أوقات لم يكن فيها هتلر في برلين بل إنما يتواجد في مقره الكائن في الشرق في راستنبيرغ Rastenburg ومن تبادل الرسائل مـرة أو مرتين حول هذه الشؤ ون حصلنا على الادلة التي نحتاجها .

وسبق لي وأن أشـرت إلى تقديـر الموقف الـذي أعده الجنـرال رونشتـاد والذي اعتقد فيه بأن الحلفاء سيشنون غزوهم عبر (بـاص دي كاليـة) . غير أن الوثائق تظهر بأن هتلر وروءل معاً أعتقدا بشكل جازم بأن الغزو سيحدث على شواطىء نورماندي ـ وكان لدى روءل خط هـاتفي مباشـر يتصل بـه مع الفـوهرر ـ وسـواء أكان هتلر قـد تأثـر كثيراً من خـطط عملية السيـد الأعظم المزعومة أكثر من اعترافه بها في ذلك الـوقت وكانت هـذه الخطط قـد سرقهـا جاسوس الماني في شهر كـانون الثـاني من السفير البـريطاني في أنقـره ، والذي أخبر قادتـه العسكريـين الالمان بـأنها خدعـة واضحة من لـدن الحلفاء) أو لا نـدري مـا إذا كـان هتلر وروءـل قـد تلقيـا ايجـازاً أكـثر واقعيـة من مصـادر الاستخبارات الالمانية ، لكن النتيجة كانت بأن روءل ، الذي كـان قد درس بـوضوح الاعمـال الفنية المستخـدمـة من قبـل الحلفـاء في عمليـات الانـزال البرمائية في البحر المتوسط ، قد اقتنع بأن الطريقة الوحيدة لاحباط الغزو هي على الشواطىء نفسها ، وكان رومـل قد أعـد في بدايـة السنة خـطط الانفتاح الفرق المدرعة الاحتياطية القوية والتي كانت متمـركزة عـادة في مكان لا يبعـد

كثيراًعن باريس إلى مواضع اختارها وراء دفاعات نورماندي حيث يتمكن من ارسالها إلى مناطق الانزال بسرعة ، وكان يعرف حق المعرفة أيضاً بأنه من المستحيل تحريك هذه الفرق ، مع دفاعات جوية غير كافية اجمالياً فوق نورماندي ، على الطرق نهاراً وعند ذاك من الأفضل وضع دباباته كما يقول (على حافة المياه) إذا استطاع على ذلك .

أما هتلر ، الذي يعرف رومل جيداً في هذا الوقت ، وثق برومل وأيد تقديره للموقف مفضلاً ذلك على تقدير الموقف الذي أعده ذلك الرجل العجوز ، الأكثر تمسكاً بالتقاليد ، وهو الجنرال رونشتاد .

دخل الآن الحلبة الجنرال هاينز كودريان الذي كان عام **١٩٤٣** مفتشاً عاماً للدروع وهو مثل رومل له اتصالات شخصية مع هتلر ، وجادل هتلر قائلاً : ـ بأن ارسال الدروع الثمينة إلى الشواطىء إنما ينطوي على عمل خطير جداً ، وفي حالة حدوث الانزال في مكان آخر لا يمكن سحبها لمواجهة أي هجوم جديد قد يحدث عبر القنال الانكليزي .

وعلى أية حال ، فقد وقف هتلر بثبات مؤيداً بوضوح رومل ، ولكن لا بد أنه تردد قليلاً لأنه واصل الكلام مقترحاً على كودريان بأن يعود ويلتقي مع رومل لمناقشة الموضوع ، ويبدو أن هذا المسلك قد أوحى له بزرع أولى بذور الشك في عقله عما إذا كان رومل على صواب حقيقة . ويبدو على أكثر احتمال ، بأن هتلر كان في حالة غضب ، وأنه بدأ يشك حول مستقبل رايخ الالف سنة بأسره أيضاً ، كما يقول كودريان ، لأن هتلر هاج هياجاً شديداً حينما اقترح عليه هو (كودريان) بتقوية دفاعات ساحل الجدار الاطلسي غير الوافية جداً .

وحينما ذهب كودريان لمواجهة رومل ، اصطحب معه الجنرال كايرفون شفيبنبيرغ Geyr Von Schweppenburg الذي أصبح الآن قائداً لجحفل الدروع في فرنسا لكي يؤيده ، أما رومل فانه أبى أن يتزحزح قيد شعرة عن ترتيباته التي اقترحها ثم أبرق في هذا الوقت إلى هتلر في مقره راستنبيرغ يعزز فيها رأيه السابق المتضمن انفتاح الفرق المدرعة خلف سواحل نورماندي

ويرفض فكرة كودريان المتضمنة الاحتفاظ بالاحتياط المدرع بالقرب من باريس ثم أكد نقطة مفادها بأن التفوق في القوة الجوية للعدو يجعل من المستحيل تقدم الدروع بسرعة .

وكان هذا الاعتراف هو الدليل الحيوي الذي نريده ، وكنا نعرف ، بالطبع ، من جداول البيانات المفصلة طوال الأشهر السابقة تشكيل القوة الاحتياطية المدرعة وأماكن تواجدها . والآن ، لأول مرة ، عرفنا بأن هناك احتمال تحريكها باتجاه مناطق الهجوم لعملية السيد الأعظم حيث كانت لرومل حرية العمل ، وكان المطلب المهم للحلفاء ، ما عدا سير عملية السيد الأعظم سيراً هادئاً عبر القنال الانكليزي ، هو تحقيق أكبر قدر ممكن من المباغتة ، بالنسبة للوقت والمكان الصحيح للهجوم وابقاء بعض فرق المشاة الالمانية متمركزة مقابل (باص دي كاليه) والفرق المدرعة بالقرب من باريس .

ومن سوء الحظ ، لم نحصل على رسالة هتلر الرمزية التي اجاب فيها على رسالة رومل واتضح أنه كان في برلين ـ ولكننا نعلم الآن الأمر الذي نبحث عنه فبدأنا نمعن النظر في رسالة تتعلق بفرق المشاة وفرق الدروع لعلنا نجد ما يشير إلى تحريكها أو استعداداتها للحركة باتجاه الغرب .

ومن الصعب جداً أن نذكر مقدار ما بذلناه من جهد في سبيل وضع وتنفيذ الخطة الخداعية الممتازة لجيش باتون الوهمي في منطقة (كينت)، مقابل (كاليه) لغرض تعزيز آراء رونشتاد وزيادة الشك لدى هتلر .

ولا بد وأن التقطت الاستخبارات الالمانية العدد الهائل من الرسائل المزيفة الجارية في منطقة الجيش الوهمي وفكت رموزها ، وكان الجنرال باتون نفسه يبدو للعيان على الدوام مع كلبه الابيض الضخم داخل المعسكر والذي كان يشغله اركان هيكلية من جنود الجيش الامريكي ، وتم دعم الخطة الخداعية باسرها بواسطة العملاء الالمان المزدوجين والذين كانوا يعملون الآن

في بـريطانيـا ، اوعلى أية حـال ، كان هتلر متـردداً ازاء هـذين المـذهبـين من الفكر .

واخيـراً ، في شهر آيـار ، طلب الجنرال شفيينبيـرغ شخصيـاً من هتلر السماح له بأن يحتفظ بمعين قـوته الاحتيـاطية المـدرعة بـالقرب من بـاريس . وكانت النتيجة عبارة عن حل وسط حيث التقطنا أخيـراً في شهر آيـار رسالـة رمزية من هتلر إلى رونشتاد يؤكد فيها بقاء الفرق المدرعة الأربع التي تشكـل القوة الاحتياطية في اماكنها الحاليـة ، كقوة هجـومية ، بـامرة القيـادة الالمانيـة العليا المباشرة ، وكان هـذا هو الأمـر الممتاز الـذي ننتظره . ولـو اتجه القـرار النهـائي نحو الـرأي الآخر لتعـرضت فرص نجـاح عملية السيـد الاعظم إلى الخطر الشديد ، ولم تكن هناك أيـة علامـة لحركـة أية فـرقة مشـاة من الجيش الـرابع عشـر من منطقـة (بـاص دي كـاليـه) ، وبعـد الحصـول عـلى هـذه المعلومات ، لم يدهشني بـان اجد (تيـدر) وهو يـدخن الغيلون في هيئة تـدل عـلى الرضـا حينما كـان ينظر من نـافذة مكتبـه ويـراقب المبـوقـين من الجنـود الامريكيين وهم ينفخون في ابواقهم في احتفال تنزيل العلم من السارية وطيه بعنـاية فـائقة ، وربمـا يقوم الألمـان ايضاً بـاحتفال تنـزيـل العلم المعكـوف في (لاروك كـوين La Roche Guyon) حيث المكـان الـذي ينتـظر فيـه رومـل المتحرر من الوهم ويتساءل حول امكانية خطأ الفوهرر .

ولقد فقد رومل سيطرته على قواته المدرعة الرئيسية وفقد السيطرة تمـاماً على البطريات الساحلية العائدة للبحرية الالمانية مع عـدد قليل من المـدمرات البـاقية والـزوارق الآلية التي نـادراً ما نـزلت إلى البحـر ، وكنـا نعلم أن قـوة اسطوله الجوي الثالث قد اصبحت بحدود (٥٠) طائرة صالحة للعمل .

وإن كلا من الجنرال (سبيـرل Sperrle) قائـد الاسطول الجـوي ومعه قائد الفيلق الجوي ، واللذين شكلت اسرابهما المقاتلة الاسطول الجوي بـأسره حقيقة ، قد عجزا وبدءاً يطلبان طائرات أخرى ، ولم تردهمـا أية طـائرة أبـداً حين الرد على رسائلهما الرمـزية فلجـأ هتلر وهو يـائس وغير متـأكد إلى ذلـك

الرأي التقليدي لذلك الجنرال العجوز .

وأظهرت تقارير القادة الألمان رداءة الموقف على الجبهة الشرقية حيث أخذ الروس يضغطون بلا هوادة على الالمان ويدفعونهم إلى الخلف ، أما الجنرال كيسلرنغ ، في ايطاليا ، فقد لجأ إلى الانسحاب من كاسينو متجهاً نحو الشمال بعد دفاع بارع طوال فصل الشتاء .

وإذا ما راقب المرء الرسائل الرمزية المرسلة إلى القيادة الالمانية العليا فإنه سيعجب لما كان يقوله الجنرالان المخلصان كاتيل ويودل الى زعيمهما في الحقيقة . ورغم ذلك ، فقد فات الأوان ليهتم هتلر في الدفاع عن نورماندي ولأول مرة نجد الكلمة التي تدل على (الخوف) تظهر في رسائله إلى رومل ، في القيادة الالمانية العليا جاء خوف هتلر حيث يقول (أخشى باننا لا يمكننا صد الحلفاء على الشواطىء) . فليسترح قليلاً ذلك الجندي الذي انتزعت منه دباباته ، وكان هناك أيضاً تبدل سيء من ناحية القرارات الواقعية لهتلر في الأوقات الاولى ، وربما أخذ يدخل في حالة من الخيال والتي أصبحت ميكانيكية دفاعه آزاء رحلته إلى (فولهولا Valhalla) . وإن رسالته الى رونشتاد اكدت خوفه حيث قال (أخشى أنه أخيراً سيكون الانزال في باص دي كاليه) وبرر قراره بابقاء القوات الاحتياطية من الدروع بالقرب من باريس .

ولا يسع المرء إلا وأن يشعر بالاسى نحو الجنرال (اروين رومل) خلال تلك الاسابيع قبل عملية السيد الاعظم ، انها تشبه تماماً الأوقات الماضية في الصحراء الغربية ، ولكن بدلاً من طلباته الملحة للوقود والأدوات الاحتياطية فانه يطلب الآن الجنود والسمنت والفولاذ والعجلات والصلاحية لوضع خطته الدفاعية عن نورماندي بطريقته الخاصة ، وفي احدى المرات ، طلب بأن يسمحوا له باستخدام افراد القوة الجوية كجنود والمفروض منه أن يستخدمها بطريقة أخرى ولكن غورنغ الذي ضعفت ثقة الجيش به وأصبحت قوته الجوية في فرنسا ممزقة قد عاد إلى حياة الترف في (كارنهول)

Karinhall ، ورفض تماماً بأن يسمح لقوته الجوية العاطلة أن تصبح قطعات أرضية تمديد العون أو تتخلى عن أية سيطرة على بطريات مقاومة الطائرات . بدأنا نحصل على الصورة التي عليها رومل ، فهو في حالة اخفاق وفي حالة تحرر فيها من الوهم ولا أمل له بأن يتمكن من صد هجمات الحلفاء ، غير أن اولئك الاشخاص الذين يعرفون خبرته السابقة في شمال أفريقيا كانوا على علم بمقدرته على القيام بعمل حازم ، وكان الجنرال مونتغمري يعلم تماماً بأن الجنرال رومل لن يكون سهل المجابهة ان وجدت القطعات تحت تصرفه كما يفعل مع ضباط الركن الالمان الاخرين .

إن قلة دعم برلين لرومل ، هي التي تفرض بعض الأفكار للخطر فيما يتعلق بخطة الجيش الالماني ، فهناك من يجادل ويقول بأن بعض القادة يفضلون قيام الحلفاء بتقدم سريع نحو برلين واجراء أي نوع من السلم مفضلين ذلك على أن يحتلهم الروس ، وبما أن هتلر لا يزال حيا فانني متأكد تماماً أنه يعني ما قاله حينما تحدث عن « لا استسلام » .

ومرة أخرى أثبتت (الاسرار فوق العادة) دورها السلبي في نهاية شهر آيار وذلك بالنسبة لما يتعلق بعملية السيد الاعظم ، وكنا نمعن النظر في كل رسالة علنا نجد الدليل على وجود اية تغييرات في قوة ومكان الوحدات الالمانية وتشكيلاتها أو أية دلائل تشير إلى أن العدو يعرف وقت نزولنا على الشواطىء ومكاننا الصحيح ، فلم تكن هناك أية دلائل . ومن حسن حظنا أن يكون غطاؤ نا من القوة الجوية الملكية محكماً بحيث لا تجرؤ أية طائرة المانية على عبور القنال الانكليزي كما كانت شبكة الجاسوسية الألمانية العاملة في بريطانيا تعمل لصالحنا ، والقصة المبينة الآن في كتاب السيرجون ماسترمان Sir John Masterman المسمى باسلوب محاولة كسب حرب اعوام ١٩٣٩ - ١٩٤٥ معروفة .

ومع ذلك ، كانت الأيام القليلة الأولى من شهر حزيران عام ١٩٤٤ في منتهى التوتر ، لم يسبق معرفته من قبل .

كانت الاتصالات اللاسلكية الالمانية اعتيادية ، ولا تظهر حدوث أي توتر أعصاب حقيقية بين القيادة العليا ، وأن معركة إيطاليا آخذة في التقدم بسرعة غير أن تفكير المستر شرشل منصب على عملية السيد الاعظم . وانني استنتجت من التعليقات المكتوبة بخط انيق وبالحبر الأحمر على رسائل (الاسرار فوق العادة) المعادة من مقر رئيس الوزراء بأنه قد اقتنع تماماً بالاخبار السلبية . ولقد نقل الجنرال ايزنهاور مقره إلى الساحل الجنوبي ، إلى مكان لا يبعد كثيراً عن مقر اللواء البحري (رامزي) في بورتسماوث .

إن الأبواب العالية في الجدران العالية والتي تنفتح على حديقة غناء تحيط بقصر ريفي قديم ، لا توضح أي دليل على أن هذا المكان هو مقر القيادة العليا الحيوية للشؤون بأسرها .

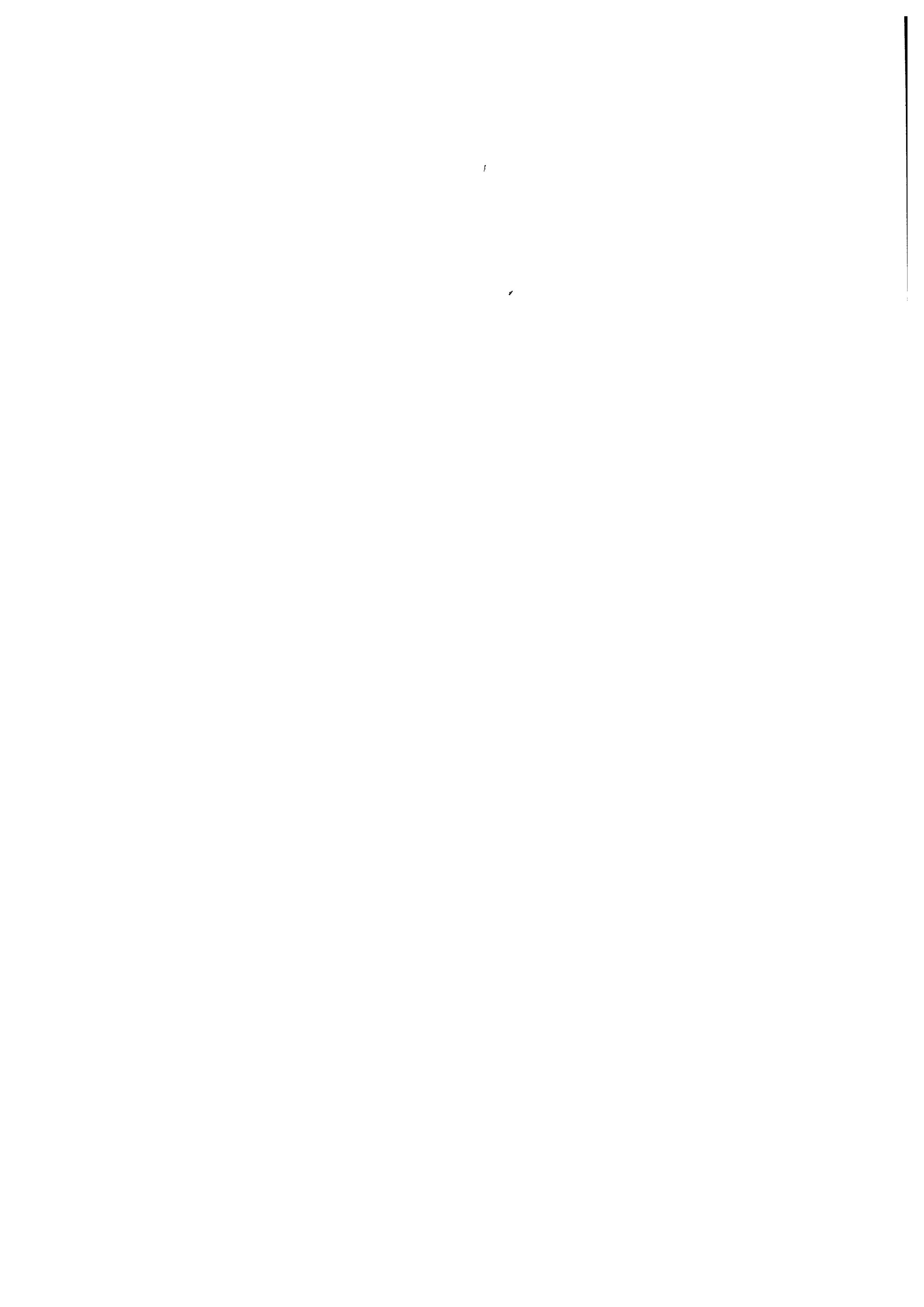
وكان الجنرال مونتغمري هو الآخر هنا مع هيئة اركانه وبين لي ضابط استخباراته الاقدم (بيل ويليمز Bill Williams) بأن الموقف هو أشبه بالموقف الذي كان عليه رومل في الأيام الخوالي والفارق الوحيد هو أن البحر يفصل بينهما بدلاً من الصحراء التي كان تفصل بينهما .

ووجدت وحدة الارتباط الخاصة لمقر القيادة الاعلى لقوة حملة الحلفاء ووحد ة الارتباط الخاصة للجنرال مونتغمري في حالة جيدة وأنهما على أتم استعداد للعمل . وعند مقارنة هذا المكان (بوايت هول) نجد هنا جو الحركة للمغامرة القادمة قد حل محل التوتر الذي ساد الاشهر الثلاثة الماضية في اعداد الخطط التي لا نهاية لها ومن تكامل بناء الشؤون الادارية .

وكان (تيدر) في حالة الاستراحة حينما كنا نتباحث في موضوع امكانية استمرار القيادة الالمانية العليا في اعتقادها بأن (باص دي كاليه) لا تزال المكان الذي يتوقع فيه الالمان انزال الحلفاء . وشرحت وجهة نظري بأن هتلر قد بدأ في فقدان سيطرته وأنه لا يزال يعتقد بأنه هبة الله للجيش ، ووجدت الطرق المؤدية من لندن إلى بورتسماوث في حالة يتعذر اجتيازها لأنها مليئة

بالدبابات ووسائط النقل ومخازن القذائف والمداخر والمدافع الضخمة والمدافع الصغيرة . وهكذا الحال في كل القسم الجنـوبي من انكلترا وذلـك حينما زرت لآخر مرة وحدات الارتباط الخاصة مع القيادات الاخرى .

لا يستطيع المـرء أن يرى معـالم الريف خـلال الساحـات الهائلة المليئـة بـالتجهيزات وفصـل الصيف يلقي بكلكله بكسل عـلى مـروجنا المبهجـة الخضراء . ثم حلت العاصفة في الأيام الأول من شهر حزيران .



الباب الخامس عشر

معركة نورماندي

لقد عرفنا لحد الآن كل شيء عن الألمان ، واننا على وشك انزال الضربة بهم ، ولم تكن اتصالاتي مع (تيدر) تتعارض ابداً مع عمل العميد (استرونك) وزميله الامريكي حيث يشكلان وحدة الاستخبارات للقيادة الاعلى لقوة حملة الحلفاء ، إذ أن اركانها تضم عدداً كبيراً من الاشخاص الذين ينجزون جميع انواع الاستخبارات ، والتي كانت (الاسرار فوق العادة) احدى أركانها ، لكن (تيدر) كان يتوق دوماً إلى الحصول على انطباعاتي الاجمالية ، كما كان الحال تماماً في الماضي حينما كنت على اتصال وثيق مع الشخصيات النازية البارزة ، ومع رئيس هيئة اركان القوة الجوية الذين كانوا يهتمون كثيراً بانطباعاتي العامة اكثر مما يهتمون بالمواضيع التي يراد مني اعدادها .

وأعتقد أن تمضية الوقت مع رسائل القيادة الالمانية العليا ، كما أفعل الآن ، مقترنة مع المعلومات الشخصية عن هتلر الذي يملي معظم رسائله بدون شك ، ساعدني على ادراك اهميتها .

ولقد جعل الطقس المرعب في تلك الأيام الأول من شهر حزيران كل فرد في حالة من الاعصاب المتوترة جداً ، لأننا نعلم بأن السفن وعليها الجنود في حالة حركة ولا بد وان يزداد خطر تسرب المعلومات والانكشاف مع مضي كل ساعة من التأخير ، وتلقيت نداءاً هاتفياً من (تيدر) يطلب فيه مني بأن اذهب إلى بورتسماوث يوم (٥) حزيران للالتقاء به ، وبدأت أدقق جميع

الرسائل المتيسرة لعلي اجد دليلاً إن كان الالمان في الجانب الأخر من القنال الانكليزي في حالة يقظة أو انذار ، ولم أجد ما يشير إلى ذلك .

وإننا الآن نعرف بأن رومل وقادة جيوشه يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الهجوم على نورماندي على وشك الوقوع ، ولكنهم ظنوا بأن احداً لن يجسر على القيام بالغزو بمثل هذا الوقت الذي اصبح فيه البحر هائجاً والرياح عاتية وكان ذلك في اليوم الرابع من حزيران .

وكان رومل في الحقيقة قد عاد إلى المانيا وذهبت أنا إلى بورتسماوث مبكراً عصر يوم (٥) حزيران ووجدت المؤتمر منعقداً في وقت مبكر من ذلك الصباح في غرفة الجنرال ايزنهاور الكائنة في الطابق الأرضي من قصر (مانور) القديم ليقرر اما « نعم » أو « لا » .

وقيل لي بأن (تيدر) هو مع القائد الأعلى ، ولكن من المحتمل أن يخرج حالاً ، لذلك انتظرت في الصالة الكبيرة وجلست على عتبة الدرج السفلى ، رأيته يخرج من غرفة الاجتماع وهو في غاية الاستعجال ، وتمكنت فقط ان أحصل منه على ايماءة فقط وعلى كلمة (غداً) قالها بسرعة وأنا بدوري هززت رأسي وقلت له : (لا يوجد أي شيء مطلقاً) ، فابتسم وصعد بسرعة كل درجتين سوية ، وحالما تركت منطقة بورتسماوث وتجاوزت (ونيجستر) Winchester شاهدت صفاً طويلاً من الدبابات وهي تسير باتجاه الساحل .

وكانت الرياح لا تزال تهب بشدة فلا بد وأن تلاقي القافلة غداً بحراً هائجاً .

أعطيت التعليمات حول النداء اللاسلكي في منتصف الليل .

وجاءتنا الرسالة الأولى حوالي الساعة الثانية من صباح يوم (ي) أي يوم بدء الانزال ، في السادس من حزيران فوراً من مقر القيادة البحرية في باريس ، وكانت الرسالة معنونة إلى القائد العام في الغرب وإلى هتلر في مقره

الكائن في راستنبيرغ في بروسيا الشرقية ، وتضمنت الرسالة بأن الغزو قد بدأ .

ولم نعرف إلا بعد انتهاء الحرب بأن رونشتاد والقيادة الالمانية العليا لم يصدقوا هذه الرواية ويقال أن رونشتاد قال للبحرية بأن محطات رادراكم قد شاهدت على شاشاتها اسراباً من طيور النورس . ومع ذلك ، كان لا يزال يعتقد بحدوث الغزو من أقصر الطرق ، فانذر الجيش (١٥) المتواجد في (باص دي كاليه) .

وكانت رسالته بمثابة هدية الهية لنا في تلك اللحظة وخاصة حين رأى بأن الأمر لا يستحق انذار الجيش السابع المتواجد في نورماندي ، وايقن بجزم بأن القطعات المظلية التي اخبرت عنها الآن الجيش السابع ما هي إلا خدعة حقيقية ، وكان الوقت فجراً قبل أن يبعث رئيس اركان الجنرال رونشتاد وهو الجنرال كونتربلومنتريت Guenther Blumentritt برسالة مباشرة إلى القيادة الالمانية العليا يخبر فيها بأهمية الموقف ويطلب بنفس الوقت أن يسمح لهم هتلر باستخدام الاحتياط المدرع الموضوع بأمرة القيادة العليا . ولحد الآن لم نجد اية رسالة من الجنرال رومل بحيث تحيرنا من موقفه هذا ولكن التقطنا فيما بعد خلال النهار رسالة من رومل الى رئيس أركانه الجنرال شبايدل Speidli يأمره فيها باستخدام الفرقة المدرعة (٢١) بانزر أزاء أنزال الحلفاء في غرب (كان Caen) ، وقد وردت الرسالة من المانيا حيث تبين لنا بأن رومل لم يكن موجوداً في الموقع في نورماندي ، كما أنها فسرت لنا أسباب ارسال الجنرال بلومنتريت الرسائل الى القيادة الالمانية العليا لأن هناك شيئاً من الشك بأنه لو كان رومل في نورماندي لكان يوجه بنفسه النداء لهتلر ليطلق له اليد لاستخدام الاحتياط المدرع . وخمنا بأن الجنرال (شبايدل) قد اتصل هاتفياً مع الجنرال رومل ، ومن ثم أرسل رومل رسالته .

وأصبحت في غاية الاهمية ، في هذا الوقت الحرج ، مراقبة كل حركة يقوم بها رونشتاد ورومل وهتلر ، وتحليل تفكيرهم وراء الأوامر التي يرسلونها

وكانت هذه هي الرسائل التي بعثتها إلى رئيس الـوزراء صباح يـوم الانزال ، ولحد الآن ، لم تكن هناك أية مؤشرات من هتلر .

وأحد الاسباب هو حسبما نعلم أن هتلر كان نائـماً ولا يجرؤ كـايتل ولا يودل على أيقاظه حتى يواصل نومه إلى ما بعد الظهر .

وبموجب هذه الأحوال ، فلا عجب إذا ما أستلمنا رسالة من هتلر مساء ذلك اليوم ـ السادس من حزيران ـ يطلق فيها استخدام الفرقة المـدرعة (١٢) بانزر من الاحتياط المدرع للقيادة الالمانية العليا من قبل رونشتاد .

ولكن بما أن الرسالة قد صدرت بوقت متأخر فقد فات الأوان . وكانت خطة رومل تتضمن دحـر الانزال بـدبابـاته التي يجب أن تـواجه الانـزال عند حافة المياه .

وعند حلول المساء ، كان الحلفاء قد نزلوا تماماً إلى الشاطىء ولم تتمكن الفـرقة المـدرعة (١٢) من التقـدم حتى الغسق على أيـة حـال ، طـالما تحـوم طائرات الحلفاء في سماء المعركة ، ومع ذلك ، كان هذا الأمر اول علامـة بأن يتولى هتلر الموضوع جدياً ، وفي تلك الليلة أبرق رومل تقريراً عن الموقف إلى القيادة الالمانية العليا مبيناً فيها بأن (تقدم البـريطانيـين في (كان) قـد أوقف وبأن الفرقة المدرعة (٢١) والفرقة المدرعـة (١٢) من حرس الصـاعقة همـا في موضع يقع غرب المدينة من الناحية الشمالية الى نقطة تبعد مقـدار (٧) أميال الى الجنوب الغربي) . ولقد تقدمت الفرقة المدرعة (١٢) من حرس الصاعقة بسرعة عندما حل الظلام .

ومن الـواضح أن المسـتر شرشـل كان يتلقى تقـارير مـونتغمري حـول تـطور العمليـات ، وقـد عجب من عـدم صـدور ردود فعـل هتلر فـاتصـل سكرتيره معي هـاتفياً ظهـراً يسألني عـما إذا وصلتنا أخبـار جديـدة ، ولم أكن أعلم ، طبعاً ، في ذلك الوقت ، بأن هتلر لا يزال نائماً ، لذلـك ، لم استطع أن أفعل الا اليسير حتى التقطنا عصراً رسالة هتلر التي أصدر فيهـا أوامره إلى

رونشتاد .

وبعد الجهد العظيم من الانزال الفعلي ، كانت مقاومة العدو العنيفة في دفاعه عن مدينة (كان) بحيث أتضح لنا يوم (٧) حزيران بأنهم أوقفوا تقدم البريطانيين في غرب هذه المدينة ، وقد تأكدنا من هذا الخبر من الرسالة التي بعثها رومل إلى القيادة الالمانية العليا والتي ينصحهم فيها أيضاً بأنه قد أصدر أوامره إلى الفرقة الآلية وفرقة المشاة مع الفيلق المظلي (١١) بالانسحاب من بريتاني لكي يحاولوا إيقاف تقدم الأميركيين في شبه جزيرة كوتنتن Cotentin .

ولا بد أن رونشتاد قد وسع أوامر هتلر في أطلاق استخدام الفرقة المدرعة (١٢) حرس الصاعقة ، لأننا التقطنا رسالته التي يأمر فيها فرقة اخرى من فرق الاحتياط المدرعة وهي الفرقة المدرعة (ليهر Lehr) بالتحرك الى منطقة (كان) بالاضافة الى الفرقة المدرعة (١٢) حرس الصاعقة .

ورغم هذه التقويات الكبيرة ، رأى رونشتاد بوضوح بأن رومل قد حصل الأن على قوة مدرعة كافية تمكنه من شن الهجوم على الحلفاء ، لأنه أبرق يوم (٩) حزيران إلى رومل للقيام بهجوم معاكس ، غير أن الاحتياط المدرع الذي كان موضع جدال ونقاش طويل لا بد وأن أخذ على حين غفلة ، لأن رومل لخص موقفه برسالة رمزية أرسلها إلى رونشتاد والقيادة العليا الالمانية يوم (٩) حزيران كما يلي : (وصلت الفرقة المدرعة (١٢) وهي تعاني من نقص في الوقود ، والفرقة المدرعة ليهر وهي غير جاهزة للقتال تماماً ، فلا يمكن ازاحة العدو حالياً بالنسبة لهذا الموقف وأن اللجوء إلى اتخاذ مواضع دفاعية على الخط فيرا ـ اورن Vire-Orone أمر ضروري إلى أن تتم الاستحضارات لشن الهجوم المعاكس) .

وكانت هذه الرسالة مهمة جداً بحيث تنفس الجيش البريطاني الثاني بقيادة مايلس ديمبسي Miles Dempsey الصعداء لفترة يسيرة من الزمن .

ذهب الجنرال مونتغمري إلى نورماندي يوم (١٠) حزيران ، وادرك في

الحال ، ان الفرصة غير مواتية للجيش البريطاني والكندي لاحتلال مدينة (كان) ازاء الهجوم الذي ستشنه القوات الالمانية المدرعة والتي كشفته (الأسرار فوق العادة) لذلك غير خطته الاصلية لهذا السبب فبدلاً من محاولته اكمال احتلال مدينة (كان) ، قرر أن يثبت اكبر ما يمكن من قوات العدو المدرعة الرئيسة في اماكنها لكي يتيح المجال للجنرال برادلي الذي يقود الجيش الأول بالقيام بالاندفاع نحو الجنوب ، المكان الذي تكون فيه مقاومة الدروع غير شديدة ، وأن هجوم البريطانيين بالفرقة المدرعة السابعة باتجاه (كان) يوم (١٠) حزيران ادى إلى جر الدروع الالمانية الى العراء مما أدى إلى خسارة الفرقة المدرعة (ليهر) مئة (١٠٠) دبابة حيث اصبحت غير قادرة الآن على الاندفاع نحو البحر كما جاء ذلك بتقرير الجنرال رومل في ليلة (١٣) حزيران ، وهكذا فعلت ستراتيجية مونتغمري فعلها . كانت خسائر الالمان كثيرة وخطيرة حيث لا يمكن تعويضها في فترة قصيرة من الزمن بينما خسرت الفرقة المدرعة (٧) خمس وعشرين (٢٥) دبابة ويمكن تعويضها بسرعة .

وفي غضون ذلك ، تمكنت قوات برادلي يوم (١٣) من احتلال المدينة الصغيرة المهمة كاستو Casteou في الجزء الشرقي الاسفل من شبه جزيرة شيربورغ Cherbourg مع وسائل مواصلاتها البرية وسكك الحديد المهمة . وفي يوم (١٤) أبرق رومل الى القيادة الالمانية العليا عن هذه الخسارة ولكنه اخبر بنفس الوقت : « انني مقتنع الآن بأن الامريكيين النازلين في شرق فيرفيلا Viervilla (شاطىء أوماها) يحرزون تقدماً بطيئاً فقط وتمكنا من الصمود في جبهة كان » . وعرفنا بعد انتهاء الحرب بانه بعد ثلاثة أيام أي في يوم (١٧) ، جاء هتلر بنفسه إلى سواسون Soissons في فرنسا ليجتمع شخصياً مع رونشتاد ورومل وفي الوقت الذي لم نكن نعلم بذلك ، لكننا حصلنا على النتيجة في اليوم الثاني حينما أبرق هتلر مصدراً اوامره إلى رونشتاد بمهاجمة بيوكس Bayeyx كما أبرق إلى آمر حامية شربورغ طالباً منه (بوجوب الدفاع عن الميناء مهما كلف الثمن) . غير أن الفيلق الامريكي الثامن اندفع عبر شبه الجزيرة متجهاً نحو الساحل الغربي ، وبذلك فصل شيربورغ

والنصف الشمـالي من كوتنتن Cotentin وتـطلب الأمـر من رومـل ان يبعث برسالـة رمزيـة إلى القيادة الالمـانية العليـا في يوم (١٨) ويعتـرف بها بخسـارة معظم مجموع الفرقتين (٩١) و(٧٧) .

وأظهرت لنا (الأسرار فوق العادة) الآن بأن هتلر بنفسه يوجـه الخطط السوقية الرئيسة ، وكلما اقترب الامريكيـون من شيربـورغ ، كان هتلر يبعث برسالة شخصية الى الجنرال شليبن Schlieben آمر الحامية يقول فيها : « انـه من واجبك الدفاع عن آخر مانع ولا تدع العدو يحتل الميناء بل انما يحتل كومة من الانقـاض والخرائب ، حتى ان سـاءت الأحوال من سيء إلى اسـوأ ، ان الشعب الالماني والعالم بأسره يراقبون قتـالكم ، وعليه تتـوقف سير العمليـات ونتـائجها في تحـطيم رأس الجسر الـذي اقامـه الحلفاء ، وعليهـا ملاذ الجيش الالماني ، وعليها تتوقف سمعتكم » .

وكل ما استطاع أن يفعله الجنرال شليبن المسكين هو أن يبرق إلى هتلر قـائلاً : « بـالنظر لتفـوق الحلفاء العـظيم في الطائـرات والدبـابات والمـدفعية وأخيـراً قصف البحـريـة الآن ، عـلي أن أبـين بمـا يمليـه عـلي واجبي ، بـأن التضحيات الاخرى لن تغير في الأمر شيئاً » ، ولا بد وأن يكون هذا المسكين يائساً . وكان جواب رومل : « عليك أن تواصل القتال الى آخر طلقة استناداً إلى أوامر الفوهرر » .

ولا بـد وأن يشعر المـرء بأنـه لو كـان لرومـل حريـة التصرف لاعـطى الجنرال (شليبن) مهلة ما ، ولكن ، عـلى ضوء الاحـداث الاخيرة ، لا بـد وأن يحـذر رومل حـذراً شديـداً ليتجنب شكـوك هتلر عن عـدم أخـلاصـه ، وبالرغم من كل ما يحدث ، فقد كانت السلطة كلها لا تزال بيد الفوهرر .

وحول مدينة (كان) أخبرتنا (الأسرار فوق العادة) بأن الفرق الالمانية المدرعة الثلاث هي الآن في حالة عمل كـامل حتى وان كـانت تنقصها بعض الدبابات وبأن الفرقة المدرعة التاسعة والفرقة المدرعة العاشرة هما في طريقهـما من الجبهة الشرقية إلى منطقة (كان) .

والحقيقة التي تبين نقـل هتلر للدروع من الجبهة الشـرقية ذات الضغط الشديد إلى نورماندي تدل على أن هتلر مصمم الآن على أيقـاف اندفـاعنا في الغرب . انها أخبار غير سارة ولكن سرعان ما جاءت رسالة أخرى من القيادة الالمـانية العليـا الى رونشتـاد وروميل تبـين لهـما بـأن الفـرقـة المـدرعـة الاولى (أس . أس) هي الأن متجهة عبر بلجيكا من طولوس Toulouse إلى منطقـة (سانت لو St Lo) على القاطع الامريكي .

ولا بد وأن يؤثر ذلـك على فـرص الجنرال بـرادلي في القيام بـالاندفـاع بشكل خطير لذلك قرر الجنرال مونتغمري القيام بعمل ما ، فقد قـام الجنرال ديمبسي Dempsey بـالهجوم ، وأحـرزت الفرقـة الاسكوتلنـدية (١٥) تقـدماً بحيث أخذ الجنرال باول هاوزر Paul Hawser قـائد الجيش الالمـاني السابـع يرسل برقية إلى روميل من الجنرال زيب ديتـرش Sepp Dietrich قائـد الفيلق الالماني المدرع الأول (أس . أس) والتي يقول فيها بأنه ما لم ترده التقـويات في تلك الليلة فان الحلفاء سيختـرقون الجبهـة ، ومن الواضـح أننا قـد أرعبناهم أكثر مما كنا نتصور ، حيث بعث الجنـرال روميل ، الـذي كان يحـاول في هذا الوقت ان يجمع قوة ينفذ بها أوامر هتلر بشن الهجـوم على (بيـوكس) ، وهو مستاء ، رسالة رمزية الى الجيش السابع بأن يستخدم الفرقة المدرعـة التاسعـة والعـاشرة والفـرقة المـدرعة الأولى (أس . أس) لمسـاعـدة الجنـرال ديتـرش ، والاكثر أهمية من ذلك هو مـا أريد منـه (من جلب قسم من الفرقـة المدرعـة الثانية أس . أس) ، والتي كانت تواجه آنذاك قوات الجنرال بـرادلي في سانت لو ، ونجحت (الأسرار فوق العادة) مـرة أخرى في اظهـار النقاط الضعيفـة جداً بشكل صحيح للجنرال (ديمبسي) لكي يهجم منها .

وبحلول يوم (٢٧) حزيران احرز الجيش البريطاني الثـاني تقدمـاً أكبر وكان الجنرال رونشتاد وروميل انذاك في بريخنسكادن Brechtegaden لأن قائد الجيش السـابع أرسـل تقريـر المـوقف إليهـما هنـاك في تلك الليلة ، وعبـر في رسالته هذه عن مقاصده بالقيـام بهجوم معـاكس في الساعـة السابعـة من يوم

(٢٩) حزيران على الجزء الثاني الذي احدثه الهجوم البريطاني .

بهذه الصورة كان يعمل هـذا الجهاز العجيب بحيث أن هـذه الرسـالة وصلت ايدي جميع القادة في الوقت المناسب ، وجعلت القوة الجـوية التعبـوية الثانية في حالة انذار حيث شنت هجومها قبل السـاعة السـابعة تمـاماً وأوقعت الخسائر الجسيمة في أهدافها بحيث أخبر الجنرال هاوزر فيما بعد الجنرال رومل قائلاً (حالما تحشـدت الدبـابات ، هـاجمتها القـاصفات المقـاتلة وعطلتهـا عن العمل بحيث سبب ذلك تأجيل الهجوم لمدة سبع ساعات تقريباً) . وهنا نجد (الأسـرار فوق العـادة) من أفضل حـالة في خـوض القتـال الحقيقي . وقـد اشتـركت البحريـة أيضاً بـالقصف بمدافعهـا الضخمة ، وكـانت النتيجـة أن انسحب كلا الجانبين أخيراً حينما توقفت العمليات نهائياً، ومرة أخرى أنجز الهجوم البريطاني واجبه وهو إيقاف تقدم الدروع الالمانية .

وعرفنا بعد انتهاء الحـرب بأن الجنـرال رونشتاد ورومـل وهاوزر وكـاير فـون شفيبيـرغ Schweppenburg اجتمعـوا في الاسبـوع الأخـير من شهـر حـزيـران واتفقـوا جميعـاً بـأن عليهم أن يـطلبـوا من هتلر أن يسمـح لهم بـالانسحاب من منـطقـة (كـان) بحيث يبعدون فـرقهم عن مـدى المـدافـع البحرية ، كما قرروا أيضاً بأن يطلبوا منه إرسال التقـويات إلى الجيش (١٥) القابع لحـد الآن في منطقـة (باص دي كـاليه) ينتـظر هجوم جيش الجنـرال باتون الوهمي ، وتقرر نتيجة لهذا الاجتماع أن يذهب رونشتاد ورومل لمواجهة هتلر في بيرختسكادن لعرض هذه القضية عليه ، وإنهما من دون شك قد أكدا حقيقة كون كل من الجنرال هاوزر وشفيبنرغ عـلى أتم اتفاق معهـما ، وكانـوا على يقين بأنهم سينجحون في الحصول على الاذن وأن الأمر الممتع هو أن يروا رومل الحذر الذين توقعـوا عادة أن يسـأل هتلر مباشـرة يحتمي بالشخصيـات الثـلاثة البـارزة الأخرى لمشهـد نورمـاندي ، وحتى في مثـل هذا المـوقف فلن يكـون هناك انسحـاب حيث أن هتلر الذي كـان لا يزال خـائفاً من الانـزال الآخـر في (كاليـه) رفض اقتراحهم بـأدب وقال لهم (يجب عـدم استخـدام

الحرب السيارة أبداً)، ولم تكن هذه الأمور معروفة لدينا في ذلك الوقت ولكن في اليوم الثاني من وصول رونشتاد إلى مقره عائداً من بيرخشكادن مع رومل ، بعث إليه هتلر ـ كعادته ـ رسالة رمزية يؤكد فيها قراره ويقول : ـ (يجب مسك المواضع الحالية)، وقد اظهرت لنا (الأسرار فوق العادة) الدليل الأول بأن رونشتاد ورومل كانا يريدان الانسحاب بالرغم من عدم موافقة هتلر على ذلك .

وعرفنا أيضاً بعد الحرب قصة اتصال رونشتاد هاتفياً مع كايتل أخيراً واخباره بأنه من المستحيل تنفيذ أوامر هتلر لمهاجمة بيوكس ، فالمحادثة الجارية هي معروفة تماماً ، ويقال أن كايتل قال لرونشتاد : « ماذا يجب أن نفعل ؟ » فأجابه رونشتاد قائلاً : « ماذا سنفعل ؟ . أعقدوا الصلح أيها الحمقى ، هل بوسعكم أن تفعلوا شيئاً آخر ! »، وفي اليوم التالي اعفي رونشتاد من القيادة .

وأول اشارة حصلنا عليها من (الأسرار فوق العادة) عن اعفاء رونشتاد هي تلك الرسالة التي بعث بها المارشال كلوغة كقائد عام في الغرب ، وكانت أولى رسائله إلى قادته يحثهم فيها على ما قاله هتلر (يجب الاحتفاظ بالمواضع الحالية) .

وفي هذا الوقت الذي تتخبط فيه القيادة الالمانية قررت الذهاب إلى هناك لأرى ما إذا كان الجميع راضين عن اسلوب وأمنية وحدات الارتباط الخاصة ، وكان الجنرال برادلي يحرز بعض التقدم في هذا الوقت ويبدو أن الحلفاء سيتوقفون عن التقدم ، والقائد الأعلى لقوة حملة الحلفاء أخذ ينتقد مونتغمري بشدة ، ولو أن مونتغمري لم يعترف بوجود (الأسرار فوق العادة) إلا أنني لا أريد أن يعود أي احد إلى (الأسرار فوق العادة) من كلا الجانبين ، وكان المستر شرشل في هذا الخصوص خير سد آزاء كل عذر يقوله القادة في الميدان عن ضعف الاستخبارات .

وبعد مضي ثلاثة أسابيع تماماً على يوم البدء بالانزال كانت شواطىء

(أوهاما) مرتبة مرة أخرى وكانت طائرات الداكوتا الضخمة نشطة في الشقق الأرضية الكائنة على الأرض الممتدة إلى الداخل تماماً . وقد حصل (روبرت كوربراون) Robert Gore— Brawn من مكان ما سيارة جيب وجاء لمقابلتي ، ذهبنا سوية إلى مقر الجنرال برادلي الواقع على بعد بضعة أميال باتجاه الغرب على طول الطريق الساحلي ثم سار وهو يصعد بجانب الطريق مقابل حفرة في خط الوشيع . ثم سرنا من هذا المكان سيراً على الأقدام .

تسلقنا جرفاً موحلاً ، عن طريق خط الوشيع الممتد على طول النيسم الموحل الكائن بجانب مرج صغير ثم خط وشيع آخر ورأينا الكرافانات مصفوفة على شكل نصف دائرة حول حافة اعشاب بحرية لغابة صغيرة وهي تشكل مقر قيادة الجيش الامريكي الأول . ولاح المكان لأنظار الجميع أشبه بقرية خضراء ، وقد اعدت وحدة الارتباط الخاصة خيمة مريحة تحت بعض اشجار التفاح ، وكانت الزيارة أشبه بمخيم في يوم عطلة في زاوية هادئة من منطقة ديفون Devon إلا حينما يقطع السكون صوت اطلاق المدافع الواقعة على مسافة نحو الجنوب حيث يزحف جيش الجنرال برادلي ببطء خلال الأرض الوعرة .

ولقد حذرني مونك ديكسن ضابط الركن الثاني للجنرال برادلي بأن رئيسه متألم حول عدم مقدرة الجيش الأول على التقدم ، ومع ذلك ، حالما صعدت درج كرافانه الواسع ودخلت مكتبه ، حياني الجنرال برادلي بلطف وأدب ، وأثنى على (الأسرار فوق العادة) ففرحت لهذا الخبر فقال : (ما كنت أتوقع مطلقاً أن أحصل على مثل هذه المعلومات الدقيقة عن خصومي ، والأمر الوحيد الذي يضايقني هو كثرة عددهم) .

وقال بأنه كان محظوظاً في إحدى المرات حيث كانت دروع العدو في تلك المرة متواجدة حول القطاع البريطاني ولكن وجد جنوده بأن الفيلق المظلي هم مقاتلون أشداء وكانوا يناضلون في كل خط وشيع ـ وما أكثرها في تلك المنطقة . فهل هناك أية دلالة تشير إلى تقدم الدروع الالمانية ، في هذا

الاتجاه ؟ . فقلت له بأن (الأسرار فوق العادة) لا تزال تبين بـأن دروع العدو تتحشد حول (كان) وإنني أعرف بأن الجنرال مونتغمري يبذل جهده من أجل إيقاف تقدمهم هناك ، ثم تكلمنا عن بـديل الجنـرال رونشتاد وهـو المارشـال الفون كلوغه ، ولم استـطع اخباره بـالكثير عن القـائد الالمـاني الجديـد لكنني بالتأكيد أشرت له بأن ازاحة رونشتاد مقتـرنة مـع أوامر هتلر بـوجوب مسـك المواضع الدفاعية الحالية وتكرار هذه الأوامر من قبل الفون كلوغه إلى جيوشـه لا بد أنه يعني بالتأكيد بأن رونشتاد كان قد رأى الضوء الأحمر ومع ذلـك أراد الانسحاب . ويبدو أن ذلك سره كثيراً .

وحالما غادرته قال لي : (تأكد تماماً بأن ليس هناك دبابـات المانيـة حول المكـان)، غادرت ومعي مـونك ديكسن وبـاشرنـا بعملنـا في تحليـل أحـدث الرسائل الرمزية .

وكان العشب لا يزال نـدياً من جـراء الامطار ونحن نسـير عبر العشب تحت أشعة الشمس متجهين إلى كرافان مونك الصغير الذي كان يجاور كرافانا أخر أعد للزوار ، وقد توقعت أن أجـد فراشي عـلى بساط أرضي في إحـدى خيم وحدة الارتباط الخاصة ، لكنني وجدت سريراً مريحاً بدلاً عنها في القسم المعد للشخصيات البارزة ، وأمضينا وقت العصر كله في الحديث وشرحت له كيفية قراءة ما بين سطور رسائل روملِ وما بين سطور رسائـل هتلر وفي كيفية الاصرار على تزويد القيـادة الأعلى لقـوة حملة الحلفاء بـأحدث المعلومـات مع تفـاصيل كـاملة عن القوة البشـرية والتجهيـزات لفرق العـدو ، ونحن نتعمد عدم ارسال التفـاصيل لـه مباشـرة ، والسبب لأننا لا نـريد أن نحمـل وحدة الارتباط الخاصة وضابط الركن الثاني أكثر مما يجب وبسبب أنه إذا ما اندمجت معلومات (الأسرار فوق العادة) في نـظام المعركـة والتي هويتهـا الخاصـة هي مموهة ولو أنها مصنفة بكلمة سري للغاية فانه لن يتم تداولها ، بنفس التداول المحدود مثل (الأسرار فوق العادة) .

وإن هذا السياق أعطى طريق نظام المعركـة إلى جميع المخـططين الذين

ليسوا داخل صورة (الأسرار فوق العادة) بالضرورة .

ساعدت (مونك) في توضيح الملاحظات على الرسائل الرمزية المهمة جداً لعرضها على الجنرال برادلي بنفس الاسلوب الذي أتبعه مع المستر شرشل وقمنا ببعض الممارسات في صياغة الرسائل الرمزية على شكل أوامر موجهة للبث إلى الفيالق والفرق ، وفي الحقيقة ، تعلمت الكثير منه حول محاولة ضابط الركن الثاني للحصول على أفضل ما نستخرجه من المعلومات من (الأسرار فوق العادة) وأعتقد أنني علمته أيضاً .

ثم دعاني إلى تناول وجبة طعام فاخرة في خيمة مطعم الضباط حيث سررت بتلك الدعوة كثيراً .

أمضيت المساء مع وحدة الارتباط الخاصة تحت اشجار التفاح ووجدتهم في غاية السرور يستمتعون بكل دقيقة في عملهم .

نهضت من نومي في صباح اليوم الثاني ووجدت الجميع نشطين في الكرافانات . وكنت قد تركت النصف العلوي من باب كرفاني مفتوحاً والآن حالما قفزت من سريري ونظرت إلى الخارج شاهدت ضابطاً مرتدياً نصف ملابسه يتنقل بسرعة حول القرية الخضراء حتى وجدت برادلي نفسه يعدو مسرعاً من الزاوية البعيدة للغابة ، ثم ناديت مونك ديكسن الموجود في الكرافان المجاور وكان يقوم بحلاقة ذقنه بسرعة وسألته عما إذا كان العدو قد اخترق الجبهة وعما إذا كنا على وشك الرحيل .

فأخرج رأسه من الكرفان وهو لم ينته من حلاقة ذقنه وقال لي بأن الجنرال مونتغمري قادم إلينا في الساعة الثامنة ليلتقي بالجنرال برادلي .

ولا أدري إذا كان الجنرال مونتغمري سيضغط على برادلي كما كان قد فعل مع المستر شرشل حول أهمية إدارة معركته ، وربما لم يدرك برادلي بأن قدومه في مثل هذه الساعة المبكرة بأنها جزء منه تماماً .

وعلى أية حال ، فلا بد أنهم يقلون البيض لتناول الفطور قبل أن تصل

هذه الشخصية المألوفة للقائد العام . ولا أدري إذا كان لقاؤهما هو الأول في المؤتمر منذ أن أقام مونتغمري مقره في فرنسا .

ثم وجدت مونك فيها بعد مفكراً ومثله برادلي ولكن عيناه الآن براقتان كأنه يؤكد على ضرورة القتال ، واستلمنا عن طريق وحدة الارتباط الخاصة ـ أثناء وجودي هناك ـ تأكيداً عن وصول فرقتين مدرعتين المانيتين من روسيا إلى منطقة (كان) وكان هذا دليلاً كافياً على الجهد الشاق الذي يضطلع به الجنرال مونتغمري ، وإنها كالرسالة الأولى التي تخبرنا عن نقل قسم من الفرقة المدرعة الالمانية الثانية (اس . اس) من (سانت لو) إلى (كان) .

وعند الظهر شاهدت الجنرال (باتون) في المعسكر (القرية الخضراء) ومعه كلبه الضخم الأبيض ، ثم اديت التحيات الحارة وبدأ يشرح والابتسامة العريضة على وجهه قائلاً بأنه قد ضاق ذرعاً من البقاء بدون قتال ولن يصبر طويلاً ، لذلك جاء لتوه الآن .

والمفروض أن الجنرال باتون لا يزال يقود جيشه الوهمي في مقاطعة كينت وهو على أتم استعداد للقيام بالهجوم الوهمي عبر القنال الانكليزي إلى كاليه، وأن جوهر خطة الخداع الكلي هي مشاهدة الجنرال باتون على الدوام في مقره الوهمي لأطول مدة ممكنة ، وأن مجرد ظهور صورة واحدة له في فرنسا في الصحف ستفضح السر ، فأسرع مونك ديكسن بالعمل واستدعى جميع الصحفيين الامريكيين لحضور المؤتمر الصحفي في الحال وطلب مني الحضور معه ، وجاء الصحفيون مسرعين ، على أمل ، حسبما أعتقد ، أنهم سيحصلون على الاخبار عن زيارة مونتغمري وكان المؤتمر الصحفي أقصر المؤتمرات الصحفية التي حضرتها ، فبدأ مونك قائلاً « أيها السادة لا أدري إذا كان كل منكم قد شاهد ما وصل إلى مسامعكم بأن الجنرال باتون موجود هنا حولنا مع كلبه فإنكم مخطئون ، عموا [1] صباحاً أيها السادة » . ثم سارت الأمور بعد ذلك بشكل جيد فخرج الجنرال باتون وبرادلي من الكرافان وسارا

(١) عموا صباحاً: كلمة معناها صباح الخير.

بخط واسعة عبر فجوة أخرى في الوشيع إلى خيمة مطعم الجنرال الخاصة .

ومن عصر ذلك اليوم ، بدأت أبحث عن اللواء كويسادا Quesade قائد القوة الجوية التعبوية الامريكية التاسعة ، وكنت قد عينت ضابطاً امريكياً مسؤولاً عن وحدة الارتباط الخاصة هنا ومعه عرفاء جفرة من القوة الجوية الملكية وأفراد مختصون باللاسلكي والتلفون .

وكان اللواء (كويسادا) مبتهجاً جداً (بالأسرار فوق العادة) وخاصة بأوامر التنقل التي تبين له الأهداف الجاهزة دون اللجوء إلى البحث عنها وعندما يصيب الويل والثبور كل دبابة المانية أو كل واسطة نقل تجرؤ على الخروج من موضعها في خط الوشيع أو الغابة طوال النهار .

وقد ابتكر اللواء (كويسادا) اسلوباً بارعاً للمواصلات بين طائراته والدبابات الامريكية والتي استخدمت بنفس الاسلوب كالقاصفات المنقضة والتي عملت ضد الدبابات الالمانية في معركة فرنسا عام ١٩٤٠ .

وجدت الشباب الامريكيين التابعين للقوة الجوية الامريكية مرحين جداً ويتمتعون بمعنويات عاليه ، وكانوا يعرفون وجوب الانتهاء من معركة خط الوشيع فوراً لكي تبدأ فرصتهم في الاراضي المفتوحة ، واقترح اللواء (كويسادا) بأن اقيم هنا حيث يوجد سرير ثابت في الكوخ الخشبي .

وكانت هناك طلعات جوية حتى حلول الظلام ثم تبدأ القاصفات المقاتلة عملها عند حلول الضياء الأول من اليوم التالي ، فعادت بي الذكرى إلى جزء آخر من فرنسا عام ١٩١٧ حينما كنت مضطجعاً على سريري في كوخ خشبي مصغياً إلى صوت اقلاع طيران (ب) عند الفجر للقيام بواجب الدورية فوق الجانب الآخر من (آراس Arras) ولا أعرف إذا كانت رائحة الزيت الحار أو صوت دوران المحرك أو جو جبهة نورماندي بأسرها هي التي أعطت شيئاً من النكهة للاعمال الكتابية التي كنت أقوم بها في مكتبي في لندن وهي تماماً مثل الزيارة التي كنت أقوم بها إلى (بيكن هيل)

خلال معركة بريطانيا ، وادركت السبب الذي كان يدعو المستر شرشل من حين إلى آخر إلى التواجد بالقرب من المعركة .

ثم غادرت القيادة الجوية التعبوية وعدت سائراً في الطريق الموحل بين خطوط الوشيع المنحدرة للأسفل قاصداً الطريق الرئيسي .

وكان بعض المزارعين وعوائلهم يعودون للحياة مرة أخرى وهم متوجهون - إلى بيوتهم مثلما كانوا في السابق ، ووجدت عدداً قليلاً من المواشي التي هربت من القصف ومن الاطلاقات التي رميت طوال الأسابيع الثلاثة الماضية ، ووجدت على جوانب الطرق أكواماً من الجبن الفاسد والذي تغير لونه وتصلب وأصبح عديم الفائدة .

وعادت الحياة مرة أخرى كعادتها إلى مدينة (بيوكس)، ولا يدري أحد سوى الله ، ماذا كان سيحل فيها لوحدات التعرض الذي أمر هتلر رونشتاد به ، واتسع لي الوقت لأشاهد المنسوجات المزخرفة الشهيرة قبل ذهابي إلى مقر الجنرال مونتغمري في خيمة واسعة مغطاة بشبكة غش كبيرة نصبت فوق المنحدر الغربي لتل صغير . وهناك على بعد (٢٠٠) يارد تقريباً نحو قمة المرتفع ، صف أنيق من الخيم أعد للزوار مع خيمة صغيرة من نفس اللون اتخذت مطعماً ولم استمتع بلحم البقر المطبوخ والبارد مع السلطة حينما فكرت بلحم البقر المثروم والمعلب الذي تناولته مع الوحدات الامريكية ، ومع ذلك ، لقد جلب المسؤول عن الأرزاق الزبدة النورماندية ، أما مونتغمري فلم يكن موجوداً . ولقد اعتدت على هذه الوجبات من الأطعمة ولكنني أردت أن التقي مع بيل ويليامز Bil Williams لاتأكد بأنه راضٍ تماماً عن أعمال وحدة الارتباط الخاصة وبأن هذه الوحدة ليست لها أية شكاوى حول مواضيع الأمنية فوجدتها على أحسن ما يرام ، وكان أفراد وحدة الارتباط الخاصة المساكين قد أبعدوا بموجب وصايا القائد العام إلى مكان منعزل يقع في مقلع صغير يبعد عنهم نصف ميل تقريباً ، وهذا يعني بأنني سأسير مسافة طويلة لكي أصل ليلاً ، ولقد طرحت الموضوع على اللواء كراهام ـ Graham ـ

ضابط الركن الثالث ـ لكن القائد العام كـان عنيداً ومتمسكـاً برأيـه . وكان عذره في ذلك أنه يخشى أن يحصل العـدو على اتجـاه الجهاز الـلاسلكي ، وبما أننا كنا نستخدم المَوْجة القصيرة جداً للبث ورموز الاعتراف باستلام الرسائل من وحـدة الارتباط الخـاصة والتي هي الأخـرى تستخدم المـوجة القصيـرة في أوقـات مختلفة كـل يوم ، وبمـا أن العدو لم يـظهر أي اهتمـام ، لا في شمـال افريقيا ولا في ايطاليا ، طوال السنتين الماضيتين ، عن مكان وحدات الارتباط الخـاصة التـابعة لنـا ، فقد استنتجت بـأن السبب هو وجـود افراد من القـوة الجوية الملكيـة يعملون في الاستخبارات لا يحبهم الجنـرال لبعض الاسباب : وعلى أية حال : كان (وليـامز) متحمساً على الـدوام ، وقد اعـطيته أخيـراً كـل المعلومات الكـاملة عن المقاومـة وعن مقاصـد العدو الـرئيسية منـذ يـوم الانـزال الحقيقي وعن قـوة وحـدات الـدروع الالمـانيـة وعـددهـا في الـوقت الحاضر ، حتى وإن لم تكن سـارة ، إلا أنها كانت حسـابات دقيقـة . ووجب على وحدة الارتباط الخاصة أن تعمل بجد وتحمل ، وطلب من اللواء كـراهام بأن يحاول ويرعى أمورها بشكل أفضل حينما ينتقل المقر .

وكـان اللواء فـريـدي دي كـونكـانـد Freddie De Guingand رئيس الأركان واللواء كراهام يعرفـان تمام المعـرفة قيمـة ما نقـدمه من المعلومـات . وربما كان سبب ضجر الجنرال مونتغمري في ذلـك الوقت هـو معرفتـه بتزامن لوم المستر شرشل والجنرال أيزنهاور له .

وفي عصـر اليوم التـالي جاء إلى خيمتي اللواء كـراهـام وهـو غـارق في التفكير وتساءل عما إذا كنت راغباً في النظر إلى السماء فـأرى بعد بضـع دقائق القصف الجوي الاستراتيجي على المواضع الدفاعية في (كان) من قبل قيـادة القاصفات للقوة الجوية الملكية .

وحـالمـا خـرجت من خيمتي ووقفت فـوق ذلـك التـل الصغـير في نورماندي ، رأيت ما يقارب (٤٥٠) طائـرة من نوع لانكسـتر بلونها الأسود محلقة في السماء في ذلك المساء ، وهي تحدث أصواتاً عظيمة عندمـا تصعد إلى

أعالي الجو وهي تمر فوقنا ، ثم سمعنا أصوات انفجار القنابل فـوق الدبـابات المتخندقة في دفاعات (كان). وكانت الأرض تهتز تحتنا على الرغم من بعدنا بضعة أميال عنها وكنت قد انذرت ضابط وحدة الارتباط الخـاصة الـذي جاء ليـرى القصف الجوي معي . وأظن أن مجمـوعة من القـوة الجويـة الملكيـة في خطوط الزوار وكل أركان المقرات جاءوا أيضاً ليشهدوا تلك اللحـظة والتي لا بد وأنها أنعشتهم قليلاً .

كانت خيمة اللواء ديمبسي في مقر جيشه الثاني أصغر من خيمة الجنرال مونتغمري ولم تكن مغطاة بشبكة الغش ، وكانت قد نصبت فـوق مقلع دافىء مغطاة بالعشب وفيهـا ملجأ ، وهنـا كانت وحـدة الارتباط الخـاصة عـلى بعد (٥٠) يارد تقريباً وكانت تنفذ بشكل دقيق أوامر ديمبسي الشخصية ، قـابلني بترحاب حار وأخبرني أنه يقرأ رسائل (الأسرار فوق العـادة) بشغف كبير ولم تكن لديه أية فكرة بأنه يجب أن يكون تمامـاً في الصورة حـول مقاصـد الالمان حينما يبدأ العرض ، وسألني عن كيفية تقدم الجنرال برادلي وكان على علم تام بـالحـرب ومن النـوع الـذي يصيبـه الاخفـاق والـذي يجب عليـه أن يخـوض غمارها ، وأنها تختلف تماماً ، كـما وضح ذلـك عن المعركـة القاسيـة والصعبة الدائرة في السهول الواقعـة حول (كـان) والتي اشترك فيهـا جنوده وأراد هـو الآخـر أن يعرف مـا إذا كنت أعرف أي شيء عن الفـون كلوغـه ولكن مـع الأسف الشديد ، لم يسبق لي الالتقـاء به أبـداً قبل الحـرب ، وكان سجله في فرنسا في عام ١٩٤٠ وأخيراً في روسيـا جيداً . واخبـرت ديمبسي بما كنت قـد اخبرت برادلي به ، ولا بد وأن يستفيد مايلس ديمبسي كل الاستفادة مما نرسله إليه لأنه سبق له وأن استفاد من قبل .

وبالقرب من (بيوكس) وجدت حانوتـاً صغيراً كـان يبيع جبنـاً بحجم كبـير ومدور الشكـل وناضجـاً تمامـاً من نوع (بـورت سالـوت Port Salut) لذلك اقتنيت معي قطعتين وأنا في طريقي إلى الشقة ووضعتهما تحت المقعـد في الطائرة مع بعض الزبـدة النورمـانديـة . وقد سببت رائحتها الذعر بين بعض

الرفاق المسافرين .

لقد أصبح الفون كلوغه قائداً اسلوبياً وبدأ يفتش مختلف التشكيلات التي تحت امرته حينما تولى القيادة من الجنرال رونشتاد وقد دونها بعناية ثم بعث بموجود قواته إلى القيادة الالمانية العليا وإلى مقر الجيش في برلين ، وكانت رسالته الرمزية التي كنا قادرين على التقاطها مهمة بشكل خاص لأنها لا تجعلنا فقط على علم تام بالنسبة لاحدث موقف عن القوة الحقيقية لمختلف وحداته بل إنما اعطتنا أيضاً فكرة جيدة عن خسائر الالمان ، ولقد حذره رومل بأن لهتلر عادة اعتاد عليها يصدر فيها أوامره الهجومية لقوات غير موجودة أو لوحدات ليست لها صلة بالعمليات وعليه يجب أن ينطلق بموجب الاسس الصحيحة ، ولقد اظهرت عملية التفتيش الثمينة لقيادة كلوغة بصفته القائد العام في الغرب ، في بداية شهر تموز بأنها اشتملت الآن على جحفل الجيش في جنوب فرنسا بالاضافة إلى جحفل جيش (ب) بقيادة رومل في نورماندي وأن الجيش المدرع الخامس الموضوع تحت امرة رومل يضم ما لا يقل عن تسع فرق مدرعة متواجدة حول (كان) .

ويتألف الجيش السابع المواجه للجيش الامريكي من الفيلق المظلي الثاني في (سانت لو) والفيلق (٨٤) في جنوب شبه جزيرة شيربورغ .

أما القيمة الحقيقية لرسالة كلوغة فهي أنها اظهرت بأن الجيش المدرع الخامس يمتلك عدداً من الدبابات الصالحة للاستخدام يقل قليلاً عن تقديراتنا .

ولقد كان الفيلق المظلي الثاني يقابل جيش الجنرال برادلي الذي كان يروم التقدم نحو (سانت لو) في حالة توقف وقتي ، وأصبح الآن احتلال المدينة وتقاطع طرقها أمراً ضرورياً لتكون بمثابة قفزة للاندفاع القادم في عملية كوبرا قبل وصول أية فرقة مدرعة للغرب مرة ثانية .

وجدد برادلي هجومه يوم العاشر من تموز وتم احتلال المدينة نهائياً يوم

(١٧) تمـــوز وعنـد ذلــك فقط طلب الفيلق المــظلي الثــاني السمـــاح لــه بالانسحاب ، والتقطنا الرسالة حال ارسالها من قبل قائـد الجيش السابـع إلى رومل قائد جحفل الجيش (ب) واصابتنا الحيرة حين لم نجد أي جواب لهذه الرسالة ، وكنا نتوقع أن يكون جواب رومـل أمراً لا يتضمن الانسحـاب وهو الأمر الاعتيادي المتوقع وعلى أية حـال ، أمر الفيلق المـظلي الثاني بـالانسحاب ولكن القصة ظهرت بعد فوات الأوان بالنسبة إلى ما حدث بعد استلام رسالة الجنـرال (هاوزر)، فبـدلاً من ارسال الـطلب إلى هتلر لاستحصال مـوافقته مثلما يجب اتباعه : اتصـل رئيس أركان جحفـل الجيش (ب) بقائـد الجيش السابع فوراً وأخبره بأن يتخذ الاجراء الذي يراه مناسباً بحيث اصيب الجنرال بـالدهشـة ، وأظهرت الـرسالـة وجود الارتبـاك في جحفل الجيش (ب) ممـا ادهشنا قليلاً . وأول دليل حصلنا عليه من (الأسرار فوق العادة) بأن أمراً ما قـد حدث لـرومل هـو عندمـا استلمنا رسـالة فـون كلوغة الصـادرة إلى جميع الوحدات يبلغها بتوليه قيادة جحفل الجيش (ب).

وبعد بضعة أيام وردتنا قصة عن كيفية اصابة عجلة رومل بنيران طائرة من طائرات الحلفاء وكيف أن رومل انقـذف خارج العجلة بـواسطة المقـاومة الفرنسية ، رغم أنهم أخبروا في البداية أنه لقي حتفه ، وكأننا قد فقدنا فجـأة صديقاً لأننا عشنا مع هذا القائد الشاب الذي يتعذر كبح جماحه منذ المصادمة الأولى مع دباباته في شهر ايار عام ١٩٤٠ في فرنسا ، حينما اصـابه الهلع لأول مرة على ما أعتقد ، وتوجب علينا أن نعرف جميع صفاته المميزة الصغيرة خلال معركة الصحراء الغربية ، ورأينا تهوره وغروره ينقلب إلى تحرر من الوهم الشديد حينما انسحب إلى تونس بعد معركة العلمين ثم ذهب في النهاية إلى برلين وهو غاضب بعد مشاجرته مع الجنرال كيسلرنغ .

ولقد التقينا بـه مرة أخـرى في شهر تشـرين الثاني عـام ١٩٤٣ وراقبناه خلال كفاحه مع القيادة الالمانية العليا، من أجل خوض المعركة، وهو من حقه ، ضد الغزو ، بطريقتـه الخاصـة ـ تلك الطريقـة التي لا بد وأن تكـون

خطرة على عمليتنا المسماة ـ عملية السيد الأعظم ـ وأصبح الآن هـذا الرجـل المسكين خارج اللعبـة ، وأنه لم يعـرف أبداً مـدى استفادتنـا منه حينـما يتصل مباشرة مع هتلر ، ولا بد لنا أن نفقد تلك الرسائل الرمزية التي يبعثها ، وأن قصة انغماسـه السري في مؤامـرة (٢٠) تموز ومن ثم اجبـاره على الانتحـار أصبحت معروفة للجميع ، واتمنى أن التقي به لكي أتأكد بنفسي فقط فيما إذا كانت الصورة التي احملها عنه صحيحة تماماً .

والجنرال رونشتاد ، الـذي اختفى هو الآخـر من المسرح ، كـان سنداً بكـل معنى الكلمة وهـو جندي ، مثـال القادة المتخـرجين من المعهـد الالماني ـ المسمى بفيلق الضباط ، تعلم مهنته بشكل دقيق وفق نصوص الكتب .

وأعتقـد أنه من الصعب عـلى أولئك الأشخـاص الـذين لم ينهمكـوا في الحرب العالمية أن يدركوا كيف أن كل شيء يـظهر من تصـرف العدو يصبـح موضوعاً ممتعاً جداً .

أما بالنسبة لأولئك الأشخاص الذين يراقبون العـدو بواسـطة (الأسرار فوق العادة) فإن ازاحة أي قائد ، وفشل كل قائد جيش : والصعـوبات التي يواجهها في تعـويض خسائـره والأمر المتضمن عـدم الانسحاب (وقـاتل حتى اخر اطلاقـة) والصادر من هتلر كلهـا تعني بالنسبـة لنا أمـوراً مهمة جـداً في تثمين قدرة العدو الكامنة ومعنوياته ، والاختلاف بين الحـرب العالميـة الثانيـة والحروب الأخرى كلها معروفـة لنا الآن ، ولكن علينـا أن نعرف الكثـير عن فون كلوغه .

وبينما كان برادلي يتقدم أخيراً نحو (سانت لو) كان الجنرال مونتغمري يشدد الضغط على (كان) أيضاً وذلك لابعاد الدروع الالمانية عن الامريكيين لأن الاندفاع المدبر للجيش الامريكي الأول أصبح ممكنـاً ، وكانت هجمـات البريطانيين والكنديـين ناجحـة جداً إلى درجـة أنهم تمكنوا من تـطهير المـدينة بصورة كاملة من قوات العدو يوم (١٨) تموز .

ولكي إتؤكد كيف كانت خطة مونتغمري الاستراتيجية ناجحة نقول بأن الرسائل الرمزية بدأت تردنا وتخبرنا بأن الفرقة المدرعة (١١) أس . أس والفرقة المدرعة (١٢) أس . أس القادمتين من بولندا والمخصصتين للجيش السابع المواجه لجيش الجنرال برادلي قد أمرتا بالبقاء في (كان) الآن . . وهذا معناه بأنه لا تزال هناك تسع فرق مدرعة تواجه البريطانيين والكنديين ، وعلينا أن نقر بأنها لم يكن بكامل قوتها ولكنها كانت قوة مدرعة مخيفة .

وربما يتطلب في هذه المرحلة الحرجة من الحرب أن أذكر القارىء بأننا قرأنا جميع رسائل العدو الرمزية التي جاء ذكرها في هذا الكتاب ما لم نذكر خلاف ذلك ، وأننا كنا في كثير من الأحيان ضمن دقائق من صدورها بالنص الأصلي نوزعها على القيادات في الوقت المناسب .

الباب السادس عشر

معجزات هتلر

لقد تم الاعلان عن محاولة (٢٠) تموز لاغتيال هتلر في راستنبرغ عبر الاذاعة الرسمية ، ولا يأخذنا العجب إذا قلنا بأن غالبية القادة الألمان كانوا يتمنون موت هتلر ، ولقد رأى هؤلاء القادة عدا قائد أو قائدين بأم أعينهم نهاية الرايخ الثالث ، وأن حادثة راستنبيرغ ما هي إلا نتيجة منطقية لفقدان الثقة المتأصلة والخصومة بين النازيين والقادة الالمان .

وكنت قد رأيت الأسس الكونكريتية الضخمة لمقر هتلر الذي كان يظهر فوق غابة راستنبرغ وذلك عام ١٩٣٨ ، وأصبح هذا المكان في تموز عام ١٩٤٤ تقريباً مقبرة له ، ولقد أذيع نبأ نجاته من الموت كأنها معجزة ، وربما تكون قد ساعدته في استعادة السلطة لاتخاذ القرارات التي لاحظناها ، كانت متقلبة نوعا ما لأنه أصبح الآن على أتم استعداد للعمل وفق معجزاته الاستراتيجية والتي كانت جيوشه التي تجابه الضغوط الشديدة في نورماندي تنتظرها .

وفي يوم (٢٥) تموز قام الجنرال برادلي بعملية الاندفاع والمسماة بعملية كوبرا والتقطنا مساء ذلك اليوم رسائل المارشال كلوغة الموجهة إلى القيادة العليا الالمانية يخبرها فيها بأنه (منذ هذه اللحظة تفجرت الجبهة) فاتصلت هاتفيا برئيس الوزراء لأخبره بهذه الرسالة وكان على ما أعلم - متلهفاً لسماع الأخبار ، وكان هو المتكلم بنفسه وسمعت همهمته الهادئة الدالة على الارتياح ، وكانت المقاومة الالمانية في الجزء الاسفل من شبه جزيرة

شيبيرغ في يوم (٢٧) تموز آخذة في الانحدار السريع وفي مساء ذلك اليوم أخبر برادلي الجنرال أيزنهاور قائلاً (أن انطلاقنا السريع يجري بلطف) وبدأت الكوبرا تعود إلى الطريق ، ولا بد أن هذه هي من أعجب اللحظات لبرادلي ، لأنه بدأ هجومه في أفضل وقت كما قال مونك (لقد مكث قابعاً في مواضعه لمدة سبعة أسابيع) .

والآن ، لا بد وأن تكون القرية الخضراء مفعمة بالفعالية والعمل الدائب . ولما تقدم الجيش الامريكي بهجومه قطع خط الرجعة على القطعات الالمانية المحصورة في جيب كبير في يسار جبهة الالمان وأصبحت مطوّقة مما حدا بالجنرال هاوزر قائد الجيش الالماني السابع باصدار أوامره بالقيام بالاندفاع نحو الجنوب الشرقي للتخلص من هذا الجيب : ولا بد وأن الفون كلوغة قد التقط رسالته التي لم نتمكن من الحصول عليها واصدار أوامره بسرعة يلغي فيها أوامر هاوزر المتضمنة قيام القطعات المحاصرة بعملية الاندفاع وذلك لأنه كان يخشى تحطم جناحه الأيسر ، وكانت هذه الرسالة هي التي أظهرت لنا بأن المارشال كلوغة ليس فقط لا يعرف شيئا عن الموقف بل أوضحت بأن القيادة الالمانية تفقد توازنها أخيرا . وعلى أساس هذه الرسالة من (الاسرار فوق العادة) قامت القاصفات ـ المقاتلة من قوة كويسادا الجوية بغارات جوية هائلة لقصف القطعات المحصورة في هذا الجيب والحقت بها خسائر كبيرة جدا بحيث تمكنت أعداد قليلة فقط من أفراد العدو من الهرب بأنفسهم من هذا الجيب تاركين وسائط نقلهم وتجهيزاتهم مدمرة .

وحينما بدأ الزخم على الطريق أصبح من الواضح جداً بأن الفون كلوغه أصبح عاجزاً عن أن يعرف ما يجري من الأحداث لأنه لم يتلق الجواب من الجنرال هاوزر الذي طلب منه تزويده بالمعلومات لأن هاوزر نفسه لا يعرف ما يجري . وفي (٣١) تموز أبرق كلوغه إلى هتلر في القيادة الالمانية العليا يخبره بأن الامريكيين قد أحتلوا (أرفانجز Arvanches) وكان الامريكيون قد وصلوا في الحقيقة إلى هذه المدينة يوم (٣٠) تموز . ثم واصلت

الـرسالـة تقول بـأن الموقف غـير واضح مـا عدا المـوقف في أرفانجـز ، وبـأن فعاليات الحلفاء الجويـة لم يسبق لها مثيـل وبأن الامـريكيين قـد شقوا الجبهـة الغربية بأسرها وأصبحت مفتوحة أمامهم ، ولا بد أن رسالته قد شقت جبهـة القيادة الالمانية العليا أيضاً .

هذا ما كنا ننتظر سماعه لفترة طويلة ، لذلك لم تكن هناك حاجة الآن إلى ابراز العناوين للمستر شرشل .

وأصبحت الجبهة الالمانية غير متماسكة تمـاما ، وكـانت منطقـة بريتـاني تحت رحمة الامريكيين : وأصبح الطريق إلى باريس مفتـوحا ، وأخيـراً أنتهت أعمال تضليل الجنرال باتون التي دامت عدة أسابيع حيث خـدع بها هتلر من معسكـره الخالي في مقـاطعة (كنت) واصبـح جيشه الثـالث جاهـزاً للعمليات العسكرية . ولو قدر للمرء أن يزور مدينة (ارفانجز) لن تصعب عليه معرفة أهمية هذه المدينة القديمة منذ القرون الوسطى وهي تجثم على قمة التـل العالي المدور والذي يسيطر على منـطقة شـاسعة من الأرض نحـو الشمال والجنـوب والشرق والغرب ، والآن بدأ جنود ودبـابات الجنـرال باتـون بالتقـدم شمالا خـلال تلك المدينـة القديمـة الحصينة مـع منتزههـا الصغير المـرتب ومقـاهيهـا وحوانيتها الواقعة حول الساحة العريضـة في قمة التـل ، اتجه بعضها نحـو الغرب داخل بريتاني واتجه معظمها نحو السين .

لقد أنيطت مهمة تطهير منطقة بريتاني بجيش الجنرال باتون في الأصـل ولكن بمـا أنه اتجـه الآن نحو الشنرق فانـه أخذ يسـرع في سيـره في الأراضي المفتـوحة ، وفي هـذه اللحظة أبـرق هتلر ، العسكري العبقـري المعصوم من الخطأ ، إلى الفون كلوغه يخبره فيها بأنه تولى بنفسه قيادة ساحة العمليـات في الغرب بأسرها ، ومن تجاربنا في شمال أفريقيا وايطاليا اعتبرنـا هذه الـرسالـة بأنها أفضل الأخبار لحد الآن ، وكانت رسالته الثانية إلى منظمـة تودت Todt (سميت بعـد مقتل الـدكتور تـودت وزير الانتـاج الحربي الـذي قتل بحـادثة سقوط طائرة عام ١٩٤٢) المعينين العظام الذين يبنون مواقع بـايقاف العمـل

هناك ، ونقل نشاطاتهم إلى المواضع الدفاعية الواقعة على مسافة بعيدة في الداخل ، ثم أرسل أوامره على شكل رسائل رمزية إلى جميع الوحدات في الغرب يقول فيها : (اذا ما صدرت الأوامر بالانسحاب فيجب تدمير جميع سكك الحديد والقاطرات والجسور والمعامل ، وعلى آمري حصون الموانىء أن يقاتلوا حتى آخر جندي لحرمان الحلفاء من الاستفادة من الموانىء) .

وكانت هذه الأوامر من أعمال هتلر الحاسمة بالنسبة لاولئك الاشخاص غير المعتادين على مثل هذه الأوامر الحديثة نوعا من الدهشة ، حيث بدت كأنه قد تغير فجأة وأفاق من أحلامه وأوهامه وأنه سيبدأ عمله الحقيقي ، وفي الثاني من شهر آب أمر هتلر ، في رسالة طويلة ، بحيث ملأت صحيفتين كاملتين من أوراق (الأسرار فوق العادة) على ما أتذكر ، كلوغة « بأن لا يعير أي اهتمام لعملية الاندفاع التي قامت بها القوات الامريكية حيث ستتم معالجتها فيما بعد » ثم أعقبها باصدار الوصايا بشكل مفصل جدا بأن يجمع سوية أربع فرق مدرعة من جبهة (كان) مع عدد كاف من فرق المشاة السائدة ويقوم بشن هجوم معاكس لاعادة احتلال ارفانجز وهكذا يعزل القوات الامريكية الكائنة في القسم الأسفل من شبه جزيرة (شيربورغ) ثم يجب عليه أن يدفع القوات الامريكية أمامه باتجاه الشمال من الهجوم المدرع ويلقيها في البحر ، ويبدو أنها ستكون تكرارا لاستراتيجيته الناجحة عام ١٩٤٠ في معركة فرنسا ، اذن هذه هي الخطة الأساسية التي ترد مباشرة من الفوهرر الذي يوجه شخصيا بشكل واضح المعركة الحاسمة للحرب في الغرب .

وصلت هذه الرسالة المهمة جدا في الوقت الذي كنت أتهيأ فيه للذهاب إلى النادي لأتناول طعامي ، وكان يوما مثيرا بعد القلق طوال الأسابيع الماضية ، وعرفت أن المستر شرشل يود أن يرى رسائل هتلر فورا ، لذلك أرسلتها اليه مع مذكرة قلت فيها بأنني سابعث تباعا كل رسالة تصلني فيما بعد .

وانني أعـرف بأن الجنـرال أيزنهاور قـد اقام أرتبـاطا وثيقـا مـع المسـتر شرشل بواسطة رئيس اركانه ، الجنـرال بيدل سمث Bedell Smith فـاصبح من المهم أن يتحدث المستر شرشل مـع بيدل سمث عـلى نفس الوتيـرة حينما يريدون اتخاذ كل القرارات الاستراتيجية المهمة .

وكانت الأمور تسير سيراً حسناً بالنسبة لبرادلي ، وفي هـذا الوقت تمـاماً تـولى قيادة جحفـل الجيش (١٢) ومعه ضـابط استخبارات أقـدم جديـد وهو الجنرال سيبرت Sibert ، وأعلن عن اسفه لأنه فقـد (مونـك) في مثل هـذا الوقت الحرج .

وكانت القيادة الأعلى لقوة حملة الحلفاء لا تزال في بـورتسماوث لـذلك اتخذ (تيدر) الخطوة التي لم يسبق له أن اتخذها حيث اتصل بي هاتفيـاً وحالمـا أجبت على النداء قال لي : « بالنسبة لرسالة هتلر الرمزيـة المهمة للغـاية » أود الاستفسـار عما إذا كنت استـطيع الاطمئنـان بـأنها ليست حيلة أو خـدعـة . واستطرد قائلاً بأن محتويات الرسالة هي في غاية الاهمية بحيث أن ايـزنهاور لا يريد انتهـاز الفرص ، فـاتصلت بالكـوخ (٣) هاتفيـا لاتأكـد فيما إذا كـانت الرسالة الالمانية الاصلية هي بأسلوب هتلر الغريزي ولغته ، وكان الجواب أنه ليس هناك أي سبب يدعو للشك ، وأن الرسالة من غير شك ، قد صـدرت من مقر الفوهرر ، فاقتنع (تيدر) بهذا القول .

والسؤال الذي نسأله نحن جميعاً هو مدى ما نحتاجه من الوقت للتهيؤ لمثل هذا الهجوم الخاطف ، وأين ومتى سيبـدأ الهجوم ؟ فـإذا تمكنا من معـرفة الـوقت لمدة يـومين أو ثـلاثة أيـام فانها ستعطي (باتـون) الوقت للوصول إلى الشـرق حول الجنـاح الجنوبي لـلالمان كـما انها تعطي (بـرادلي) أيضاً الـوقت لتهيئة مواضعه الدفاعية بالقرب من (ارفانجز) ، لأن الهجوم سيكون شديداً وقوياً ، وكانت الفرق الالمانية تنتظر معجزة هتلر ، وإذا كـما ظنوا سيحصلون على المباغتة فيكون الفـوهرر عـلى صواب ثـانية ، ولكن المبـاغتة هي آخـر ما يستـطيعون تحقيقـه ، ولا بد وأن يكـون هتلر قد غـير من تردده وعـلى الفـون

كلوغـه أن يرى الخـطر المهلك لهذه المعجـزة العلاجيـة ، لأنه من حسن الحظ تكلم الجهاز العجيب في اليوم التالي وعلمنا كيف أنه تجرأ واجاب على رسـالة هتلر برسالة طويلة مساوية للرسـالة التي استلمهـا يبين فيهـا النتائـج المحتملة لمثل هذا التحرك ، وعجبنا من هذا العمل حيث يقول : « بصرف النـظر عن سحب الفـرق المدرعـة الدفـاعية الضـرورية من (كـان) ، فـإن مثـل هـذا الهجوم ، إذا لم ينجح في الحال ، فانه سيؤدي إلى عزل جميع القوات المهـاجمة في الغرب » . والآن ، كان هذا الإمر ، بالطبع ، هو ما يفكر به ايزنهاور وأنه قد أنذر من قبل برادلي بأن يكون على اتم استعداد لدفع جيش الجنرال باتون الثـالث بسرعـة باتجـاه الشرق بحيث يكـون قادراً عـلى الحركـة نحو الشمـال ويكون خلف القوات المهاجمة ووجـوب ابقاء فيلق واحـد فقط لتطهـير منطقـة بريتاني .

والآن ، السؤال المهم هو من الذي سيربح النـزاع ، هتلر أم كلوغة ، أنا راهنت على هتلر ، وكانت هذه فرصته الأخيرة ليظهر فيها لجيوشه الكثيـرة الشك بأنه لا يزال ذلـك العبقري وليهـزم اسطورة هتلر ، وأيقنت تمـاماً بـأنه سيصر على قراره كما أيقنت القيـادة العليا لحملة قـوات الحلفاء بـذلك ، وتم اخبار برادلي للقيام بالاستعدادات الضرورية لمجابهة الهجوم وبأن يقوم بـاتخاذ مواضع دفاعية بالعمق في منطقة (ارفانجز) ، بينما ارسلوا انـذاراً إلى الجنرال بـاتون لاتخـاذ تـرتيبـات مسبقـة لتمـويـل فيلقـه نحـو الشمـال من (ليمـانـز Lemans) فهـل هناك مـا يكفي من الوقت ؟ لقـد علا الهيـاج ليس في لندن فقط بل إنما في واشنـطن ايضاً ، فـالكل ينتـظر ما سيـأتي به الـوسيط (جهاز الجفرة) ولم يدعنا هتلر ننتظر طويلاً ، حيث وردت منه رسالـة أخرى طـويلة في اليوم التالي يعترف بها بلطف ما تضمنته رسالة كلوغـة ثم قال : « يتـطلب الموقف عملاً جـريئاً ، يجب تنفيـذ الهجوم لشق القـوات الأمريكيـة » . وعلى الفون كلوغة أن يخـاطر بسحب الفـرق المدرعـة من (كان) مؤقتـاً ، فشكراً لمنازعة كلوغة الشجاعة حيث حصلنا لحد الآن على فرصة ثـلاثة أيـام كانـذار وعندها رأى ايزنهاور أنها الفرصة التي منحها له هتلر فانتهـزها واستعـد لتغيير

الخطة بأسرها والمتضمنة التقدم بجبهة واسعة باتجاه الشرق عبر فرنسا واستعاض عنها بالقيام بتطويق وتدمير معظم الجيوش الالمانية في الغرب .

انه لموقف عجيب يقرر فيه آيزنهاور (والاسرار فوق العادة) مصير الجيوش الالمانية بمساعدة هتلر .

واخبرني المستر (مينزيز) بأنه على الرغم من الرسائل الواردة من هتلر ، فأن الجنرال مونتغمري لا يزال يفضل التقدم بجبهة واسعة نحو السين ، لكن كانت توجيهات ايزنهاور له تتضمن بأن يكون مستعدا لتطويق القوات الالمانية من الشمال بجحفل الجيش (٢١) ، بينما يقترب جحفل الجيش الامريكي (١٢) ، من الغرب ويصعد إلى الجنوب ، وكان الجنرال مونتغمري ، قائداً رسمياً عاماً للقوات البرية إلى أن ينتقل الجنرال ايزنهاور مع مقره إلى فرنسا ويتولى قيادة جحفلي الجيشين بنفسه ، ويصبح عند ذاك كلٌ من مونتغمري وبرادلي ندين متساويين ولكن يجب أن تصدر اوامر التطويق الآن من مقر مونتغمري ، وعلى أية حال ، فان الفرصة المتاحة تضمنت أمراً جديداً بحيث تتغير الاستراتيجية كلها وتناط بايزنهاور نفسه وأنها يجب أن تنال موافقة رؤساء أركان الحلفاء المشتركة ، ومن الواضح تماما بأن شرشل كان مبتهجاً ، وفي احدى المناسبات حينما وجب علي أن أوسع تفسير موضوع في احدى رسائل هتلر على الهاتف أحسست بصوته ينم على الحبور والبهجة ، لأنه كان يصغي إلى رسالة هتلر وهو في لندن ضمن ساعة واحدة من ارسال هتلر لرسالته تلك .

لقد ارتفع الكوخ (٣) في بليجلي إلى المستوى المطلوب في الوقت الحاضر وبجهود كبيرة جداً تمكن من تأمين الاجابات ولايام عديدة وبسرعة مذهلة .

ولم تكن هناك حاجة للتعليق عليها إلا في النادر ، وانتقل أيزنهاور نفسه إلى فرنسا ، ظاهرياً لزيارة برادلي ، فانتظرنا جميعا في الوقت الذي كانت فيه القوات الالمانية الواقعة شرق أرفانجز متمسكة بشدة ، من غير شك ،

بموجب الأوامر ، للقيام بهذا العمل وتنتظر التقويات ، لكن الفون كلوغة العنيد لم ينته بعد ، ففي يوم (٥) آب قام بمحاولة أخرى ليثني هتلر عن قراره ، وكان المستر شرشل قد ذهب إلى مقره الصيفي في (جيكرز) يوم (٤) آب ، لذا سأنشغل كثيرا طوال فترة نهاية الأسبوع بالمكالمات الهاتفية .

وكل فرد ، ابتداء من القيادة الالمانية العليا الظل وإلى رئيس الوزراء كان منهمكاً جداً في مسرحية هتلر ـ كلوغة ، ولم أترك مكتبي بالتأكيد طوال تلك الفترة .

ولقد خاطر الفون كلوغة بمنصبه في محاولة منه لايقاف هذا الهجوم ففي رسالته الأخيرة يبين بدون تردد أو خوف بأن هذا الهجوم سينتهي إلى كارثة . وليس من الصعب أن نتصور شعور وأحاسيس هذا الجندي الشجاع ، ولكن يستطيع المرء أن يحصل على بصيص من طيبة أمله الكلي من رسائله ، ولا بد أنه عرف أنها الرسالة القاضية على كل حال .

والآن لنعد إلى الوراء ، دون أي تعليق ، لنرى أن الأمر قد صدر من الفوهور لغرض التقدم ، فلم يبق أي خيار للفون كلوغه ، أما الجنرال ايزنهاور فقد عرف ماذا سيفعل .

وحينما كنت اقرأ الرسائل الأخيرة عبر الهاتف على مسامع المستر شرشل ، أحسست بابتهاجه الذي سيطر عليه في الطرف الآخر من خط الهاتف ، واعتقد أننا جميعاً شعرنا بانها ستكون البداية لنهاية الحرب .

وفي (٦) آب ، أصدر الجنرال مونتغمري أوامره في الوقت المحدد إلى جيوشه الثلاثة بالتقدم ، وهي الجيش البريطاني الثاني والفيلق الكندي الثاني والجيش الامريكي الأول نحو اجنحة القوات الالمانية وأمراً آخر إلى الجيش الامريكي الثالث باجتياز هذه الجيوش عند الجناح الجنوبي ، وفي نفس ذلك اليوم ، نفذ الفون كلوغة باخلاص اوامر الفوهرر ، ولقد اعطتنا مواصلته في النزاع مع هتلر حول هذه القضية ومقدرتنا على قراءة جميع الرسائل المتبادلة

بينهما فرصة مهمة أمدها أربعة أيام .

ولقد استعد الفريق كاي سيموندس Guy Simonds قائد الفيلق الكندي للقفز نحو الجنوب لاحتلال مدينة فاليز Falaise ، واما الجنرال ديمبسي فقد تحرك جنوباً على جناح سيموندس الأيمن ، وأما الجيش الامريكي الأول (بقيادة الجنرال هوجس Hodges) الآن فبدأ يحرك فيلقه الشمالي نحو الجنوب الشرق ويتهيأ بنفس الوقت لمواجهة هجوم الفون كلوغه في مورتين Mortacn الواقعة شمال أرفانجز تماماً وبدأ الجنرال باتون تقدمه المشهور الصحيح حول الجناح الجنوبي للجيوش الالمانية أما بالنسبة لي فانني اعتبرتها فرصة لاختبار امنية (الاسرار فوق العادة) . فعندما عرفت ماذا سيحدث : بعثت برسالة إلى جميع وحدات الارتباط الخاصة المعنية وأنذرتهم فيها بمراقبة « الفعاليات » بدقة ، وعرفت أن القادة سيواجهون صعوبات في اصدار اوامرهم الصحيحة إلى وحداتهم دون أن يكشفوا الحقيقة وهي أننا نعرف ما هي فعاليات العدو هكذا كانت الحالة خاصة عند اقامة المواضع الدفاعية في (مارتين) ولكن لا داعي للخوف أو القلق . ولقد أصدر (برادلي) وصايا دقيقة للدفاع في العمق بحيث أن الالمان حقيقة حصلوا على نجاحات أولية صغيرة ليزيلوا شكوكهم ، ولما شنوا هجومهم ، كان هجوما شرساً بحيث أنهم اخترقوا المواضع إلى مسافة أكثر مما كنا نتوقع : وصمم (باتون) على ابلاغ الجنرال هيسلب Haislip عن مصدر المعلومات لان فيلقه الرابع عشر هو الذي سيتوجه شمالا ليلتقي مع الكنديين خلف الجيوش الالمانية . وكانت الامنية بوجه عام شيئاً مدهشاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التنقلات التي يجب أن تكون سريعة .

استقظت في الساعة الخامسة صباحا من يوم (٧) آب وانتظرت أولى الأخبار عن الهجوم ، وعلى أية حال ، سأبين هنا لغرض استمرارية شرح الأحداث ، قتال الحلفاء والالمان معا واصفها في صورة واحدة . وأول خبر حصلت عليه هو من مونك ديكسن بعد بضعة أيام : ويتضمن الخبر بأنه عند

حلول الضياء الأول تقدمت الفرقة المدرعة الرابعة الالمانية من خلال الموانع الامامية للامريكيين الواقعة على الطرق ثم إلى المدينة الصغيرة (مورتين) واندفعوا خلفها لمسافة سبعة أميال ثم جاءتهم طائرات الحلفاء وبدأت تقصفهم : ولقد أحدثت طائرات (كويسادا) القاصفات المقاتلة مع الطائرات البريطانية من نوع (طايفون) بصواريخها دمارا كبيرا في الدبابات الالمانية التي لم تتوقع مثل هذا الهجوم . ثم تولتهم بعد ذلك مدفعية (برادلي) الهائلة مما أدى إلى توقف الدبابات الالمانية عن التقدم وكان آمروها في حيرة من أمرهم لأن خسائرهم من الدبابات تزايدت بسرعة بحيث بدأت دباباتهم تتخندق وهم في قلقٍ شديد عند منتصف النهار . وقد كانت نيران المدفعية شديدة مرعبة بحيث لا بد وأنها أثارت في نفوسهم بعض الشكوك بأن هجومهم لم يكن مباغتا ولكن لم تظهر هذه النقطة في رسائلهم الرمزية أبدا . فبقيت معظم دباباتهم في مواضعها وهي مغطاة بشبكات الغش وتمكن عدد قليل من وحداتهم فقط من اختراق الخطوط الدفاعية الامريكية الرئيسية فعلا .

وفي مساء اليوم السابع كانت (٧) فرق امريكية تنتظر وهي على أتم استعداد لصد المهاجمين ، وعند العصر ، وجب على كلوغه ، الذي كان في تماس شديد بالمعركة ، أن يبعث بتقرير الموقف في رسالة رمزية إلى القيادة الالمانية العليا ، تقول الرسالة : « توقف الهجوم بعد أن خسرنا أكثر من نصف موجود دباباتنا » ثم استطرد قائلاً بأنه اقترح فك الارتباط لقواته الباقية في (مورتين) لحماية (فاليز) من هجمات البريطانيين : ولا بد وأن هتلر كان متحيراً قليلاً .

أما بالنسبة للفون كلوغه المسكين ، فأن أمله الوحيد الآن هو امكانية اقامة نوع من الخط الدفاعي في شرق (فاليز) استعداداً للقيام بانسحاب عام : وهو المسلك الذي سبق له وأن أوصى باتخاذه في رسائله إلى هتلر خلال اليومين الأخيرين : ولكن لا : إذ كانت الرسالة التالية التي حصلنا عليها

مباشرة من هتلر تقول : « أمر بمواصلة الهجوم بجرأة وبدون اهمال إلى البحر بغض النظر عن المخاطر » . ثم واصل يقول وهو يرشد كلوغه بأنه بصرف النظر عن تقويات الجنرال أيبرباخ Eberbach الذي يرسلها من بقايا الجحفل المدرع في (فاليز) عليه أن : « ينقل القوات من أيبرباخ ويزجها في الهجوم على أرفانجز لكي » كما يقول « يحدث الانهيار في جبهة العدو في نورماندي بالقيام بهجوم إلى عمق جناح العدو ومؤخرته التي تواجه الجيش السابع » .

ولم يكن الفوهرر ، بطبيعة الحال ، يعلم كلياً بأننا على علم تام بهجومه مسبقاً قبل فترة طويلة بحيث يتيح المجال لبرادلي للقيام بالترتيبات الضرورية لافشال هجومه فأخذ يواصل القاء خطبه بشكل جنوني . وينهي رسالته قائلاً : « على جميع القادة بمختلف القدمات أن يتحلوا بالجرأة العظيمة والعزم والتصور ، وعلى كل جندي أن يعتقد بالنصر ، سنترك أمر تطهير المناطق الخلفية وبريتانيا إلى وقت آخر » ، والآن إذا عمل الفون كلوغة بموجب هذه الرسالة فاننا سنتمكن من أسر عدد كبير من قواته .

ولم اسمع أي شيء من مقر رئيس الوزراء وكنت أبعث اليه الرسائل حال ورودها واعتقد بأنه سر كثيراً بالرسالة الأخيرة ، والآن جاء دور هتلر ليلم شعث امته وأنه يقلد نفس أسلوب شرشل الفريد ، وكان المستر ستيوارت مينزيز يستلم التقارير من وزارة الحرب وجعلني جنباً إلى جنب مع المعركة من جانبنا .

وفي وقت مبكر من مساء ذلك اليوم ، ارسل كلوغة رسالة إلى (ايبرباخ) يخبره فيها بإرسال ثلاث فرق مدرعة والتي بواسطتها يدافع بيأس عن (فاليز) إلى (مورتين) لتعمل وفقاً لأوامر هتلر . ثم استطرد قائلاً يخبر فيها (ايبرباخ) بأن مواصلة هذه الهجمات على (أرفانجز) ، إن كانت فاشلة ، فانها ستؤدي إلى انهيار جبهة نورماندي بأكملها ولكن « اوامر هتلر واضحة جداً ويجب أطاعتها » .

وصلت رسالة كلوغه إلى جميع القادة في وقت متأخر من ذلك المساء ،

في الوقت الذي كانت فيه الفرق الالمانية المدرعة جاهزة تماماً للشروع في هجومها على (مارتين) فبدأ الجنرال (سيموندس) Simonds بهجومه الكندي الشهير في محاولة منه لشق طريقه من خلال الدروع الالمانية التي تحرس الطريق إلى (فاليز) .

وشنت ما يقرب من (١٠٠٠) طائرة من طائرات الحلفاء غاراتها على جانبي الطريق ملقية سدا من القنابل عليها بحيث حاول الكنديون عبثا من الوصول إلى المدينة بيد انها كانت جهودا تدعو للفخر والاعتزاز ، ولكن ، مع الاسف الشديد ، تمكنت الدروع الالمانية من أيقاف هجمات الحلفاء أخيراً وهم على بعد ثمانية اميال من هدفهم .

ولا بد وان قام الجنرال مونتغمري بعمل أفضل بحيث أتاح لدروع الجنرال (ايبرباخ) التقدم إلى الغرب قبل بدء الكنديين هجومهم غير أن اشتراك القاصفات جعل تأجيل الهجوم أمراً غير ممكن من دون شك ، وحينما بدأ الهجوم ، تمكنت احدى الفرق المدرعة الالمانية من الانطلاق نحو (مارتين) وعندما الغى الفون كلوغه بسرعة حركة الفرقتين الاخريين باتجاه الغرب ، وأرسل في منتصف الليل رسالة رمزية إلى هتلر يخبره فيها بأنه لا يمكن شن الهجوم الآن ولكن لا تزال القطعات الالمانية حول (مارتين) تقاتل بجد وبشدة وهي تنتظر قدوم الفرق الالمانية المدرعة والتي لم تصل لحد الآن . واتضح لنا من جميع رسائل (الاسرار فوق العادة) المتداولة بين القيادة الالمانية العليا وبين كلوغه وايبرباخ وهاوزر بأنهم فقدوا السيطرة على الموقف .

ولم يحن موعد انتقال القائد الأعلى لقوة حملة الحلفاء من بورتسماوث إلى كرانفيل Granville الواقعة على الساحل الغربي من شبه جزيرة شيربورغ حتى يوم (٩) آب ، ولكن ، كنتيجة لارسال (الاسرار فوق العادة) كان الجنرال ايزنهاور من قبل متواجداً في مقر الجنرال برادلي وهو يدير العمليات لتطويق الجيوش الالمانية الثلاثة .

كان هتلر على بعد مئات الأميال من الجبهة ، وإن كل ما كان يخشاه

الفـون كلوغـه بـدأ يحدث الآن ، وهتلر مـع ذلـك لا يتبنى كلمـة « لا » للجواب . وكان بعيدا كل البعد كليا عن الحقيقة بحيث أنه ارسـل رسالـة أخرى كجواب لرسالة كلوغه يقول فيها « لقد قمتم بالهجوم الجبهوي في وقت مبكر جداً وكان واهناً جداً ، لذلـك ، يجب شن هجوم جـديد يـوم الحادي عشـر من آب » (انه الآن اخـذ يعـين اليـوم الحقيقي للهجـوم) « يجب شن هجوم هائل بعدة فيالق بقيادة ايبرباخ نفسه » . واجاب الجنرال ايبرباخ نفسه بـأنه لا يمكن شن الهجـوم قبـل يـوم (٢٠) آب . وفي يـوم (١٠) آب أرسـل الفـون كلوغة رسـالة إلى القيـادة الالمانيـة العليا يقـول فيها بـأن الامـريكيـين يتقـدمون شمـالا إلى مدينـة أرجينتان Argentan وأنـه لأول مـرة ينـذر فيهـا القيادة العليا الالمانية بأنه مهدد بالتطويق .

واعتقـد أن هذه الـرسالـة هي احدى الـرسائـل التي توضـح لي الصفة المميزة العظيمة بأن (الاسرار فوق العادة) كانت تسبق عملياتنا .

وكلنا نعلم ما كـان يحدث خـلال الأيام الأربعـة الماضيـة غير أن الأمـر الوحيد الذي كان يعرفه الفون كلوغه هو أن مخاوفه السيئة ستصبـح حقيقة لا محالة .

من العجب أن يكتب الجنرال ايزنهاور بعد الحرب إلى المستر ستيوارت مينزيز بخصوص (الاسرار فوق العادة) مبينا دورها الحاسم في الحرب .

وبينما كانت الرسائل تنطلق بسرعة من وإلى القادة وإلى قادة الحلفاء أيضاً لا لذكر الخـدمة المكـوكية للصنـدوق الأحمر الخـاص ببريـد رئيس الوزراء إلى مكتبـه في داوننك ستـريت ، تجمع أولئـك الاشخاص المشمـولـين في صـورة (الاسرار فوق العادة) في الدائرة حول غـرفة الـطابعة البـرقية إلى أن منعتهم بشـدة السيدة (أوين) وأمـرتهم بالخـروج ، وبقدر علمي لم تقم كـل أقسـام وايت هول بأي عمل ، كما حضرت العاملات في القـوة الجويـة النسائيـة في دائرتي وقمن بالمراقبة وقد طوين أردان قمصانهن حتى المرافق وكان (الوسيط)

في بليجلي يعمل بجد لم يسبق له مثيل ، وربما أثار شهيته من دون شك العدد الهائل ذو المستوى العالي من الرسائل .

وفي وقت مبكر من صباح يوم (١٠) آب ، أرسل الفـون كلوغه رسـالة رمزية أخرى إلى القيادة العليا الالمانية يوصي بها هتلر بوجوب انسحاب الجيش السابع الالماني من (مورتين) ويقوم بصد الهجمات الامريكية من الجنـوب ، وما هي إلا دقائق حتى جاء الرد من القيادة الالمانية العليا تقول ، بما أنك تقر بـأن الهجوم الامـريكي يتطلب عمـلاً سريعـاً ، فأن هتلر لا يـزال يريـد شن هجوم آخر عـلى (ارفانجـز) ، ولاحظنـا أنه لم يـرد هو بنفسـه على الـرسالـة ويظهر أنه كمن صعد فوق شجرة عالية لا يـدري كيف ينزل منهـا ، والآن ، بدأ الجنرال هاوزر بالانسحـاب على الـرغم من رسالـة القيادة الالمـانية العليـا فسحب الجيش السـابع من مـورتين ، ويـظهـر أن أسـطورة هتلر قـد فقـدت مفعولها . ففي (١١) آب ، أبرق الجنرال هاوزر إلى الفون كلوغة يخبره بـأنه فقد (١٠٠) دبابة ثم جاءت رسالة أخرى من الجنرال (ايبرباخ) الذي كان قد تلقى أوامر من كلوغة بأن يبعد التهديد الناجم من هجمات الفيلق الامريكي (١٥) من الجنوب ، يقول فيها (اصبحت اعتدتي ووقـودي نافـذة . وبالنـظر لوجود طائرات الحلفاء ، فلن أستطيـع الحركـة طوال النهـار وأن بعض فرقي هي موجودة بالاسم فقط . وفي الحقيقة لم يشن ايبرباخ هجومه أبداً ، بل أقام خطا دفاعيـا عوضـا عن ذلك حيث لاقى الأمـريكيون صعـوبة شـديدة حينما وصلوا إلى ضـواحي (ارجنتين) يـوم (١٣) آب ، والآن ، هناك ثغـرة بطول (٣٠) ميـلا فقط بين الجيش الكنـدي والامـريكي وهنـاك أيضـاً في (جيب فاليز) في الغرب ، كل قوات الجيش الالماني السابع والجيش المـدرع الخامس الـذي يـأخـذ في الانكمـاش نتيجـة لضغط الجيش الامـريكي الأول والجيش البريطاني الثـاني على هـذا الجيب . ولقد أنـذر هذان الجيشـان الفون كلوغـه برسائل رمزية وقالا له بأنه إن لم ينسحب الجيش من الجبهة فورا فعلى جحفل الجيش أن يمحي هذين الجيشين من حسابه .

ولا بد أن هذه الرسالة التي كرروها إلى القيادة الالمانية العليا قد أعطت (يودل) بضع دقائق ليظهر فيها براعته مع هتلر ، كيف يمكن لاستراتيجية هتلر الملهمة أن تكون خاطئة .

عرفنا أن كل ما بقي من دروع الجنرال (أيبرباخ) إنما هي في الحقيقة دروع لا قابلية لها للحركة لأنه يعاني من نقص في الوقود والعتاد ، وتبين لنا أنه بامكان الجيش الامريكي أن يسد هذه الفجوة ، وفي هذا الوقت الشديد التوتر من يوم (١٣) آب الذي لم اتمكن فيه من الحصول على المعلومات من جانبنا عن سير العمليات سألت المستر مينزيز عن الاحداث الجارية ، فابتسم ابتسامة تدل على التملص ، ويبدو أن وزارة الطيران هي الاخرى لا تعرف شيئاً عن الاحداث الجارية ، لذلك اتصلت بالكوخ (٣) هاتفياً في بليجلي فلم يستطع بيان الاحداث الجارية أبداً ، والكل ينتظر تقرير الجنرال أيبرباخ عن المعركة في (ارجينتان) مع الامريكيين ، ولكن لم نحصل على أي شيء ، ثم مضت فترة طويلة وسمعت القصة من الامريكيين .

كان الجنرال هيسلب Haislp يتهيأ للقيام بالهجوم بفيلقه (١٥) باتجاه الشمال لاحتلال (ارجينتان) ثم جاءته رسالة من برادلي في هذا الوقت تماماً تخبره بالتوقف وعدم القيام بالتعرض بل يجب عليه أن يتخذ مواضع دفاعية يسد فيها الطرق على العدو ثم ينتظر أوامر أخرى ، وقد احتار (هيسلب) وبدأ يفكر لعله يجد السبب لذلك وأخذ يحدث نفسه قائلاً ، حتى إذا لم يستطع الجنرال مونتغمري التقدم من الشمال لسد الثغرة ، فما الذي حدث ليوقف تقدم برادلي من الجنوب لسد هذه الثغرة ؟ فالمعروف من خطة السيد الاعظم بأنه قد جرى رسم خط يفصل مناطق العمليات ويقسمها بين القوات الامريكية والبريطانية ويمر هذا الخط من (ارجينتان) والذي يعني في الحالات الاعتيادية بأن يعطي الجنرال مونتغمري أذناً للجنرال برادلي باجتياز هذا الخط من الجنوب . ولما كان الجنرال ايزنهاور مع برادلي ، فمن غير شك ، انه نصح برادلي بأن يتمسك بما تم الاتفاق عليه وأن لا يجتاز الخط حتى يقترح

مونتغمري ذلك . وانني لا اعتقد بان كليهما قد فكر بان الجنرال مونتغمري سيفشل بهذا العمل . فانتظر برادلي مدة (٢٤) ساعة وهي من الساعات الحيوية .

وفي يوم (١٤) آب شن الكنديون هجوماً جديداً على (فاليز) فاصبحوا هذه المرة على بعد ثلاثة أميال من المدينة وبقي هناك (١٥) ميلاً يفصل بين جيوش الحلفاء . وبدا الموقف لنا ، نحن في لندن ، كأنه غير واقعي بالنسبة للرسالة التي وردت من هتلر بهذا الخصوص تقول (أن الموقف الحالي في مؤخرة جحفل الجيش هو نتيجة لفشل الهجوم في ارفنجز . يجب شن هجوم آخر) . وبوسعي أن افترض بأن كلا من الجنرال كايتل ويودل كانا في أشد الخوف ليقولا الحقيقة لهتلر سواء من ناحية موقف جحفل جيش الفون كلوغه وعن حالة تسليحه المحفوفة بالخطر : وربما حدثت أمور كثيرة فيما بعد بحيث جعلتهم يتعرضون للخطر ويغيرون الياخة المخملية ويرتدون الروب . (أي أنهم وقعوا بالأسر) .

وبدت الأمور بالنسبة لنا ، نحن الذين كنا نتمعن في رسائل هتلر دائماً بأمنية دقيقة لعلنا نجد ما يشير إلى انهيار نفسي على الرغم من رجوعه الى الثقة بالنفس لايامه الأولى بعد حادثة راستنبيرغ في (٢٠) تموز ، من ان المراحل الاخيرة من معركة (فاليز) قد عززت انطباعاتنا مرة أخرى عن ضعفه في اتخاذ القرارات واخفافه فيها أو أنه على اكثر احتمالاً لا يرغب في مواجهة الحقيقية .

وبعد الانتظار غير المجدي لفترة (٢٤) ساعة أمر (برادلي) الجنرال باتون بأن يترك نصف الفيلق (١٥) في اجرينتان ويرسل البقية بسرعة باتجاه الشرق إلى نهر السين لكي يوقعوا الجيوش الالمانية في الفخ هناك إذا تمكنوا الآن من الاندفاع من جيب فاليز ، وفي غضون ذلك يتقدم الفيلق الامريكي (١٢) والفيلق الامريكي (٢٠) من الجيش الامريكي الثالث بقيادة الجنرال باتون بسرعة باتجاه الشرق .

واننا نعرف الآن بأن الفون كلوغه ذهب في اليوم التالي أي يوم (١٥) آب إلى داخل جيب فاليز ليتحدث مع الجنرال هاوزر والجنرال أيبرباخ وضاع هناك ، وأننا خمنا فقط بأن شيئاً ما قد حدث له ، وذلك حينما لم يرد الجواب لرسائل الجيش السابع ثم حينما وردت رسالة فيما بعد من مقر الفون كلوغه يستفسرون فيها من الجيش السابع عما حدث لفون كلوغه ، وكان الجيش الامريكي الأول والجيش البريطاني الثاني يضغطان على هذا الجيب ليقضيا عليه حينما توقفت الجيوش الالمانية الواقعة في الفخ عن التقدم على الطرق المزدحمة وتشتتت مع عجلاتها المحطمة وجنودها القتلى .

أرسلت رسالة الى هتلر يخبرونه فيها عن اختفاء الفون كلوغه فأرسل هتلر مساء رسالة يعين فيها الجنرال هاوزر كقائد عام بصورة مؤقتة في الغرب ويأمره فيها بتدمير القوات الامريكية بالقرب من (ارجينتان) والتي تهدد بتطويق الجيوش الالمانية الثلاثة ، وهكذا سقطت العملة أخيراً ، والمرء يعجب فيما إذا كان لهاوزر الوقت لقراءة هذه الرسالة لأنها لا تهم كثيراً ، ففي يوم (١٦) آب ظهر الفون كلوغه وظهر اسمه مرة أخرى ثم عرفنا بعدئذ بأنه قد أمضى نهاره في حفرة ومعه جهاز لاسلكي محطم وبعث الآن رسالة إلى القيادة الالمانية العليا يوصيهم فيها باجراء الانسحاب الفوري لجميع القوات من جيب ارجينتان/فاليز . وأستطرد قائلاً في رسالته أن التردد في قبول توصياته سيسبب تطورات مخيفة) .

ولقد اضاع جحفل الجيش (ب) الالماني يوماً مهماً قد ينقذ فيه بعضاً من قواته لفترة ما من الزمن نتيجة للقواعد الصارمة في الحصول على أذن من هتلر لكل عملية انسحاب فضلاً عن أوامر هتلر الخيالية وغير الواقعية ، لأن الكنديين أحتلوا اخيراً (فاليز) يوم (١٦) آب وهي عبارة عن كوم من الانقاض وعند ذلك اقترح مونتغمري على برادلي بان يسدا الجيب بالتقائهما في منتصف الطريق بين فاليز وأرجينتان .

وقام الجنرال ايبرباخ يوم (١٦) آب ليلاً بمحاولة يائسة لطرد الامريكيين

من (أرجينتان) لكي يجعل الممر واسعاً يتيح المجال لهروب الفيالق السبعة الالمانية الواقعة في الفخ ، وكان هذا الممر لا يزال بعرض (١٥) ميلاً فبدأ الهرب من الجيب بعد حلول الظلام .

وبما أن الفوهرر لا يمكن أن يخطىء، فقد وضع اللوم على الفون كلوغه لذلك ارسلوا رسالة الى كلوغه ذلك اليوم يخبرونه فيها بأن الجنرال (مودل Model) قد تولى قيادة الجيوش في الغرب . ولا بد وأن ادرك كلوغه بأن ذلك انما هو النهاية المحتومة لاستراتيجية هتلر الجنونية ، وانني اتصور ايضاً بأنه كان متعباً ومتحرراً من الوهم بالتأكيد . وهناك شيء من الشك من قبلنا بأن (الأسرار فوق العادة) كانت من السابق مسؤولة عن النصر الهائل .

وفي يوم (١٥) آب بدأ الحلفاء ينفذون عمليتهم المسماة (عملية السندان) وهي غزو جنوب فرنسا من قبل القوات الامريكية والقوات الفرنسية المقاتلة ثم وردت رسالة من هتلر يوم (١٧) آب إلى جحفل الجيش (ز) التي كانت تغطي النصف الجنوبي من فرنسا تخبرهم فيها بأن يتخلوا عن القسم الجنوبي من فرنسا وينسحبوا باتجاه الشمال إلى نهر السين . وفي يوم (١٨) آب أحتل الكنديون قرية (طرون Trun) ، تلك القرية التي اقترحها مونتغمري كنقطة التقاء مع الامريكيين والذين كانوا هم انفسهم بالقرب من قرية (شامبوا Chambois) التي تبعد مقدار بضعة اميال تماماً وفي يوم (١٩) آب ليلاً بدأ الاف الجنود الالمان الواقعين في الفخ بالتسلل خلسة من هذا الممر بالرغم من كونها ليلة شديدة الامطار ووجود الضباب الصباحي المبكر .

وحينما زال الضباب في صباح يوم (٢٠) آب كان الممر لا يزال مليئاً بالجنود الهاربين ، وفي منتصف الليل من يوم (٢٠) آب تم سد الممر نهائياً وبهذا اصبح من المتعذر الخروج من الجيب .

وفي وقت لاحق اتيح المجال لمعرفة الملاحظات القاسية التي ابداها الجنرال باتون إلى برادلي حول مونتغمري ولكن حتى في ذلك الوقت كانت

هناك بضعة اسئلة في لندن بخصوص لماذا لم يحاول الجنرال باتون سد الثغرة من الجنوب ؟ انها قصة ملحمية .

إن رسائل (الأسرار فوق العادة) المتداولة بين هتلر وفون كلوغه التي آلت الى معركة (فاليز) وتدمير جزء كبير من الجيش الالماني في الغرب انما هي من أعظم الانتصارات (للأسرار فوق العادة) إذ كان الرجال القابعون في الغرف الخلفية في بليجلي من الرجال الممتازين .

انها بداية النهاية للحرب في الغرب بالنسبة لهتلر ، على الرغم من الحقيقة القائلة بأن مقدار (٢٠ ـ ٣٠) الف جندي تقريباً قد هربوا باتجاه الشرق ومعظمهم من جنود الدروع المحترفين .

وبالنسبة إلى الفون كلوغه فإنها كانت النهاية . ولقد كتب رسالة إلى هتلر حيث عثرنا عليها بعد الحرب . وفيها يخبر هتلر بالحقائق الصادقة ويعلن أن مفهوم العمليات الجريئة والعظيمة التي أصدرها هو غير عملي ولا يمكن تطبيقه ، انها تضم تعيراً لطيفاً جديرة بخلفيات فيلق الضباط .

وفي يوم (١٩) آب ليلاً ، رحل المارشال كلوغه الذي تجاسر على انتقاد أوامر هتلر إلى المانيا ولكنه لم يصلها أبداً حيث انتحر وهو في طريقه إليها .



الباب السابع عشر

بداية النهاية

لقد القت عملية السيد الاعظم الـظل ايضاً عـلى سقوط رومـا في (٤) حـزيران ولكن ، ولـو أن رئيس الوزراء ركـز كل اهتمـامه الآن بثبـات عـلى عملية السيد الأعظم ، إلا أن الرسائل بـدأت تنهال بـاستمرار عـلى القادة في ايـطاليا . فـالجنرال كيسلرنـغ الذي سحب قـواته من رومـا وضـع جيشـه في موضع خطير جداً مع ثغرة واسعة تفصل بـين الجيشين ، وكـانت رسائله التي نطلع عليها تدلنا على أنه يلاقي المصاعب خـلال الانسحاب وكـان هو وقـادة جيوشه يخشون كثيراً حول ما إذا كان الحلفاء سيهاجمون أجنحتـه المكشوفـة أم لا .

وأبرق كيسلرنغ إلى هتلر تقديره للموقف حيث بين بأنه يحاول أن يجري انسحـاباً منسقـاً إلى خط البيرت وأخيـراً إلى خط غـوت Gothic line الـذي يجري تحصينه الآن ، ومن الواضح أن خط البيرت هو موضع مؤقت ويقع في منتصف الطريق من روما إلى خط غوت الواقع في الشمال . ولقد تكبد جيشه الرابع عشر خسائر حقيقية بفقدانه ثلاث فرق مشاة بينما كانت الفرق الاخرى بنصف قوتها ، وكانت الخسائر في المواد عـالية جـداً وأن انسحابهم عـلى طول الطريق الساحلي يجري بصعوبة كبيرة .

وبالرغم من كل هذه المعلومات عن المتاعب الالمانية ، لم يتقدم الجنرال مارك كلارك ، الموجود حالياً في روما ، بجيشه الخـامس بعد انسحـاب العدو وأنه أضاع الفرصة ليس في اكتساح الجيش الالماني (١٤) فقط فحسب بل إنما

في تطويق الجيش العاشر أيضاً وذلك وفقاً لما جاء في رسالة الجنرال فيتنكهوف Vietinghoff الخائف جداً المرسلة إلى الجنرال كيسلرنغ وكان هذا بالطبع تقدير الموقف من وجهة نظر العدو المنسحب ولكن مرة أخرى تخلص كيسلرنغ واعترف أيضاً في رسالة بعثها إلى القيادة الالمانية العليا يقول فيها : لو أن الجيش الامريكي الخامس ركز هجومه على إلتقاء الجيشين لتمكن من تمزيق الجبهة الالمانية .

أما خط غوت الذي يجري انسحابه اليه فإنه مانع حصين ومستند بشكل رئيسي على جبال أبنين Apennine الذي يمتد تقريباً من الغرب الى الشرق عبر شمال ايطاليا . وعلمنا من (الاسرار فوق العادة) مقدار التحصينات التي أمرت القيادة الالمانية العليا بتشييدها هناك ، كما نعلم أيضاً بأنه طالما استخدموا في تشييدها عمالاً ايطاليين اجبروا على العمل فإن النتيجة النهائية لن تكون منيعة جداً .

وعلى سلسلة الجبال عدد قليل من الممرات وفي نهايتها الشرقية المستنقعات والبحيرات مما يجعل الهجوم أمراً عسيراً .

ومن حسن حظنا أن تبين رسائل كيسلرنغ الاماكن البارزة لالتقاء الجيشين حيث شن مارك كلارك هجومه الرئيسي على هذا المكان .

واستلمنا يوم (٨) أيلول رسالة هتلر الاعتيادية يذكر فيها بأن ممر فوتا Futa وهو أحد الممرات القليلة في سلسلة جبال (أبنين) التي (يجب مسكها إلى آخر جندي وآخر اطلاقة) ، ولقد هجم مارك كلارك خلال ممر اخر وتجنب ممر (فوتا) على أساس رسالة (الاسرار فوق العادة) ويقع ذلك الممر على بعد قليل شرق ممر (فوتا) وذلك يوم (١٠) أيلول وتمكن الجيش الامريكي الخامس بعد قتال مرير من اختراق الممر والاندفاع نحو المنحدرات الشمالية للجبال المشرفة على سهول لومباردي Lombardy العظيمة وعلى نهر بو Po وأنتهت المعارك الايطالية فعلاً لأن (الأسرار فوق العادة) قد عينت الاماكن الضعيفة في المواضع الدفاعية على جبال (أبنين) حيث استجاب

مارك كلارك لهذه المعلومات وعمل على ضوئها في تحركه .

أما في فرنسا فإن السباق الى المانيا كان قائماً على قدم وساق .

وبعد أن اجتاز الجنرال (مودل) نهر الراين ومعه ما تبقى من جيوشه المنسحبة أبرق إلى القيادة الالمانية العليا يخبرها فيها بأن جيوشه ، كانت في السابق ، تتجمع في ثلاثة أرتال والتمس باسلوب ، يثير العواطف طلباً بالحصول على (٣٠) فرقة مشاة جديدة و(١٢) فرقة مدرعة جديدة كما طلب تأمين ضباط ركن جدد لمقر الجيش والفيلق تعويضاً عن خسائره ، ومن الصعب جداً أن نعرف العدد الذي سيحصل عليه من الوحدات الجديدة حقيقة .

ولقد أدت رسائل مودل الى بعض النتائج لأن القيادة الالمانية العليا أمرت بارسال بضع مئات من أفواج الحصون والتي تتكون غالبيتها من الجنود غير الصالحين للخدمة ومن كبار السن ومن المشوهين الى الجبهة ، وذكرتني هذه الرسالة بذكرياتي المبهجة في معسكر الأسر في سيليسيا Silesia عندما كان كبار السن من الجرحى يقومون بحراستنا والذين حولوا للعمل في وحدات فعالة مرة أخرى وذلك في شهر تشرين الأول من عام ١٩١٨ . وكان ذلك منظراً يدعو للاشفاق ، وكان هناك رجل كبير السن يساعدنا نحن الاسرى وأعطيته الحلوى والصابون وكاد يبكي حينما كان يمزق وسام الصليب الحديدي الذي يحمله ويضعه في يدي . كما أبرقت القيادة الالمانية العليا هي الاخرى إلى كيسلرنغ تأمره فيها بارسال فرقتين من ايطاليا ، وفي اليوم التالي أصدروا أمراً بالحصول على كل الأفراد غير المقاتلين لكي يشكلوا منهم (٢٥) فرقة جديدة .

والآن ، وجب على غورنغ المستاء أن يتخلى عن جنود قوته الجوية ، ولقد سرنا أن نسمع منه مرة أخرى .

وبالرغم من جميع الاجراءات المتخذة من قبل القيادة الالمانية العليا فإن

هتلر نفسه كان لا يعلم شيئاً عن الموقف الحقيقي تماماً . فأرسل رسائل مكتوبة بشكل مفصل إلى جميع القيادات يأمرهم فيها ببناء ومسك مواضع دفاعية خلف نهر السوم ونهر المارن Somme/Marne .

طرت إلى فرنسا لأن المستر روبرت غوربراون قد انزعج بسبب ادخال رسائل كثيرة من (الأسرار فوق العادة) من قبل بعض وحدات الاستخبارات الامريكية في خلاصة استخباراتهم بحيث سببت اجراء توزيع واسع النطاق . ولاظهار مقدار ما يعرفونه يتطلب القيام باغراء عظيم تماماً فاقترح علي المستر روبرت بأن نقوم بزيارة مختلف المقرات لعلها تقوي الأمور الامنية . وما أردنا أن نقوض أسرارنا في هذه المرحلة التي تلوح لاعيننا بأنها نهاية الحرب في الغرب ، لأن هناك لا تزال حروب في المحيط الهادي وتكون (الأسرار فوق العادة) ذات فائدة خاصة هناك .

وقررت الذهاب مباشرة إلى الجنرال برادلي واخباره وضابط ركنه الثاني باني اقترحت زيارة مقر جيشه ، وبنفس الوقت ، الطلب من الجنرال (سيبرت Siebert) ان يراقب بعناية موضوع ادخال (الأسرار فوق العادة) بأسره في الخلاصات السرية للغاية .

وسرنا أن نجد برادلي أكثر ثقة وأقل قلقاً من الاشخاص الذين رأيتهم بالقرب من شواطىء (أوهاما) . فشكرني على الجهود القيمة التي فيها ساعدت (الأسرار فوق العادة) في سد جيب فاليز ، وأعطاني الجنرال (سيبرت) أحداثية على الخارطة حيث يأمل أن اتمكن من أن أجد هناك الجنرال باتون .

ومن الواضح أن الجنرال باتون كان مع عناصر قوته فسرنا نبحث عنه ونتعقب سيره طول النهار وعبرنا مجموعة كبيرة من الدبابات الامريكية وهي متوقفة بسبب نفاذ الوقود ، وكان أفراد طوائف هذه الدبابات مستلقين على الأرض بجانب الطريق يأخذون أقساطاً من الراحة ، والتي هم في أشد الحاجة إليها ، وبعد بضعة أيام ، كانوا محظوظين حينما استولوا على جزء من

قطار محمل بالوقـود متروك لكنـه لم يكفهم لمدة طـويلة . وفي وقت متأخـر من عصر ذلك اليـوم ، وبعد استفسـارات عديـدة من ضابط الـركن الأول المرح وجدنا أخيراً طريقاً أثرياً يؤدي إلى غابة بحيث تنطبق عليه احداثيـة الخريـطة التي زودنا بها الجنـرال (سيبرت) وعـرفنا أن الجنـرال باتـون يقضي الليل في هذا المكان كما اخبرنا بذلك سائق البولدوزر الذي كان واجبه توسيـع الطريق في الغابة لمجيء الكرافانات اليها .

وكان أفراد طائفة البولدوزر على حق ، وكان جنـود باتـون قد أستـولوا على حمل قطار مكون من شراب الشمبانيا في المحطة المحلية .

إنهم يستحقون كل قطرة من الوقود لأنهم سيبقون بـدون عمل منـذ أن تـركوا (ارفـانجز) في نـورمانـدي ، وكان لـدى بعضهم فكرة الحصـول على بعض الوقود من السكان المحليين مثلما كان يفعل الفرنسيون الـطيبون الـذين كـانوا يحصلون عـلى الوقـود لعـدة سنـوات ويخـزنـونها وانهم الآن مستعـدون لاستبـدال كـل لـتر منهـا بلتر من شـراب Veuve Cliquot ، يجب أن تسـير الدبابات على الطريق ثانية عند طلوع الفجر على الاقل لعدة اميال أخرى .

كان الجنرال باتون في حالة كحالة العطلة وقال : « والآن ، قـل لي أيها الشـاب أي شيء افضل من هـذا » ومـا يعنيـه بكلمـة « هـذا » هـو اسلوبـه الحربي ، ثم سأل : أين هم الالمان فاخبرته بأنه على ما يبـدو أنهم في طريقهم إلى خط سيفغـريد وأنهم يسيـرون بأسـرع ما يستـطيعون . فـوافقني وقـال : « أحاول أن أصل هناك قبلهم ، إذا تمكنت من الحصول عـلى بعض الوقـود » فنـزع خوذتـه الفولاذيـة ومال بجسمـه الى الخلف على كـرسيه في هيئـة مميـزة واضعاً يديه مشتبكتين تحت رأسه ، كان مسروراً ومسترخياً بينما كـان ينظر إلى الخـارج خلال نـافذة كـرافانـه القابـع على حـافة غابـة صغيرة والتي لا يمكن الدخول اليها ، وأنا أيضاً نظرت إلى الخـارج عبر الحقـول الخضراء الصغيـرة من حقول فرنسا نحو قرية قريبة حيث يتهيأ المزارعون للخروج للعمل وكانت أجـراس الكنيسة تعلن رسـالة المسـاء ، ما أسـرع حلول الحريـة والسـلام في

ربـوع هذه القـرية مـرة أخرى ، وأجبت بـاتون بمـا فيـه الكفـايـة ثم قـال : « بالتأكيد ، ولكن علينا أن نتعقبهم » .

واستلمنا بعد مضي بضعة أيام من وصولي إلى لندن قـرار هتلر الصادر إلى جيـوشه في الغـرب المتضمن (وجوب احتـلال مواضـع دفاعيـة امام خط سيفغـريد والبقـاء فيهـا اطـول مـدة ممكنـة ثم اشغـال خط سيفغـريـد نفسـه بعدئذ) .

ومن الواضح أن يودل قد أشر أخيراً على خريطته المواضع الصحيحة . ثم وردت رسالة هتلر المتضمنة صيحة المعركة الاولى يقول فيها : « عـلى جميع الجنود الالمان في موانىء القنال الانكليزي وفي حصون شيلدت أن يقـاتلوا إلى آخر جندي » ثم واصـل قائـلاً بأنـه يجب تشكيل مقـرات جديـدة في هولنـدة ليهرع جميع الجنود من أي صنف كان إليها ويجب أيضاً اعـادة تشكيل الجيش المـدرع الخامس بفـرقتين من ايـطاليا ويجب أيضـاً القيام بهجـوم معاكس أزاء الجيش الامريكي الثالث .

وبالرغم من كل ما استلمناه من الرسـائل التي لا معنى لهـا من هتلر في الآونة الأخيرة ، لا بد أنها مهمة بالنسبة للجنـرال مونتغمـري وبرادلي ، فهي حذرت مونتغمري بانه لا بد وأن تكون هناك قطعات المـانية في هـولندة وكـما أنذرت برادلي وباتون بمراقبة الهجوم الالماني .

وهذه هي الناحية التي دعت هتلر إلى اعادة رونشتاد إلى منصبه السـابق كقائد عام في الغرب ، وأن اعادة رونشتاد إلى منصبه إنما تـدل على مقـدار ما يحتاج إليه هتلر من اعادة الثقة في الجيش وفي الأمة ككل . ومرة أخرى يعـود هتلر ويعتمد على الجندي العجوز ذي الرأي الصائب والسديد .

الباب الثامن عشر

ارنهيم

في أوائل شهر أيلول كانت الفرقة البريطانية المدرعة في أنتفريب في هولندا ، وكان الجنرال مونتغمري يطلب من الجنرال ايزنهاور بالحاح أن يسمح له بالتقدم عبر هولندا لكي يعبر نهر الراين طالما لا يزال الالمان قد فقدوا إتوازنهم ، لكن الجنرال أيزنهاور كان يدرك تماما ويفكر في ايجاد مكان يتمكن منه تموين جميع جبهة الحلفاء واعتبر التقدم بالقوات إلى مسافة أبعد أمرا حرجا للغاية ، واننا لا نزال محرومين من الاستفادة من الموانىء الملائمة المتواجدة على ساحل القنال الانكليزي لأنها لا تزال بأيدي الالمان لذلك يجب جلب كل الوقود ومواد التموين من مسافة مئات الاميال من نورماندي ، وعلى أية حال ، كان العدو يلم شعثه بسرعة اكثر مما يظنه كل فرد .

ومع ذلك ، وافق أخيراً الجنرال ايزنهاور على خطة مونتغمري المتضمنة شن الهجوم بقوات مدرعة وقوات محمولة جواً عبر هولندا للاستيلاء على رأس الجسر على نهر الراين والاحاطة بالمواضع الدفاعية الالمانية ، إنها فكرة جريئة ولكن كثيرين من الناس، كانوا يشعرون بأن هناك شيئاً من التقدير الاقل من الحقيقة عن المقاومة العنيدة التي ستظهر الآن من الوحدات الألمانية المشكلة حديثاً والتي سيتم اشغالها بكل ما يتيسر من الرجال والصبيان الذين لم يسبق لهم الاشتراك في الجبهة ، وانتقد الجنرال برادلي الخطة واستنتج من تفسير مونتغمري بأنها بمثابة نقطة انطلاق إلى (الهجوم القوي والفعال إلى قلب المانيا) مضمون انتقاده حيث قال بانها ستكون (تقدماً ملحوظاً لمسافة (٦٠)

ميلا على الجانب العلوي من ممر الرايخ) .

ولقد حقق مونتغمري بعض ما اراد ، وهناك ضغط كبير لاستخدام المظليين البريطانيين والامريكيين المدربين تدريبا عاليا جدا والذين يتحلون بطاقة لا حدود لها والذين اصبحوا قلقين نوعا ما خشية استخدامهم في دور المشاة كما حدث للفيلق المظلي الالماني .

والتجارب مع (الأسرار فوق العادة) اظهرت لنا بأنه مهما كان تدريب قطعات المظليين عاليا فان القيام بهبوط دقيق ومركز ليلا أمر في غاية الصعوبة ، كما علمنا أيضا عدم تيسر طائرات كافية لالقائهم مرة واحدة وهذا يعني أن القاء المظليين البريطانيين سيتم على ثلاث رفعات جوية ، ولغرض التغلب على عدم الدقة في القاء المظليين أصبح الالقاء في النهار أمرا مقبولا في النهاية ، ولما استشرنا طائفة قيادة القاصفات في هذا الخصوص ، بينوا لنا بأن قوة نيران مدافع مقاومة الطائرات شديدة في تلك المنطقة الخاصة كما كان ذلك ينسجم مع الغارات التي تشنها قاصفاتنا على المانيا .

ومع ذلك ، بوشر باعداد الخطط بسرعة على الرغم من احتجاجات الجنرال ديمبسي قائد الجيش البريطاني الثاني الذي يتحلى بالهدوء والكفاءة ، والذي كان على صواب حينما شك في جدواها .

بهذا الشكل كانت الخلفية التي بازائها يجب أن نسهم ونوفر بعض المعلومات فيما يتعلق بما سيواجه الهجوم المحمول جوا في طريق المقاومة وعما اذا كان عامل المباغتة الضروري سيتضاءل ، وكان علينا أن نحصل على الشيء القليل من (الاسرار فوق العادة) عدا ما نعرفه عن أن هولندا ستكون نقطة تجمع لجيوش (مودل) ، ومن ناحية أخرى ، هناك عدد قليل من الرسائل الرمزية تصدر من هولندا ، ولكن هناك مصادر أخرى من المعلومات ، أننا نملك عميلا أو عميلين جيدين في هولندا يتمكنان من حين لآخر من اخباره عن تنقلات القطعات .

ومن سوء الحظ ، أن نعرف بأن النازيين قد اخترقوا المقاومة الهولندية بوجه عام مما أضطر مصلحة الاستخبارات السرية إلى أن تحذر مدير العمليات الخاصة والمتشكلة لمساعدة حركات المقاومة في القارة الاوروبية بأن كثيرا من الاسلحة التي يلقونها في هولندا تذهب إلى أيدي النازيين وبالرغم من هذا ، فقد قرر مدير العمليات الخاصة القاء رزمة كبيرة جدا من الاسلحة لمساعدة المقاومة في العملية القادمة .

وكان هذا العمل من وجهة نظر مصلحة الاستخبارات السرية ، على أكثر احتمال ، من شأنه أن ينبه النازيين بأن شيئا ما سيحدث ، وكان نفس الشخص الذي نتصل به في هولندا ، والذي زودنا بمعلومات عن تنقل القطعات ، نصحنا قبل مدة من الزمن بأن هولندا قد استخدمت كمنطقة استراحة واعادة تجهيز للتشكيلات العائدة من الجبهة الشرقية وهذه المعلومات هي تماما كما جاءت برسالة الجنرال رونشتاد حول الفرق في فرنسا قبل البدء بعملية السيد الاعظم ، وأخيرا استلمت استخبارات مقر القائد الأعلى المعلومات بأن قطعات الفرقتين المدرعتين التاسعة والعاشرة التي تخلصت من جيب (فاليز) في نورماندي هي الآن في هذه المنطقة تنتظر وصول التجهيزات والاسلحة الجديدة ، وقد أكد لنا اصدقاؤ نا من هولندا هذه المعلومات والذين أخبرونا بأنهم شاهدوا قسما من الفرقة المدرعة التاسعة (اس . اس) حول (أرنهيم) يوم (١٥) أيلول ، ويبدو أن المنطقة ليست خالية تماما من القطعات الالمانية وأن اصلبها هناك كما أعلن عن ذلك جحفل الجيش (٢١) متفائلا .

ولكي نكمل صورة الاستخبارات بشكل اكثر نقول بأنه تم ادخال أحد العملاء من مصلحة الاستخبارات السرية الهولندية ، وهي جزء من بعثة الحكومة الهولندية في زمن الحرب في انكلترا ، قبل معركة أرنهيم تماما ، وكان هذا الشخص في الحقيقة ، عميلا سريا نازيا هولنديا وأنه كان يعرف من غير شك بالعملية القادمة في هولندا وكان الموقف دقيقا ومن اخطر المواقف التي

عرفها جحفل الجيش (٢١) .

وبعد أن تم القرار على أن تقوم بهذه العملية فرق مظلية أمريكيـة وأراد اللواء المـظلي لبولنـدا الاشتراك هـو الآخر في العمليـة ، بهذه الصـورة بدأت عملية (حديقة السوق) يوم (١٧) أيلول حيث اقلعت من مطارات بريطانيا ما يقرب من (١٥٠٠) طائرة مع (٥٠٠) زلاقة .

وتضمنت الخطة احتلال القطعات المـظلية الجسـور الواقعـة على مختلف القنوات والأنهر في هولندا ثم أخيرا احتـلال الجسر الـواقع عـلى نهر الراين في أرنهيم وهو المفتاح لكل اختراق محتمل إلى منطقة الروهر .

ويجب أن تشن القوات المدرعة البريطانية هجومها بعـد هجوم المـظليين وترصن الجسور المستولى عليها .

واصبحت معركة الجسور الرئيسية قصة ملحميـة ، وأن وجود قـطعات المـانية كثيـرة في المنطقـة تثبت أنها صحيحة جـدا ، وكانت المقـاومة الالمـانيـة شديدة للغاية وفورية وأثبتت جدارتها أزاء الوحدات المظلية للحلفاء وقد سقط في أرنهيم وحدها ، دون أن يحتلوا الجسر ، (١٢٠٠) جندي مظلي قتيل وتم أسر (٣٠٠٠) جندي مظلي ، وفي يوم (٢٥) أيلول ، بعد قتال جريء دام ثمانية أيام ، دون جدوى تم اخلاء البقية الباقية من القطعات المظلية .

وعـرفنا الآن بـأن (مودل) أخـذ على حـين غفلة وهو في فنـدقه حينـما جاءت طائرات الحلفاء فوقه ، ومن جهة أخرى ، يبدو كما لو أن الجنرال ويلي بيتريخ WILLI BITTRICH قائد الفيلق المدرع الثاني (اس . اس) والذي كان يعيد تنظيم وتدريب جنود الفرقتـين المدرعتـين واللتين تمكنتـا من الخروج من الفخ في جيب فاليز وتشمل (٨٠٠٠) جندي غير بارع من أولئك الجنـود الذين عركتهم المعارك وكانـوا يقاتلون بحمـاس في منطقـة أرنهيم ، ويقول في رسالته التي ارسلها أخيرا إلى هتلر (أننا على أتم استعداد للقضاء عليهم قبـل أن تلمس اقدام البريطانيين الارض) يبدو وكأنه كان يتوقع قدومهم .

وفي الحقيقة ، كانت المنطقة تبدو وكأنها مليئة بالقطعات الالمانية ، وكان الجنرال ستودنت Student) هناك يجمع ويعيد تنظيم جيشه المظلي ، ويبدو ، أن هناك احتمالا بأن تصبح هذه المنطقة التي ذكرها هتلر في رسائله الاولى منطقة تضم مقرات الجيش المدرع المعاد تشكيله ، ومن باب السخرية ، ومن وجهة نظر مونتغمري ، يعود الفضل في نجاح خطته المحدودة بشكل رئيسي إلى جنود الفرق المدرعة (أس . أس) المتهشمة الذين أتيحت لهم فرصة الهروب من جيب فاليز ، وفي غضون ذلك كان المستر شرشل قد سافر إلى كيوبيك وأحمد الله على سفره لأنه كان يتوقع بالتأكيد معلومات من (الأسرار فوق العادة) حول عملية أرنهيم التي لم تكن مستعدة لتقديم المعلومات .

وتعتبر عملية أرنهيم مع ما فيها من مآسي عملية غير فاشلة تماما ، لأن المظليين تمكنوا من احتلال بعض الجسور الواقعة فوق عدد من الأنهار الجارية عبر هولندا نحو البحر وتبددت الفكرة القائلة بأن العدو قد انهزم وأصيب بالارتباك .

وكان البريطانيون والكنديون منهمكين طوال شهر أيلول في تطهير الموانىء الواقعة على القنال الانكليزي ، ولقد كرر هتلر الرسالة الاعتيادية إلى هذه الموانىء بأن يعتبروا أنفسهم حصونا يجب الدفاع عنها لآخر جندي ، ومن حسن الحظ أنه بعث برسالته هذه إلى ميناء (دييب) بوقت متأخر ولذلك لم يجد الكنديون أية مقاومة فيها ولكن كانت المقاومة عنيفة جدا في الموانىء الاخرى .



الباب التاسع عشر

الحرب اليابانية

عندما عدنا من كيوبك كان المستر شرشل يفكر بشكل واضح في السلم كما كان المستر روزفلت يفكر في نفس الموضوع ايضاً وبدأت اهتمامات المستر شرشل تقل في (الأسرار فوق العادة) في الغرب ، ولكن وجب علي أن أزوده بمجمل موقف (الأسرار فوق العادة) في قيادة جنوب شرق آسيا .

وهناك عدة اسئلة يجب الاجابة عليها بالنسبة إلى توزيع (الأسرار فوق العادة) في نصف الكرة الشرقي والآن ، شهر تشرين الأول ، لاحت لي الأمور كما لو أنني سأستطيع الابتعاد لفترة ما وعلى أية حال ، كان المستر شرشل على موعد للذهاب إلى موسكو خلال النصف الأول من شهر تشرين الأول ، وكنت قد أرسلت في عام ١٩٤٣ الرائد الطيار (جون سترايب) John Stripe إلى الهند لتنظيم تأمين (الأسرار فوق العادة) إلى القائد العام في الهند في دلهي والقائد العام للجيش الرابع عشر الذي كان قد تحرك إلى (كاندي Kandy) في سيلان Ceylon .

وبما أنني لست من الاشخاص الذين يفكون رموز الجفرة فلم ارتبط ابداً بالجفرة اليابانية ، لكنني اعتقد بأنني على صواب إذا قلت بأن اليابانيين كانوا قد اشتروا في عام ١٩٣٠ النسخة الأولى من جهاز الانيكما وغيروها وفقاً لاستخدامهم وبصورة رئيسية لاغراض المخابرات الدبلوماسية .

وقد تمكن الامريكيون من حل رموز هذه الجفرة في عام ١٩٤٠

وشاركوا البريطانيين فيها ولا أعرف بالضبط الوقت الذي بدأت فيه البحرية اليابانية وقوتها الجوية والجيش في استخدام جهاز (الأنيكما) المعقد جدا والذي طوره الالمان ، لكنني أظن بأن الأمريكيين شاركوا في استخدام اسلوب (بليجلي) لكي يغطوا المحيط الهادي بصوّرة كاملة لأنهم طلبوا مني بعد حادثة ميناء بيرل هاربر أن أزود واشنطن بنظامات الأمن التي تطبقها ، وبما أن الحرب اليابانية قد اتسعت جنوبا اقتضى تشكيل مراكز أخرى في بريسبين Brisbane وفي استراليا لغرض اعتراض رسائل اليابانيين وتوزيعها ثم زودتهم فيما بعد بوحدات الارتباط الخاصة لرعاية شؤون القوات الاسترالية العاملة مع قيادة الحلفاء .

ولقد أثار تأسيس وحدات الارتباط الخاصة في الهند ومن ثم وصول الجيوش الامريكية وقوتها الجوية إلى الصين السؤال حول من هم الذين سيحصلون على (الأسرار فوق العادة) ، ومن أين تأتي هٰذه الأسرار ، ولمن يجب أن ترسل هذه الأسرار ، حيث يتم الآن استلام المعلومات المتعلقة (بالأسرار فوق العادة) فيما يخص الجيش الياباني وقوته الجوية والبحرية من واشنطن ، ومن لندن ومن بريسبين وتصل إلى أيدي جميع قيادات قوات جنوب شرق آسيا فضلا عن القوات الأمريكية في الصين .

وتمكنت من ارسال وحدة ارتباط خاصة كاملة إلى (بريسبين) وهي وحدة الارتباط الخاصة التاسعة والتي قامت باعمالها على أحسن وجه بحيث طلبوا مني أن ابعث بوحدات ارتباط خاصة أخرى وأنني سوف أبحث مع الجانب الاسترالي هذا الموضوع .

وبأنساع اعمال (الأسرار فوق العادة) ظهرت معضلات جديدة فيما يتعلق بالمسافات الشاسعة في المحيط الهادي ومعضلات اخرى حول أمنية الرسائل والاستخدامات المتعلقة بالعمليات في المناطق المعزولة ، ورأيت أن افضل طريقة لمعالجة كل هذه الأمور هي الذهاب إلى المنطقة وأن أقوم بالعمل بنفسي .

وكانت ادامة الامنية المطلقة بالنسبة لتوزيع واستخدام (الاسرار فوق العادة) مما حول العالم، إنجازاً رائعاً في ذلك الوقت.

ولم يكن هناك ما يراد القيام به من الاعمال في دلهي سوى التأكد بأن القائد العام في الهند يستلم المعلومات التي تهمه من (الأسرار فوق العادة) وكان واجبي الحقيقي مع الجيش (١٤) في كومبلا Combla) الواقعة في اسام ASSAM ومع قيادة جنوب شرق آسيا ، كما طلب مني المستر مينزيز أن أقوم بزيارة مواقع مصلحة الاستخبارات السرية وتفتيشها في الهند وسيلان واستراليا لعلي أجد ما ينقصها من الأمور .

طرت إلى كلكتا Calcutta حيث كانت مطارات (دوم - دوم) يوما ما أرضا يقدم فيها العرض وثكنات كتائب راج الشهيرة وموطنا للاغاني الشعبية الـ (كبلنك Kipling) ووجدتها تعج بالطائرات التي تمون جبهة بورما ثم اتجهنا نحو الشمال الشرقي عبر دلتا كانكز Ganges وفوق مزارع الشاي وغابات (أسام) حتى وصلنا كومبلا ووجدناها أبرد من كلكتا .

وكان مقر الجنرال (سليم Slim) في قصر هندي واسع ، تغطي أرضه الواسعة شجيرات تفوح منها الروائح الزكية وأشجار عالية تلقي ظلالها عليها وانتشرت الخيام الصغيرة فوق حديقته ورأيت في حديقة القصر عائلة من حيوان النمس متكونة من أب وأم وثلاثة صغار ، واجبها ابعاد الافاعي عن القصر وعن الخيم وهي فكرة تريح البال ، ووجدت كلا من الجنرال (سليم) واللواء الطيار (اليك كوريتون Alec Coryton) مقتنعين تماما بالمعلومات التي يستلمانها وهي معدة وفقا لجميع القواعد الامنية وكانت نوعية المعلومات المستلمة من أجهزة الجفرة اليابانية مشابهة تماما لتلك المعلومات المستلمة من الجيش الالماني في أوروبا فيما يتعلق بأوامر الحركات والتنقل ، وتقارير القوة ومواقع التشكيلات اليابانية بحيث أنها لم تشكل أهدافا مفيدة للقوة الجوية فحسب بل تعطي الجنرال (سليم) الصورة الكاملة لنظام

المعركة للقوات اليابانية ، وكانت بعض الرسائل الرمزية المهمة جدا هي تلك التي تبين النقص في الارزاق والتجهيزات ، كما كانت هناك أيضا رسائل رمزية تتعلق بالأمور الاستراتيجية بحيث تغطي صورة واسعة عن العمليات اليابانية في كل منطقة جنوب شرق آسيا .

ولقد أخبرني الجنرال (سليم) بأن المعلومات التي حصل عليها من (الأسرار فوق العادة) عن القوات اليابانية لا تقدر بثمن ، وذلك طوال المعارك : لكن ، النصر الحقيقي كان نتيجة للمعلومات التي أدت إلى قيام اليابانيين بشن هجومهم النهائي في (امفال IMPHAL) و(كوهيما) (KOHIMA) واتضح لنا من (الأسرار فوق العادة) أن موقف التموين الياباني هو موقف يائس لذلك خططوا هجومهم لكي يستولوا على مستودعات تموين الجيش (١٤) ويتمكنوا عند ذاك من مواصلة القتال .

كما اظهرت لنا (الأسرار فوق العادة) بأن القوة الجوية اليابانية في المنطقة تضاءلت إلى درجة أنها أصبحت عديمة الفائدة .

وكان هذان العاملان هما السبب في اتاحة الفرصة لليابانيين لشن هجومهم لتبديد ما لديهم من التموينات بينما أنشأ الجيش (١٤) مواضع دفاعية حول القواعد في (أمفال وكوهيما) وكان بمقدور الجنرال (ستريتماير STRATEMEYER) قائد القوة الجوية الشرقية ، تزويد الجيش (١٤) من الجو بالجنود والمواد دون تهديد الطائرات اليابانية المقاتلة .

كانت استراتيجية أدت إلى نتائج جيدة وحرمت اليابانيين من الاستفادة من المداخر والتجهيزات التي علقوا آمالهم عليها في حالة استيلائهم عليها ، ثم أظهرت لنا (الأسرار فوق العادة) بأن موقفهم في التموين هو سيء جدا وبامكان قيادة جنوب شرق آسيا أن تطير بجميع الفرقة دون أن تجابه أي تدخل من قبل اليابانيين وكان ذلك عاملا حاسماً في (امفال) .

وكان انسحاب اليابانيين نهائياً ، ولقد دفع القائد الأعلى نفسه الضريبة

الملائمة لهذه الصفحة من معركة بورما وعلى الرغم من أنه لم يستطيع ذكر (الأسرار فوق العادة) حينما بين أنه (ما كنا نتمكن من الاحتفاظ بامفال أو كوهيما بدون الرفعات الجوية غير المعترضة) . وأن كلمة (غير المعترضة) هي كلمة مؤثرة .

وكنت قد ذهبت إلى كومبلا وامفال وكوهيما بعد الانتصارات وكانت الاستحضارات تجري لاجل عبور النهر العظيم والتقدم خلال بورما .

وكان مقر الجنرال مونتباتن تماماً على شكل اكواخ خشبية نظيفة خضراء ، على بعد عدة أميال خارج (كاندي) في سيلان ، في احدى الساحات الخضراء من بساتين (بيريدرينا Peridrinia) ، بين نباتات الفلفل وجوز الطيب والقرفة والثوم والفانيلا والاشجار ذات الأزهار ومجموعة كبيرة من ورد الزنبق ، وهناك وفي احدى الحفر تم بناء سينما من الطابوق حيث يتم فيها ايجاز يومي لجميع ضباط الركن حول التقدم في معركة جنوب شرق آسيا ، وكانت هذه البقعة هادئة وغريبة جداً وفيها تتم ادارة الحرب .

وحينما وصلت (كاندي) التقيت لأول مرة مع النقيب (انزر وايت In-zer Wyatt) الذي ينتمي إلى الأمن الخاص للولايات المتحدة وكان قد تعلم أسلوب عمل (الأسرار فوق العادة) في بليجلي . وكان واجب (انزر) ينحصر في السهر على احتياجات الجنرال (أستلويل Stilwell وجينوات Chennault) اللذين يقودان الجيش الامريكي والقوة الجوية الامريكية ، من (الأسرار فوق العادة) تلك القوات العاملة مع الجنرال شان كاي شيك في جنوب الصين .

وكان النقيب (انزر) قد أقام وحدة ارتباط خاصة جيدة وكان يلتقط بصورة خاصة الرسائل اليابانية للجيش والقوة الجوية من اجهزة تقوية مباشرة من واشنطن .

وأصبح النقيب (انزر) وجون سترايب صديقين حميمين في الحال

بحيث أن تعاونهما الوثيق قد ساعدني على تصنيف الموقف الشاذ أيضا .

وكان جون سترايب يحصل على رسائل الجيش الياباني وقوته الجوية من بليجلي وبريسبون معاً لكنه لم يكن يحصل على المعلومات المتعلقة بالبحرية اليابانية والتي كانت تضم معلومات قيمة عن قوافل التموين اليابانية العاملة حول جزر الهند الشرقية الهولندية ، وكانت هذه المعلومات مهمة جداً بالنسبة لقيادة جنوب شرق آسيا ، والجنرال (سليم) . وعلى أية حال ، فقد كانت الرسائل البحرية اليابانية المتعلقة بهذه القوافل تصل فعلا إلى المقرات في لندن وإلى مقر القوة البحرية وكولومبو من واشنطن ، وكان النقيب (انزر) يحصل على رسائل الجيش الياباني وقوته الجوية المتعلقة بهذا الجزء من واشنطن مباشرة والذي يعبرها في حينها إلى (استلويل وجينولت) ، لكنه هو الآخر لم يحصل على (الأسرار فوق العادة) المتعلقة بالبحرية اليابانية ، وهذا يعني أن القوة الامريكية القاصفة في (كنمك Kumming) لا تعرف شيئاً فيما يتعلق بالقوافل اليابانية وتمكنت من اعداد الترتيبات مع لندن حول وجوب ارسال رسائل (الأسرار فوق العادة) للبحرية اليابانية التي تعالج القوافل وحركة التموين إلى وحدة الأرتباط الخاصة في (كاندي) حيث يتمكن (جون) من ايصالها إلى (انزر) والذي بدوره يتمكن من ارسالها إلى (جينولت) في الصين ، وهذه هي بالأحرى طريقة ملتوية في انجاز الأعمال ولكنها نجحت ، وأعتقد أن (جينولت) قد نجح نجاحا كبيرا بطائراته أزاء هذه القوافل الساحلية بحيث أثرت تأثيرا كبيرا على موقف تموين اليابان في معركتنا في بورما .

وكان الفريق الأول البحري اللورد مونتباتن ، القائد الأعلى لقيادة جنوب شرق آسيا يتمتع بقسط كبير من الراحة وهو في زيه الاستوائي البارد اكثر مما كان في زيه الذي شاهدته أخيراً في مؤتمر رؤساء الاركان في لندن قبل حادثة الغارة على (دييب) عام ١٩٤٢ وهو يرتدي بزة نظيفة ذات خطوط زرقاء وذهبية وذات اكمام بيضاء منشاة . وأصبح فيها بعد آمراً للقوة

التجريبية المشتركة التي قامت بتلك العملية .

والآن أخبرني بأنه راض كل الرضى عن الترتيبات التي أعددتها ، لأنه ، في الحقيقة ، يستلم كل المعلومات من (الأسرار فوق العادة) . كما أنه قبل اقتراحاتي حول عدم ترك جماعة (الأسرار فوق العادة) لمقرهم والذهاب إلى ضابط ارتباط قيادة جنوب شرق آسيا مع الصينيين طالما يحصل الجنرال (استلويل) على المعلومات من (استريب وايت) ثم تعبر إلى شان كاي شيك ، تلك المعلومات التي يجب أن يحصل عليها كما يعتقد .

شرحت للقائد الأعلى بأن المعلومات نفسها يجب أن لا تصدر إلى شخصين مختلفين على قناتين مختلفتين وذلك لأسباب أمنية .

وفي كولومبو ، تمكنت من الاجتماع بالفريق الاول البحري السير بروس فاستر ، والذي كان في طريقه إلى أستراليا ليتولى قيادة الاسطول البريطاني الشرقي الذي يعمل الآن مع الاسطول الامريكي في المحيط الهادي ، وكان معه المقدم البحري (ألن هيلكارث Alan Hilgarth) ضابط استخباراته والذي سبق لي أن تعرفت به حينما كان ملحقاً بحرياً في مدريد ، وكان يتميز بروح تعاونية جيدة .

وكان الطيران بين كولومبو وبيرث Perth إحدى العجائب في الحرب العالمية الثانية ، وانك تشاهد مرتين شروق الشمس في تلك الرحلة طويلة المدى نحو الشرق ، وانني كنت أعرف اجزاء عديدة من استراليا عندما كنت صبياً ، وانني الآن آمل أن التقي باصدقائي القدامى ، لكنني أردت أن التقي اولا برئيس أركان القوة الجوية الاسترالية العميد الطيار (جونس) ووجدته كئيبا حول العدد الهائل من المعلومات التي ترده من (بريسبون) ، وأنه بالتأكيد ، لم يكن يحصل على كل المعلومات التي يجب أن يعرفها ، لذلك ، قررت أن أمعن النظر في توزيع (بريسبون) باسرع ما يمكن .

وكانت مصلحة الاستخبارات السرية في (بريسبون) قد أعدت لي غرفة

في ذلك المعهد الممتاز المسمى بـ (نادي كويزلاند) .

وجدت تشكيل جماعة (الأسرار فوق العادة) جيداً وفعالا ، لكنها تعاني قليلا من التقييدات المفروضة عليها من قبل الجنرال ماك آرثر ، حول (من يحصل على المعلومات) ، ومع ذلك ، تمكنت بمساعدة ومعاونة العقيد (ساندفورد) الضابط الاسترالي الشاب المسؤول الذي كنت أعرفه في لندن عندما كنا نعلمه الواجب ، من معالجة بعض معضلات التوزيع بحيث تتمكن وحدة الارتباط الخاصة لـ (ميلبورن) و (استرايب) في دلهي وكاندي من الحصول على معلومات اكثر من المعلومات التي يحتاجها .

ولكن ، بدأت القوات الامريكية والاسترالية بالتقدم نحو الشمال مرة أخرى ، وأصبحت المسافات شاسعة ، كما أصبح موضوع الامنية مسألة مقامرة في (الجزيرة الصاخبة) .

وكانت وحدات الارتباط الخاصة الجديدة التي جمعتها من ايطاليا قد وصلت بعد سفرة طويلة عن طريق كندا والولايات المتحدة الأمريكية والتي تم ارسالها فقط من (بريسبين) إلى مسافة مقدارها (٣٠٠٠) ميل إلى (موروتي Morotai) وكانوا قد حملوا معهم آلة الطابعة البرقية وأوراق الجفرة ذات الاستعمال لمرة واحدة الخاصة بهم في حقيبة ثقيلة وكانوا يحملون معهم أيضا قنبلة لكي يقتلوا أنفسهم بها حينما يقعون في ورطة أو يتعرضون لاخطار كبيرة ..

وكانت معهم كمية قليلة من الملابس لأن أمتعتهم لم تصل بعد ايطاليا ، ولأنهم ليسوا في موقع آمن ومثالي ، طالما يحتل اليابانيون معظم اقسام الجزيرة ، وقد روى لي الملازم الاول الطيار (رينولدس Reynoldes) القصة التالية :

« كان زبائننا (للأسرار فوق العادة) هم آمر القوة الجوية التعبوية الاولى ومقرات الجيش المتقدمة والجنرال بليمي Blamey ومن ثم قيادة القوة

الجوية الاسترالية المتقدمة ، أي . في . أم . بوستوك . وبـالاضافـة إلى ذلك كنا نزود قيـادة القاصفـات الخامسـة الأمريكيـة وقائـد فرقـة المشاة الأمـريكية (٣١) بالمعلومات لذلك كنا منهمكين في العمل .

ومن حسن حظنا أن تكون القوة الجوية التعبـوية الأولى عـلى بعد قليـل من الوحدات الأخـرى التي يجب أن نقدم لهـا الخدمـات وكان ذلـك يستغرق ساعة واحدة أو اكثر لارسال الرسائل عبر الطرق الموحلة .

كانت الرسائل عن (الاسرار فوق العـادة) تضم معلومات عن السفن اليابانية وعن الطائرات اليابانية وعن تنقلات القطعـات قبل انـزال الحلفاء في بورينو وتـاركان Tarkan يـوم (١) آيار عـام ١٩٤٥ والانزال في لابـون La-buon يوم (١٠) حزيران وفي بالـك بافـان Balik Pafan يوم (١) تمـوز عام ١٩٤٥ . كـما كانت هنـاك تقاريـر (الاسرار فـوق العادة) عن الغـواصات الالمانية في جوار (موروتي) وهي تحمل موادا استراتيجية إلى اليابان .

وكان مكتبنا يتألف من ثلاثـة أعمدة من جـذوع الاشجار ومن قمـاش الجنفـاص وسقفه يتكـون من سعف النخيل وكنـا قد أخـذناه من آمـر جنـاح (قسم الهنـدسة) رغـماً عنه ، وكـان علينا أن نجعله في مـأمن وذلك بـوضع شبكة سلكية وباب وكنت انام في هذا المكتب ومسدسي معي والقنبلة جـاهزة للانفجار في حالة تقدم اليابانيين كما هيأت أسلاك العثرة . ولكـوننا من القـوة الجوية الملكية فقد كنا كثيري الشك أيضاً ، وكان كل فرد يود الاطلاع على ما نفعله .

ومـن حسن الحظ كـان العريف روزنبيـرغ Rosenberg الـذي يعمـل معي قد اعتاد الذهاب إلى الكنيسـة الواقعـة في القاعـدة البحريـة الامريكيـة وكان يستطيع الحصول على الارزاق من الحوانيت الامـريكية وعـلى السيكايـر والشاي والسكر وأخيراً تمكن من الحصول على سيارة جيب .

وفي وقت آخـر لحقت بي وحـدة ارتبـاط خـاصـة أخـرى في مـوروتي

وخصصتها لتسهر على مصالح مقر القوات البرية وقيادة القوة الجوية الاسترالية .

ثم عدت في شهر حزيران عام ١٩٤٥ إلى (بريسبين) لمعالجة بعض معضلات حل الجفرة التي أزعجتنا في الطرف الآخر .

وفي (بريسبين) كانت معظم الرسائل تردنا الآن من دلهي وكان الجهاز اللاسلكي يتعطل كثيراً بحيث كانت الرسائل تردنا أحياناً عن طريق برقيات دائرة البريد الاسترالي أو حتى بواسطة الجهاز اللاسلكي من بليجلي وتردنا تقارير الانواء الجوية من ميلبورن بواسطة الطابعة البرقية ، لذلك كان لوحدة الارتباط الخاصة في بريسبين عمل قليل في معالجة ما يجب ارساله إلى (موروثي) ولكن كانت هناك تغطية كاملة عن جميع فعاليات اليابانيين بطريقة ما أو بأخرى ، وكانت القوات الجوية والبرية الاسترالية في (موروثي) تطلب بشكل مستعجل وحدتي أرتباط خاصة لتزويدها بالمعلومات .

وفي الحقيقة ، كانت وحدات الارتباط الخاصة ناجحة في عملها إلى درجة أن الاستراليين طلبوا تزويدهم بعدد أكثر منها بالرغم من الصعوبات ، لذلك كان هناك في نهاية شهر حزيران عام ١٩٤٥ وحدات ارتباط خاصة في كل من (لي Lae) وفي غينيا الجديدة بالاضافة إلى وحدات الارتباط الخاصة في (موروثي) وذلك لتزويد الجيش الاسترالي الأول بالمعلومات ووحدة أخرى في القوة الجوية الاسترالية للمنطقة الشمالية الغربية .

وانتقلت وحدة الارتباط الخاصة التاسعة من موروثي مع القوة الجوية التعبوية والقوة الجوية الاسترالية إلى (لابون) في شهر تموز ولقد جرى تنظيم (رينولدس ليأخذ وحدة ارتباط خاصة أخرى قبل القاء القنبلة الذرية تماما ، لكن الرحلة الجوية الغيت في الوقت المناسب) .

انها رواية بسيطة عن احدى الزمر الصغيرة من الرجال الذين يتباهون

ويفتخرون بأن (الاسرار فوق العادة) كانت دوما تعمل بطريقة ما أو بأخرى .

وكانت مسؤولياتهم تفوق كثيرا عددهم أو رتبهم المتواضعة ، ولا استطيع انهاء قصة وحدات الارتباط الخاصة دون تقدير وتثمين كامل للمرأة المجدة كما نسميها الملازم الطيار دوكس Dawkes من القوة الجوية النسائية الثانوية وكانت تعمل تحت ادارة الضابط الذي في معيتي العقيد الطيار (سوفيانو Sofiano) وانخرطت للعمل في الجاسوسية مع الملازم الطيار (جبسن Gibson) والذي كان أول الاعضاء الاصليين في الكوخ (٣) وتدربا وعززا وربطا الأطراف السائبة العديدة من وحدات الارتباط الخاصة المنتشرة في اماكن عديدة من العالم .

واعتقد بأن قصة الملازم الطيار (رينولدس) تظهر لنا مقدار ما كانت عليه هذه الاطراف السائبة الكثيرة والمختلفة .

وفي الوقت الذي كنت فيه اراقب اعمال مركز (الاسرار فوق العادة) في بريسبين والرسائل المنطلقة بين بليجلي وبريسبين ودلهي وواشنطن ادركت عندها أكثر من أي وقت آخر مقدار ما بلغنا في مجال الاستخبارات واسعة النطاق ازاء اعدائنا ، وقبل قدومي إلى هذا الجانب من العالم ، كنت منهمكا كليا في السهر على شؤون دائرتي الخاصة ، وكما بينت سابقا ، أخذ هذا العمل جزءاً يسيراً من الاهمية من (الاسرار فوق العادة) المهمة للبحرية الالمانية والتي كانت قيادة القوة البحرية في لندن تعالجها كلية تقريبا ، وقيل لي في بريسبين لأول مرة عن الدور الذي لعبته هذه المعلومات في المحيط الهادي . ولا يمكن اعتبار أي تأريخ للحرب البحرية في الحرب العالمية الثانية الآن كاملاً دون ذكر المعلومات التي كانت متيسرة لقيادة البحرية للحلفاء . وهذه المعلومات هي التي خلقت في الحقيقة المعارك الجوية والبحرية في المحيط الهادي .

ووجب على اللواء البحري نيميتز Nimitz خوض معركتين بحريتين

حاسمتين في الاشهر الثلاثة الأولى بعد توليه المنصب . كانت المعركة الأولى ، حينها بينت له الرسائل المعترضة خطة اليابانيين لاحتلال ميناء (مورسبي Moresby) في غينيا الجديدة وكانت مصممة على اعطائهم قاعدة للهجمات الأخرى على استراليا نفسها . واستهدفت الخطة اليابانية اجتياز غينيا الجديدة بالذهاب إلى مسافة بعيدة باتجاه الشرق إلى بحر الكورال قبل الاقتراب من ميناء (مورسبي) ، استلمنا الخطة يوم (١٧) نيسان عام ١٩٤٢ وعبرناها إلى اللواء (نيميتز) وبذلك أتحنا له الوقت لتحريك سفنه لمواجهة التهديد وخاض في الحقيقة معركة بحر كورال في اوائل شهر أيار ، ولم تكن معركة بحر كورال نصراً حاسماً ، ولكنها اوقفت فعلا تقدم اليابانيين نحو الجنوب وبذلك تم تفادي الهجوم على ميناء مورسبي ، كما أظهرت المعركة للامريكيين نوع المعارك التي ستحدث في المستقبل في المحيط الهادي ، وكانت المعركة عبارة عن قتال بين الطائرات التي تقلع من حاملات الطائرات وليست معركة بين سفينة وأخرى .

وفي أواخر شهر أيار أظهرت لنا الرسائل المعترضة بأن الاسطول الياباني العظيم سيتحرك ويحاول احتلال جزيرة (ميدواي Mudiway) المعروفة بأنها حارس الـ (هواي Howaii) نفسها . وكانت الوصايا في الرسالة تتضمن « استفزاز الاسطول الامريكي الرئيسي للقتال وتدميره شيئاً فشيئاً » وتضمنت الرسالة أخيراً وجوب شن الهجوم على جزر الويشن Aleution لطرد الامريكيين نحو الشمال وترك الطريق مفتوحاً إلى (ميدواي) . وكان الاسطول الياباني يضم قوة ضاربة قوية على الحاملات بقيادة اللواء البحري جنجي ناكومو Chinchi Nagumo وعرف اللواء البحري (نيميتز) بأنه سيقاتل عددا يتفوق عليه كثيراً .

تحرك الاسطول الياباني باتجاه (ميدواي) يوم (٢٧) أيار تماما بعد استلام (نيميتز) المعلومات عن مقاصد اليابانيين بثلاثة أسابيع .

وكنتيجة لذلك ، تمكن من تجنب الوقوع في الفخ وسحب سفنه إلى

الشمال ويجب أن تكون معركة (ميدواي) نقطة تحول في الحرب الدائرة في المحيط الهادي .

وقد دارت المعركة بصورة كلية تقريباً بين الطائرات وربحت المعركة في الحقيقة الطائرات القاصفة المنقضة وانتصر اللواء البحري (نيميتز) وذلك بتدميره كل القوة المحمولة التابعة إلى اللواء البحري (ناكومو) وبذلك دمرت القوة التعرضية للاسطول الياباني .

وهذه الرسالة المهمة جدا للحرب البحرية في المحيط الهادي هي التي سببت حدوث ثلمة في الأمنية والتي حطمت تقريباً السر بأسره .

وعرف أحد الصحفيين القصة بطريقة ما ونشر الحقيقة بأن الرسائل الرمزية اليابانية قد حلت ، مما كان له رد فعل فوري من قبل المستر شرشل ، وكان ذلك درساً قاسياً لنا حيث جرى التشديد كثيراً على أمنية هذه الجفرة السرية للغاية والتي كانت احدى اجهزة (الانيكما) المتغيرة ، المستخدمة من قبل البحرية اليابانية بحيث لا يمكن تكرار هذا الخطأ .

ولا بد وأن هناك احتجاجا آخر من لندن على واشنطن حول قتل الامريكيين للقائد العام للبحرية اليابانية وهو اللواء البحري ياموموتو Yamo-moto وكانت (الاسرار فوق العادة) قد كشفت النقاب بصورة صحيحة ، عن الوقت الذي سيصل فيه القائد العام للبحرية اليابانية جواً لتفتيش القاعدة في الجزيرة .

وإن التوقيت الممتاز للامريكيين هو الذي تسبب في قتل (ياموموتو) في الوقت الذي احدث فيه قتله تأثيراً هائلاً على معنويات اليابانيين وتم تنفيذ كل ذلك بدون خطة ملائمة مستورة ، واليابانيون ، مثلهم في ذلك ، كاللواء البحري دونيتز في المانيا لم يصدقوا ، من حسن حظنا ، بأن جفرتهم السرية للغاية قد حلت ، وأن هذه الزلات الامنية لم تحدث ضررا ولكن لو كان لليابانيين أية أسباب أخرى يشكون فيها حول أمنية جفرتهم لوقعنا في متاعب .

وفي عـام ١٩٤٤ كـانت المسـافـة لا تــزال طـويلة جــواً من (سيـدني Sydney) مروراً بهونولولو Honolulu وسان فرنسيسكو وإلى واشنـطن حيث أتمكن من الاجتماع مع نظرائي في اعمال (الاسرار فوق العـادة) وتمكنت من اخبارهم عن الترتيبات التي أعددتها في استراليا .

وعنـدمـا كنت في البنتـاغـون حصلت عـلى أولى الاخبـار عن اخفــاق (الاسرار فوق العادة) البين في تحذير الجنـرال ايزنهاور وبـرادلي ومونتغمـري حول تعرض هتلر من الأردين .

الباب العشرون

تعرض هتلر في الاردين

علمت عندما عدت إلى لندن في شهر كانون الأول بأن الفون رونشتاد قد حشد جميع قواته المتبقية للقيام بمعركة ثأرية عظيمة في الاردين ، ذلك التعرض الذي باغتوا فيه الامريكيين تماما وأدى إلى حدوث معارك مريرة وقعت فيها خسائر فادحة . وعرفت أيضاً بأن هناك خلافاً خطيراً بين الجنرال ايزنهاور ومونتغمري وأن رئيس اركان الجيش الامريكي قد أمر ايزنهاور بعرض الموضوع على الرئيس .

وفي هذا الوقت بعث لي (ثيدر Tedder) رسالة عن طريق وحدة الارتباط الخاصة التابعة لي يطلب فيها في أن احصل على رسالة (شخصية فقط) من ايزنهاور إلى المستر شرشل ، وهناك شائعات تقول بأن ايزنهاور قد تهيأ ليقول للجنرال جورج مارشال (اما انا أو مونتغمري) . وانني اشك فيما إذا كان الجنرال مونتغمري قد أدرك حقيقة موقفه الخطير أو بأن يضع رئيس وزرائه في موقف يجب فيه أن يذهب الاجتماع بالامريكيين ليخلصه من الشرك .

ومن الواضح أن هذا الجو لم يكن بالجو المفضل لي للذهاب إلى القيادات ، ومع ذلك ، عندما ذهبت أخيراً في شهر آذار لم أجد ما يدعو للقلق ، حيث وجدت الناس هناك في مقر القائد الأعلى لقوة حملة الحلفاء وفي مقر برادلي وباتون وسمبسون وهوجز يرحبون بي كالسابق بالرغم من الاوقات

الصعبة التي صادفتهم ، وفي مقر القيادة الأعلى ، شكرني (ثيدر) بلطف عندما ناولته رسائل ايزنهاور / شرشل ، ولكن ، عند الرد على اسئلته لم يكن لدي تفسير محدد عن اخفاق (الاسرار فوق العادة) من انذارنا عن هجوم الجنرال رونشتاد ما عدا ذلك التفسير الذي كان من الواضح ان يدل على عدم قدرتنا على اعتراض أو حل رسائل (الاسرار فوق العادة) العالية جداً خلال الاسابيع الحرجة قبل الهجوم .

وقلت (لثيدر) بأنه طالما أصبحت رسائل (الاسرار فوق العادة) متيسرة عندما بدأ الهجوم ، فان السرية الهائلة التي فرضها رونشتاد قبل بدء العملية كانت بشكل واضح مقصودة وان الحقيقة القائلة بان استمرار الالمان على بث رسائلهم من الدرجة الواطئة قد عززت من الافتراض بأن الالمان لا يزالون يعتقدون بأننا لا نعلم الفرق ، وأن هذا الاجراء الامني الخاص هو من الاجراءات الامنية التي تتخذها القوات الالمانية المسلحة آزاءنا ، وأشرت فعلا باننا قد استلمنا الأوامر الأصلية من هتلر حول تشكيلة جيش مدرع جديد وبأمره لروشنتاد بشن الهجوم والتي اعترفنا بها في ذلك الوقت بأنها تبدو كاحلام هتلرية اخرى .

واكتشفنا بعدئذ مدى التحوطات الامنية الالمانية حينما حصلنا على المعلومات من اسرى الحرب عن كيفية تنقل كل القطعات والدبابات الى الجبهة ليلاً دون اشعال الضياء وعن كيفية ارسال الرسائل باليد بواسطة السعاة راكبي الدراجات الآلية .

واعتقد بأن (ثيدر) قد وافق على ما قلته ، بأن (الاسرار فوق العادة) كانت مفيدة جداً خلال السنة الماضية بحيث اصبح بعض ضباط ركن الاستخبارات يعتمدون عليها اعتماداً كلياً قريباً .

وانتقل الجنرال ايزنهاور هو وضباط ركنه إلى فريسال في فرنسا بعد تقدم الحلفاء السريع ، بينما ذهب الجنرال مونتغمري إلى بروكسل واستقر الجنرال برادلي في لوكسمبرغ ، وارسلت بناء على رجاء المستر جورج براون لي

شخصياً جماعة من ضباط القوة الجوية النسائية الثانوية لاشغال المقرات في القيادة العليا لقوة حملة الحلفاء والتي اتاحت الفرصة لتكون كاحتياط لكل وحدة ارتباط خاصة اضافية تدعو الحاجة إليها .

وبدأت الحياة في فرنسا تعود الآن إلى حالتها الاعتيادية وقدرت بأن الفتيات قد سرتهن الحياة الناعمة بعد الأيام القاسية التي امضينها في المكتب في لندن . تركت السيدة (أوين) لتدريب عدد آخر منهن عندما كنت في الخارج .

والذي اردت ان افعله في الحقيقة هو الذهاب للالتقاء بـ(مونك دكسن) لاعرف منه القصة الحقيقية لمعركة النتوء The Battle of Bulge وسرني جداً أن أرى (مونك) مرة أخرى حيث وجدته قد كبر قليلاً واصبح احسن منزلة من حالته العصبية وأنه ضابط الركن الثاني الكفوء حيث انني التقيت به لأول مرة في مقر الجنرال برادلي بعد يوم الانزال الفعلي تماما وأنه أصبح الآن رجلاً مقاتلاً محنكاً عندما قال لي شكراً (للاسرار فوق العادة) لأن الموقف باسره كان واضحاً في تفكيره تماماً ، واخبرني عن التحوطات المبالغ فيها التي اتخذها الجنرال رونشتاد وقادة جيوشه المدرعة لتحقيق السرية التامة ، ولقد أعد ضباط الركن الثاني بصورة منفصلة تحليلاتهم عن تقديراتهم المختلفة ، وتقديراتهم للموقف وتنبؤاتهم قبل معركة النتوء بشكل مفصل جداً ، ولكن بالنسبة لي ، أرى أنه ، على أكثر احتمال ، بأن السبب الأكثر صلة بالموضوع لحصول الجنرال رونشتاد على المباغتة في تعرضه هو غياب الرسائل ذات الدرجة العالية من (الاسرار فوق العادة) قبل المعركة . وحسب علمي أنه من غير شك ، تسلم ضباط ركن الاستخبارات والقادة في مقرات القائد الأعلى لقوة حملة الحلفاء وقادة جحافل الجيش وقادة الجيش طوال السنتين والنصف الماضية ، بالنسبة لبريطانيا طوال الاربع سنوات والنصف الماضية مقاصد العدو وأنهم ربما أصبحوا يثقون برسائل (الاسرار فوق العادة) إلى أبعد مدى ، بحيث أنها حينما لا توضح أية دلالات ايجابية

عن الهجوم المعاكس القادم ، فان جميع الدلالات الأخرى لا تؤخذ مأخذ الجد تماماً ، ولو كنت في انكلترا ، لكان غياب (الاسرار فوق العادة) الحقيقي يثير في نفسي الشكوك القوية على ما اعتقد .

وفي الحقيقة ، يظهر بأن هناك شخصاً واحداً وهو (مونك دكسن) ضابط الركن الثاني الذي أعد تقرير موقف الاستخبارات قبل شهر واحد من بدء المعركة مستنداً على الدلائل الكثيرة من بيانات أسرى الحرب ومن الوثائق المستولي عليها ومن التصاوير الجوية ومن الرسائل المتعلقة بالشؤون الادارية الملتقطة من قبل (الاسرار فوق العادة) قد توصل في الأقل إلى النتيجة الصحيحة ، ولقد أخبرني (مونك) عن قصة المعركة واطلعني على تقرير الموقف من وجهة نظر الاستخبارات الذي أصدره في يوم (١٠) كانون الأول ، واقتبس منه ما يلي :

أولاً : لاحظنا بأن المعنويات بين اسرى الحرب الذين اسروا حديثاً في قفص اسرى الجيش وفي قفص الأسرى في منطقة المواصلات معاً ارتفعت الآن بصورة ملحوظة . ومن الواضح أن الفون رونشتاد ، الذي يدير العمليات العسكرية كما يبدو دون أن يستند على الحدس بحيث كانت النتيجة الدفاع بمهارة والاقتصاد في قواته وأنه يستعد للقيام بدوره في استخدام كل ما يتيسر لديه من سلاح في المكان الحاسم والوقت الصحيح لتحقيق الدفاع عن الرايخ في غرب نهر الراين بانزال أعظم اندحار بالحلفاء بقدر الامكان ، إن الدلائل بالنسبة لليوم الحاسم ولمحل هذا المكان الحاسم هو بين رورموند Rormond وشلايدن Schliden (في منطقة آخن ، شمال جبهة الفيلق الثامن ، ذلك المكان الذي منه شن الالمان هجومهم فعلاً) .

ثانياً : العدو قادر على شن هجومه المعاكس المركز بالقوة الجوية وبالدروع وبالمشاة وباسلحة سرية في المكان الحاسم المختار وفي الوقت الذي يختاره هو .

وقد استنتج (دكسن) (تقدير الموقف الرقم ٣٧) الشهير مع بيان

تنبؤاتـه : (تكامـل قواتـه المستمر في امـاكن تقع غـرب نهر الراين انما يـدل بشكل ثابت بأنه يراهن بكل قواته على شن الهجوم المعـاكس كما بينـا ذلك في الاحتمال الثاني) .

امـا ضابط الـركن الثاني للجنـرال بـاتون مـع الجيش الثالث ، العقيـد اوسكار كوخ Oscar Koch فأنه مزيج من حاسة التمييز ومن الحماس الـذي لا بد وأنه يتلاءم مع مزاج باتون تماما ، حيث بين كوخ في تقديره الموقف ليوم (٩ و١٠) كانون الأول بأن حركـة القطارات تشـير إلى تكامـل قوات العـدو بشكل واضح وتموينه مقابل الجناح الشمالي للجيش الثـالث وأن وجود قـوات مدرعة هائلة أعطته الدليل على امكانية العدو الواضحة لشن الهجوم المهلك .

واعتقد بان هذين الموقفين القديمين ، قـد قدرا المـوقف تقديـرا صحيحاً حتى بدون حصولهم على الرسائل الرمزية ذات الدرجـة العاليـة من هتلر ومن القيادة الالمانية العليا التي اعتادوا على استـلامها وعـلى الرغم من التحـوطات الامنية الشديدة جداً التي اتخذها رونشتاد لستر تنقـلات قطعـاته ، ولم يـركنوا للهدوء للوصول إلى حـالة من الـرضى النفسي من انتصارات الحلفـاء بحيث قادهم إلى التفكير بأن الالمان لا يستطيعون الاستمرار في القتال .

ولمـا بدأت المعـركة ، أكـدت (الاسرار فـوق العادة) بـوجود اعـدائنا القـدامى وهم الجيش المدرع الخـامس والجيش المدرع السـابع بـالاضافـة إلى فرق (اس . إس) وهناك كانت الرسائل تتوارد معقبة خطوط هجوم العدو .

وبعـد عيد الميـلاد بيوم واحـد بعث القادة الثـلاثـة ، رونشتـاد ومـودل ومانتوفل الذي قاد رأس الرمح في الهجوم ، رسالة رمـزية إلى هتلر بينـوا فيها بجرأة بأنهم سيصلون إلى أنتغيرب حالا وأن الامل الوحيـد للنصر هـو التقدم شمالا عبر نهر الموز بالجيشين المدرعين الخامس والسـادس لاجل احتـلال ليج Leige ومن ثم التقـدم من هناك إلى (آخن) . وكـانت هذه الـرسالـة مهمة بالنسبة للجنرال ايزنهاور الـذي عرف أخيـراً اهداف الهجـوم كما بينـه مونـك دكسن : (عرفنا اننا نتغلب عليهم) . وهتلر ، كالعادة ، لن يحصل على أي

نصر ، وبين في رسالته إلى قادته قائلاً (لم نكن نتوقع أن نرتد على اعقابنا ، انكم لم تطبقوا خطتي حرفياً) .

مسكين يارونشتهاد العجوز . هل يتوجب عليه ان ينهج نهج الفون كلوغه ؟ لقد عرفنا من التجارب بأنه حالما بدأ هتلر يرفض ما يوصي به قادته العسكريون ، بدأت الأمور تسير من سيىء إلى أسوء ، وعليه يجب أن لا نستثني هذه من تلك السوابق .

والآن ، أصدر هتلر امراً بشن هجوم معاكس آخر على ان يبدأ الهجوم يوم رأس السنة على الالزاس Alsace وذلك لطرد الجيش الامريكي الثالث من الشمال ، وهذه الرسالة كانت مهمة أيضاً للجنرال ايزنهاور وبرادلي معا وواصل فيها هتلر قوله بأنه لا يزال يعتقد بامكانية الاستيلاء على (انتغيرب) ولكن كانت هذه الرسالة بالنسبة للجنرال ايزنهاور وبرادلي كاشارة واضحة على أن الوقت قد حان ليشن فيه الامريكيون هجومهم المعاكس . وعرفت بعد فترة وجيزة في مقر الجنرال برادلي بأن رسالة هتلر التي يأمر فيها بشن هجوم ثان في منطقة الالزاس من جحفل جيش بلاسكو فيتز Blaxkowitz (ز) إزاء الجيش الامريكي السابع بقيادة الفريق باج Patch قد مكنت الجنرال ايزنهاور بأن يتقدم بسرعة يعدل فيها جبهة الجيش الامريكي السابع ويقصرها حيث قد يتمكن الالمان من قطع النتوء وعزلها وتمكن الفريق (باج) من الانذار الذي جاءه من صد هجوم الالمان .

أصبحت الجيوش الامريكية الآن تكسب المعركة الثانية في الاردين . وأبرق الجنرال مانتوفل إلى المهيب مودل يطلب منه الاذن بالانسحاب من جبهته إلى موضع آخر يقع شرق مدينة باستون Pastogne . وهذا يعني التخلي عن نصف الأرض التي احتلت اثناء التعرض فاعطى كل من رونشتاد ومودل الاذن بالانسحاب ومرة أخرى يرفض هتلر هذا الأمر ، لكن لم يكن لدى هتلر أي خيار يوم (٨) كانون الثاني إلا أن يبرق إلى مودل بموافقته على الانسحاب الجزئي نحو غرب الخط الذي طلبه مودل .

ولقد تطور سياق الانسحاب كالعادة إلى نوع من لعبة المساومة بين هتلر وقادته العسكريين .

وبعد أن وافق هتلر على الانسحاب تولى الآن المسؤولية بنفسه وكانت رسالته التالية تحتوي على أمر يطلب فيه دمج الجيش المدرع الخامس والجيش المدرع السادس تحت قيادة الجنرال (مانتوفل) لمراقبة اكتاف النتوء ازاء كل محاولة امريكية لقطعها وعزلها .

واخبرني (مونك دكسن) بأن الجنرال ايزنهاور كان قد قرر من قبل الضغط على النتوء بدلا من قطعها أو عزلها وعليه فان ايزنهاور وهتلر يعملان بنفس الخطة ، ولقد عجلت رسالة مفزعة صدرت من هتلر في انهاء هذه العملية باسرها بشكل واسع لأنه امر فيها بارسال الجيش المدرع الخامس بأسره إلى الجبهة الشرقية .

وفي شهر شباط أعطتنا (الاسرار فوق العادة) تأليف جحافل الجيوش الثلاثة التي تواجهنا الآن ومقدار قوتها وحصلنا من الجنرال رونشتاد تقدير موقف مهم أعده إلى هتلر عن الموقف الجديد .

وفي تقدير الموقف هذا توقع رونشتاد بأن الهجوم الرئيس للحلفاء على موضع سينغريد سيكون مقابل الروهر ، الطريق المباشر المألوف .

وكانت رسالة رونشتاد مسؤولة عن قيام الحلفاء بعمليتين . فقبل كل شيء ، كانت هناك خطة خداع ، خدعوا فيها العدو ، وهي تلائم تقدير موقف الجنرال رونشتاد بحيث جعلته يقتنع تماماً أنه على صواب والثانية استفاد الجنرال ايزنهاور من وجهة النظر الالمانية وقرر اعطاء الجنرال مونتغمري واجب الالتفاف على جناح خط سينغريد من مسافة أبعد إلى الشمال مفضلاً ذلك على الروهر ، وكانت النتيجة أنه حينما افتتح مونتغمري هجومه بالجيش الكندي يوم (٨) شباط فانه حصل على المباغتة التامة ، ودخل الآن الجنرال (سمبسون) تماما في الصورة ، فقد الحقوا جيشه الامريكي التاسع مع

جحفل جيش مونتغمري الحادي والعشرين وتمكنت من تزويد الجنرال سمبسون مباشرة بمعلومات (الاسرار فوق العادة) .

وبينما تطور هجوم الجيش الكندي والبريطاني نحو الشمال ، اظهرت (الاسرار فوق العادة) بأن الفرق الالمانية التسع قد سحبت من اقصى الجنوب إلى الجبهة الشمالية وبعث الجنرال رونتشاد برسالة إلى هتلر يوم (١٠) شباط يقول فيها بأن الهجوم البريطاني في الشمال قد هدد الجبهة الالمانية بأسرها كما هدد منطقة الروهر .

ولقد برهن تقديره للموقف الخاطىء إلى الناحية التي سيوجه البريطانيون هجومهم ، أنه كان مصيباً وأخيراً بعث الجنرال رونشتاد الرسالة الاعتيادية إلى هتلر يطلب فيها الاذن بالانسحاب طالما تم فتح ثغرة واسعة في خط سينغريد ، ولأول مرة يعطي فيها هتلر اذنا بالانسحاب دون الحث على ذلك ، وربما كان الجنرال رونشتاد يعلم موقف جيوشه اليائسة فانتظر هذه المرة إلى أن أصبح الموقف بشكل يتوجب فيه أن يكون الجواب إلى طلبه بنعم .

الباب الحادي والعشرون

النهاية

سافرت في بداية شهر آذار إلى القارة الأوروبية ، وذهبت لزيارة الجنرال (سمبسن) الذي كان قد أقام مقره في مدرسة قديمة في قرية صغيرة ولقد الحق الجنرال برادلي بقوته عدداً من الفرق ليعترض سبيل تقدم الفرق الالمانية التسع نحو الشمال وذلك حسبما أخبرتنا (الأسرار فوق العادة) بذلك . ولقد سر الجنرال سمبسن كثيراً للطريقة التي تسير فيها الأمور .

تلقى الجنرال سمبسن مكالمة هاتفية عصر يوم (٧) آذار وعلم أن جيش الجنرال (هوجس) قد احتل جسر (ريماجين Remagen) الواقع في أقصى الجنوب . فحدثت الاثارة الرائعة بطبيعة الحال ، وأراد سمبسن أن يتقدم إلى الأمام بأسرع ما يمكن عبر نهر الراين في محاولة منه لطرد الالمان قبل أن يتهيأوا فعلاً للقتال ، وأعتقد أنه عرض اقتراحه هذا على الجنرال مونتغمري غير أن الجنرال مونتغمري الذي كان يعد استحضارات هائلة طوال عدة اشهر لعبور نهر الراين ، لم يقبل باقتراحات سمبسن ، كي لا يغير الخطة . أما (مودل) فإنه بعث برسالة إلى قادة جيوشه اليائسين الذين أرادوا انقاذ قطعاتهم والانسحاب عبر نهر الراين تضمنت « لا انسحاب » . ويبدو أن أمر هتلر لا زال نافذاً في هذه المرحلة وان عدم اطاعة الأوامر يعني تعرضهم للاعدام رمياً بالرصاص ، وعلى أية حال ، فقد تم تطهير الضفة الغربية من نهر الراين بصورة كاملة بعد مضي أسبوع ، وبدأ الالمان يبعثون رسائلهم المحزنة إلى القيادة الالمانية العليا يذكرون فيها خسائرهم بالجنود والمواد وكنا نلتقطها عبر

(الأسرار فوق العادة) فكانت تساعدنا في تقديرنا لخسائر العدو .

وفي لوكسمبرغ التقيت مع الجنرال برادلي في الفندق الذي أصبح الآن مقراً لجحفل الجيش (١٢) ، ولم يكن مكتبه واسعاً ، لكن نوافذه الطويلة كانت تطل على ساحة شبه دائرية وفيها الاشجار والازهار التي بدأت لتوها تتفتح مرحبة بقدوم الربيع وأضفت النافورات عليها البهجة والحبور .

ووجدته هو الآخر في بهجة وفرح تقريباً . وكنت اتوقع ان يهاجمني بكلمات قاسية حول موضوع الاردين ، لكنه تركها جانباً ، حيث قال مرة بأن الرسائل بدأت من هتلر نفسه وانها كانت غير مهمة بحيث لم أخبره عن كل ما يريد معرفته ، وهذا مما أكد قصة (ثيدر) وخاصة تلك التي اعطت للجنرال ايزنهاور الوقت ليعد للهجوم غير المتوقع في الالزاس ، وبينما كنت هناك ، بدأت الرسائل تنهال من رونشتاد ، ومن الجيوش وجحافل الجيوش ايضاً والتي كانت محتوياتها اشبه بلعبة حرب غير واقعية . وتحير برادلي ، لكنني قلت بأن هذه الرسائل ما هي إلا لاستهلاك هتلر الشخصي في الحقيقة ، وانها من دون شك ستصل جميعها إليه وعندها يقتنع بالطريقة التي يعالج فيها قادته العسكريون الموقف ، وفي غضون ذلك الوقت ، كان الجنود الالمان يموتون من أجل أرض الاجداد ومن أجل الفوهر الذي فقد توازنه تماماً .

ولما أمعنت النظر بالموقف الكلي مع برادلي في مكتبه في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم وجدت أنه حتى نهر الراين لا يصد تقدمنا حينما نستعد لعبوره .

ولكن كان هتلر لا يزال هو القائد الاعلى ولن يستطيع أي فرد أن يتخلص منه ويلتمس السلام .

واخبرني الجنرال برادلي عن كيفية قيام الجنرال باتون باندفاعه المتميز بدروعه عبر الراين بحيث أنجزه بمدة يومين ونصف اليوم . وكانت (الأسرار فوق العادة) قد اخبرته عن محلات تواجد الالمان مما جعله يتقدم من حولهم .

وأدى هـذا التقدم بـأن يبعث الجنرال هـاوزر قائـد جحفل الجيش (ز) رسالة مروعة ينذر فيها رونشتاد بأنه ان اخفقوا في الانسحاب فإن ذلك يؤ ول تماماً إلى تطويق الجيش الأول وابادته . لقد تطوق الجنرال هاوزر المسكين مرة أخرى .

وفي هـذا الوقت الحـرج عزل هتلر الجنـرال رونشتاد نهائيـاً من منصبـه ونصب محله الجنرال كيسلرنغ كقائد عام لجميع الجيوش للدفاع عن المانيـا في الغرب . وهكذا أخيراً وجب على الجنرال البرت كيسلرنغ أن يصعد إلى قمـة الدرج ليجدها لا تستند على أي شيء . وحينما تولى منصبه وبـدأ عمله طلب جرداً سريعاً عن القطعات الباقية مما مكنني من تـزويد الجنـرال برادلي بقـائمة الجرد هذه قبل أن أغادره .

وقد ألقى المصباح المفـرد المظلل فـوق منضدتـه ضوءاً خـافتاً عـلى وجه الشخص الذي وجب علي معـرفته ، فـرأيت البشاشـة باديـة على عينيـه وراء نظارته فاثنى ثناءاً كبيراً على (الأسرار فوق العادة) : وطلب مني أن أبقى بينما استدعى ضباط ركنـه الاقدمـين من جحفل الجيش (١٢) وعـرفني بهم واحداً بعد الآخر .

وأصبحت الآن الرسائل الواردة عبر (الأسرار فـوق العادة) والصـادرة من هتلر أو من كيسلرنغ أو من قادة جحافل الجيش ، ذات فائدة قليلة لنا من الناحية الاستراتيجية ما عدا أنها تظهر لنا مقدار ما اصبح عليه هيكل القيـادة بأسرها في الغرب ، وكانت آلة الحرب الالمانية قد بنيت وسيرت نحو النصر ، أما الآن في الاندحار فإنها عاطلة تماماً . وكانت استعدادات أمونتغمري لتكامل قواته لعبور نهر الراين تضارع التكامل الذي جرى لغزو نـورمانـدي نفسها . وعرفنا من (الأسرار فوق العادة) بأن القطعات المواجهة له هي بقايـا الجيش المظلي الأول والجيش المدرع الخـامس ، ومن المحتمل أن المقـاتلين الاشداء لا زالـوا باقـين لمواجهـة العدو في الغـرب ، ولكن كان هجـوم عبور النهـر يمثـل نجاحاً عظيماً .

وفي غضـون ذلك ، وإلى مسـافة ابعـد نحو الجنـوب ، صمم الجنـرال باتون بأن لا يفوقه منافسه العجوز الجنـرال مونتغمـري ، فعبر نهر الـراين من شمال مدينة مينز Mainz ـ بعد أن عرف من (الأسـرار فوق العـادة) بوجـود مقاومة طفيفة ـ بقوات صغيرة في قوارب التجديف ، دون أية استحضارات ، قبل يوم من هجوم مونتغمري . فباغت المواضع الدفاعية الرقيقـة للعدو تمـاماً وتمكن من احتلالها .

وكـان هذا مثـالاً نموذجيـاً لرجلين يختلفـان كل الاختـلاف بكل مـا في الكلمة من معنى ، في السجايا وفي طريقه خوض غمار الحرب معاً .

فالجنرال مونتغمري يريد دوماً أن يكون متفـوقاً تمـام التفوق عـلى عدوه بالجنود والمواد قبل أن يبدأ بتقدمه ، أما الجنرال باتون ، فانه درس كل رسائل (الأسـرار فوق العـادة) وعرف مكـان كل جنـدي للعـدو في طـريقـه فسلك طريقه من حولهم أو من بينهم وعثر على البقعة غـير المدافـع عنها ، وكـان قد قـام بنفس العمـل في صقليـة ومن ثم سلك نفس المسلك طـوال تقـدمـه من بريتاني حتى نهر الراين وانه يتمكن من تحويل كل جيشه بزاوية قـائمة شمـالاً ليعالج الهجوم الالماني في الاردين بسرعة بحيث ادهش الجنرال ايزنهاور فضلاً عن الالمان .

وابـرق الجنرال كيسلرنـغ إلى هتلر في برلـين يقول لـه : (تم عبور نهر الراين من فيسل Wesel الواقعة شمـال مينز في الجنـوب وان مواصلة مقـاومة الحلفاء الآن أمر مشكوك فيه) . انها تعني الشيء الكثير ، انها كانت النهاية .

وفي رايمز Rheims وجدت مقر القيادة الاعـلى لحملة قوة الحلفـاء مهمة جداً بتقدم الروس ومستاءة نوعاً ما من تجاهلهم الكلي لاتفاقيات مؤتمر يالطا . ووجدت (توي سباتر Tooey Spaatr) هو الآخر هنـاك وقد وضـع كرافـانه الكبـير على الـطريق الخـاص المؤدي إلى احـد المنـازل الـواسعـة ذات الآجـر الاحمـر ، فحياني بـزجاجـة من شراب الشمبـانيا المثلج المستخـرج من العنب الممتاز ، مع كلمة تقول ، وعيناه تشعان بريقاً ، بـأنها من صاحبـة المنزل التي

لا تمتلك صنفاً مشهوراً فقط فحسب بل إنما حفظتها في سرداب بارد وواسع أيضاً وهو في الحقيقة يقع تحت محل وقوف كرافانه تماماً ، وبينما كنا نتحدث عن الأيام الماضية في الجزائر إذ دخلت علينا سكرتيرة شقراء خالية من العيوب ، طويلة القامة ، فوضعت زجاجة أخرى في الثلج ، وكان لقائي هذا هو الاخير معه وخرجت من مكتبه وأنا في غاية الابتهاج.

وعندما عدت إلى لندن ، علمت بأن هتلر لا يزال موجوداً في برلين وأنه لا يزال يوجه جيوشه التي كانت في اغلب الحالات لا وجود لها ، ومن خلال (الأسرار فوق العادة) جاءت صيحات الرجل : « لماذا لم تفعلوا ما امرتكم به ، لماذا لا تجاوبون ؟ » وحاولت أن أتصور المشهد في ذلك القبر في برلين وجيوش الروس تقترب وتشدد الخناق عليه وان الاعلام الصغيرة للفرق الالمانية ، التي لا معنى لها ، لا تزال مثبتة على الخريطة في أماكنها التي انسحبت منها منذ أمد طويل ، وفي (١٥) نيسان ، أي بعد وصولي إلى الوطن باسبوع ، استلمنا الأمر اليومي الأخير الصادر من هتلر يقول فيه : « مرة أخرى ستكابد البلشفيه مصير آسيا القديم ، انها ستنهار في عاصمة الرايخ . ستبقى برلين المانيا ، وستكون فينا المانيا مرة أخرى ولن تكون أوروبا روسية أبداً » . انها صيحة من أعماق احد الطغاة الى آخر ، انها صيحة من الذئب إلى الدب .

وهناك آخر رسالة عبر (الأسرار فوق العادة) من غورنغ : « يا زعيمي بالنظر لقرارك البقاء في قلعة برلين ، هل توافق على أن أتحمل فوراً مسؤولية القيادة الكاملة للرايخ ، مع الحرية المطلقة في أن أعمل داخل البلاد وخارجها ، نائباً عنك طبقاً للمرسوم الصادر عنك بتاريخ (٢٩) حزيران عام ١٩٤١ .

وإذا لم اتلق منك رداً حتى الساعة العاشرة من هذا المساء ، أجد نفسي مضطراً إلى اعتبارك فاقداً لحرية العمل ، واتولى تنفيذ شروط مرسومك المشار اليه ، واعمل ما أستطيع لما فيه خير بلادنا وشعبنا . ولا ريب بانك تعرف

مدى ما أشعر به نحوك في هذه الساعة التي أعتبرها أكثر الساعات حسما وخطورة في حياتي ، ولن تستطيع الكلمات التعبير عما يخالجني من أحاسيس ، ليحفظك الله ولينقلك الينا هنا في أسرع وقت وعلى الرغم من كل شيء .

المخلص اليك

هيرمان غورنغ

وكان عليه أن يعرف افضل من هذا ، إذ أمر هتلر بتوقيفه فوراً .

إن (الأسرار فوق العادة) هي التي أعطت الصورة التي كان عليها هتلر خلال تلك الأيام الاخيرة لغاية (١٥) نيسان عام ١٩٤٥ ، واننا نعرف الآن بأن جنونه قد اضمحل خلال اليومين الاخيرين قبل أن ينتحر فعلاً ، ويبدو أنه أراد أن يستعيد نوعاً من رباطة الجأش مع القرار الذي سبق وأن اتخذه بشكل واضح بشأن العمل بدونه وبأنه في حالته الاعتيادية وانه سليم التفكير وهادىء .

وكانت الطابعة البرقية هادئة هي الاخرى في مكتبي ، وبالرغم من أن (الأسرار فوق العادة) في الغرب قد انتهت من اعمالها إلا أنها بقيت تعمل لفترة اطول في الجبهة الشرقية إلى أن وضعت القنبلة الذرية حداً نهائياً للحرب في الشرق أيضاً فناولت عند ذاك مفاتيح الصناديق الحمراء التي كانت تروح وتغدو إلى مقر رئيس الوزراء في رقم (١٠) داوننغ ستريت ، إلى المستر ستيوارت منيزيز .

الباب الثاني والعشرون

الختام

قال الجنرال الكسندر في تونس عام ١٩٤٣ : « ليس فقط معرفة قوة العدو بالضبط وترتيباته تسبب أبعاداً جديدة في مواصلة الحرب ، فحسب بل إنما أيضاً معرفة كيف ومتى واين ينوي تنفيذ عملياته العسكرية » . وكان عليه أن يضيف إلى قوله بأن المباغتة هي من أهم المقومات في الحروب الحديثة . وأن عناصر النصر هي أن تحرم العدو غير الشكوك من تحقيق هذه الأمور وامكان تحقيقها من قبلنا .

وطالما أمنت (الأسرار فوق العادة) هذه العناصر والأبعاد ، ألم تكن هي المخطط الحقيقي لانتصارات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ؟ .

ولكن الاستخبارات وحدها ، مهما كانت بارعة ، لن تستطيع تأمين النجاح المفاجىء في الوقت الذي تكون فيه القوة العسكرية او الاستعدادات غير قائمة ، وهكذا كان الوضع في تلك الأيام الحالكة عام ١٩٤٠ حينما كانت (الأسرار فوق العادة) على وشك الانبثاق تماماً من (بليجلي) ، حيث حقق هتلر المباغتة في سيدان وحلت الكارثة على الحلفاء بسبب عدم اعتقاد القادة الفرنسيين بعناد ، ومع ذلك ، فإن (الأسرار فوق العادة) هي التي ساعدت في انقاذ قوة الحملة البريطانية ، وأصبحنا الآن وحدنا نقف أزاء الآلة الحربية الالمانية الهائلة والمنتصرة ، واصبحت مسألة البقاء على قيد الحياة أفضل من الانتصار ، وكانت (الأسرار فوق العادة) ، خلال معركة بريطانية ، هي التي ساعدت قيادة مقاتلاتنا بأن تتفوق على محاولات غورنغ الهائلة لتحطيم

القوة الجوية الملكية وخلال قتال الانسحاب الطويل لقواتنا في الشرق الأوسط من العقيلة رجوعاً إلى مصر ، وفيها يضغط الجنرال رومل بقوة على قواتنا طوال الطريق ، نرى أنه من المشكوك فيه عما إذا كان الجنرال ويفل أو أوكنلك ، يتمكنان بدون (الأسرار فوق العادة) من توجيه الضربات اليه بمهارة فائقة بحيث يتوقف عن التقدم .

وفي كريت حرمت (الأسرار فوق العادة) الجنرال (شتودنت) من تحقيق المباغتة لقواته المظلية الغازية ، وأنه على الرغم من انسحابنا من الجزيرة ، إلا أننا من غير شك ، أنقذنا بمعلوماتنا معظم قواتنا من الوقوع في الأسر .

وقبل معركة العلمين ، لا يتمالك المرء نفسه من العجب حول ما كان سيحدث لو حقق رومل المباغتة في هجومه الشديد حول جناح مونتغمري الايسر ، لا بد وانه على أحسن الأحوال كان سيعطل الاستحضارات الجارية لمعركة العلمين ، وبمعرفتنا الصحيحة من (الأسرار فوق العادة) عما سيفعله رومل تماماً ، فقد جوبه هجومه وهزم واصبحت معركة العلمين نقطة التحول من مجرد البقاء على قيد الحياة الى انتصارات عدائية .

وأن (الأسرار فوق العادة) هي التي حرمت رومل من الحصول على كل الامدادات المحمولة بحراً لتموين جيشه المنسحب وأجبرته على الانسحاب فوراً إلى تونس .

وبما أن قصة (الأسرار فوق العادة) ظهرت للعيان فإن قدرتها الكامنة كانت محدودة فقط بعدد المرات التي قرر فيها الوسيط الكلام ، والحقيقة والتي فيها نعد انفسنا سعداء ومحظوظين بقدر كاف ، حصلنا فيه على عدد كبير من الرسائل الرمزية الصادرة من هتلر مباشرة ومن قادته البارزين ، بالاضافة الى تلك الرسائل الأقل درجة والتي بينت لنا قوة العدو وترتيباته بالتفصيل بحيث مكنت (الأسرار فوق العادة) من تأمين (العناصر والأبعاد) المهمة جداً لمخططي عملياتنا العسكرية .

وفي شمال غرب افريقيا ، طمأنتنا (الأسرار فوق العادة) نحن وحلفاءنا الجدد ، الامريكيين ، عن المباغتة وعن ضعف المقاومة بصورة اجمالية للعمليات المحمولة بحراً ، واننا خضنا القتال النهائي في تونس ونحن نملك كامل المعلومات من (الأسرار فوق العادة) عن الهجمات المعاكسة للجنرال رومل والفون أرنيم وعن المواضع التي احتلتها قوات العدو بصورة مفصلة .

وقبل إنزالنا في الجزائر تماماً ثبت لنا أولاً بأن دور (الأسرار فوق العادة) السلبي كان دوراً هاماً جداً ، وأعني بذلك ، بأن الاهداف المتوخاة من استحضاراتنا كانت غير معروفة بشكل واضح للعدو ، وأنهم كانوا يخمنون ويحزرون أهدافنا حينما كانوا .يواصلون ارسال الرسائل الرمزية بين مختلف القيادات وبرلين .

وهذا الدور السلبي هو الذي بين لنا بأننا يجب أن نحقق المباغتة ، لم يعرف العدو مطلقاً أين سيكون انزال الحلفاء في شمال افريقيا أو في صقلية أو في ايطاليا . والحق يقال ، بأن خططنا لهذه العمليات استندت على المعلومات الواردة من (الأسرار فوق العادة) بالنسبة إلى المكان الذي تكون فيه المقاومة على أقلها ولكن لو عكس أحد ما في لحظة ما دور (الأسرار فوق العادة) لكانت هناك فرصة قليلة تحقق فيها قواتنا البرمائية الغازية في البحر المتوسط أو في نورماندي النجاح الذي حققته فعلاً ، وأعتقد ، أنه من الحق أن يقال : أن (الأسرار فوق العادة) كانت ، وفق هذه الحسابات ، العامل المهم .

النجاحات ، نعم ، ولكن ماذا عن الاخفاقات ؟ يحتاج هذا البعد الجديد للحرب بعداً جديداً من التفكير من جانب قادتنا ، وأن المقياس للرجال أنفسهم هو الطرق المختلفة التي اما أن يستفيدوا أو لا يستفيدوا من هذه الفرص ، وقد تكون مع بعض منهم المعرفة بأن قائدهم العام وحتى المستر شرشل والمستر روزفلت ، يحصلون على نفس المعلومات التي جعلت البعض الاخر يتمسك جداً بالتدريب العسكري المألوف وأنهم يخوضون

القتال فقط عندما يتفوقون على العدو بالجنود والآلات ، بينما يستفيد الآخرون من (الأسرار فوق العادة) ليخدعوا العدو ثم يهاجمون من الخلف ، وهذا بالطبع هو الاختلاف الكلاسيكي بين القائدين مونتغمري وباتون ، والذي أدى في الأخير إلى حد المنافسة المهلكة .

وعندما عومل بخشونة بعد هجوم رومل ، قبل معركة العلمين ، بحيث ضغط المستر شرشل على الجنرال مونتغمري لينتهز الفرصة التي بينتها له (الأسرار فوق العادة) بأن يهاجم قوات رومل المتبقية بدون تأخير ، ولكن مونتغمري انتظر إلى أن أكمل تماماً كل استحضاراته لشن الهجوم وفقاً إلى الخطط التي أعدها بدقة ، وأن هذا التأخير الذي دام ستة أسابيع أعطى لروملالوقت لاقامة خط دفاعي منيع وبذلك كانت الخسائر في الأرواح كبيرة قبل عملية الاختراق .

وفي صقلية ، أعلمت (الأسرار فوق العادة) الجنرال باتون بالمواضع الصحيحة لوحدات الدروع الالمانية والاتجاه الذي تتجه إليه بعد عملية انزال الحلفاء فاحتاط للأمر وسار حول اجنحتهم ووصل إلى (ماسينا) قبل أن يتمكن الالمان من العبور إلى ايطاليا .

أما الجنرال مارك كلارك الذي كان يشق طريقه بصعوبة ويتقدم شمالاً نحو إيطاليا ، لم يستفد ثلاث مرات من الفرص التي قدمتها له (الأسرار فوق العادة) والتي كان الجنرال الكسندر قد خططها له : الفرصة الأولى في (أنزيو) والثانية بعد سقوط (كاسينو) والثالثة في شمال روما لقطع الطريق على جيوش الجنرال كيسلرنغ وتطويقها .

إن الجنرال الكسندر ، هو الذي وضع خطة الهجوم المباغت على الجبال بعد ما عرف توزيع القطعات الالمانية بصورة صحيحة في كاسينو ، وان الجنرال الفرنسي جوان Juin هو الذي نفذ الخطة ببراعة .

كان الجنرال الكسندر يستفيد من (الأسرار فوق العادة) اقصى

الاستفادة في البحر المتوسط ، ولما بدأت أتعرف على معظم القادة معرفة شخصية وجدت نفسي في موضع جيد لتثمين ردود فعلهم المحتملة بالنسبة لـ (الأسرار فوق العادة) .

ومن المكان الذي أجلس فيه ، كنت اعجب كثيراً من أن لا يضع التقدم المرن جداً حداً لانحدار الفيلق الافريقي لرومل ويعجل في سقوط تونس كنتيجة لذلك ، وأن التصميم الكثير قد يؤدي إلى الانحدار السريع لجيوش كيسلرنغ في ايطاليا .

وعبر السنوات التي كنا نقرأ فيها رسائل هتلر|ورونشتاد ورومل وكيسلرنغ والقادة الالمان الاخرين في أوروبا ، حصل معظمنا الذين لهم صلة وثيقة مع هذا المصدر العجيب ، كما سماه المستر شرشل ، على بصيرة جيدة كاملة عن الطريقة التي تعمل فيها عقولهم وفي مواقف مختلف القادة الالمان ازاء هتلر ، وفي الاسباب الكامنة وراء تقديراتهم للمواقف المختلفة والتي كانوا يبعثونها الى القيادة الالمانية العليا بالنسبة الى الوقت والمكان الذي سنجري فيه العمليات ، ولقد أعطتنا هذه الرسائل الفرص التي لا تقدر بثمن لتضليلهم حول عملياتنا بخططنا الخداعية .

وربما يكون تقدير موقف الجنرال رونشتاد عام **١٩٤٣** هو أحسن مثال لما ذكر اعلاه ، حيث يبين فيه بأن غزو الحلفاء لفرنسا سيكون عبر (باص دي كاليه) . ولقد أدت هذه الوثيقة وحدها إلى سلسلة كاملة من الاحداث ، نملي الكثير لتخطيطنا لعملية السيد الاعظم والى تشكيل جيش الجنرال باتون الوهمي في مقاطعة (كينت) لتوافق اراء الجنرال رونشتاد ، تلك الخطة الخداعية التي أبقت جيشاً المانياً كاملاً يتخذ مواضعه حول (كالية) واربع فرق مدرعة بعيدة عن شواطىء انزالنا .

ولقد اخبرتنا (الأسرار فوق العادة) أيضاً بأنه حالما تتردى الأمور من جهة عمليات العدو ، سيتولى هتلر حتماً السيطرة من بعيد والتي هي في صالحنا ، طالما يبث معظم رسائله على الهواء .

ولم يشر هتلر ولا قادته العسكريون الكبار أبداً أي شيء عن (الأسرار فوق العادة) ولا أنهم يشكون بأن جفرهم هي غير أمينة ، إذا لا بد أنهم كانوا يعجبون من عدم نجاح خططهم الموضوعة باتقان فلا يجدون سبباً لذلك .

وعلى أية حال ، لقد نجت (الأسرار فوق العادة) في عملية السيد الاعظم وانقذت نفسها أو بالاحرى نجت بواسطة اعظم شبكة أمينة دقيقة وموضوعة دوماً حول الاستخبارات السرية وكما وصلت (الأسرار فوق العادة) ذروتها في عملية السيد الاعظم .

كانت خطة الهجوم المستندة على أماكن القوات الالمانية وقوتها وتجهيزاتها في نورماندي عبارة عن اعمال من الحدس والتخمين بالرغم من المعلومات القليلة ألتي كان الفرنسيون يرسلونها اليها ، ولما نصل إلى الشواطىء فلا بد أن يضيع الوقت الثمين الذي لا حد له ، وتزهق أرواح كثيرة في الغارات والهجمات التي نشنها لجس النبض لمعرفة مكان العدو ومقدار قوته . فلا بد وان ينسحق الجيش البريطاني الثاني امام دبابات العدو المتمركزة حول مدينة (كان) ، عوضاً عن تلك ، فقد كان الجنرال (ديمس) يعرف تماماً أماكن الدبابات وأعدادها ، وكما أن المعرفة الصحيحة عن التقويات الهائلة للدروع الالمانية في (كان) مكنت الجنرال مونتغمري من اعادة النظر في خططه الرئيسية ليتيح المجال للجنرال برادلي للقيام بعملية الاندفاع الى أرفانجز ، بينما تمكن الجنرال (ديمبس) من اختيار النقاط التي يهاجمها بحيث سبب للعدو أعظم دمار وابقى دباباته متمركزة في مواضعها ، وكانت هذه العملية بالنسبة لرومل كمن شدت أحدى يديه وراء ظهره وترك ليقاتل بيد واحدة .

وأقصى ما بلغته (الأسرار فوق العادة) من النصر ، حسب اعتقادي هو عندما أوقعت الجيوش الالمانية في فخ جيب (فاليز) في نور ماندي .

ولقد سببت معرفتنا التامة مسبقاً للخطط الالمانية التي وضعها هتلر مقرونة بمعرفتنا لقوة كل الوحدات الالمانية المشتركة في المعركة في بلوغ افضل

النتائج من حيث العمل التصوري الذي قام به الجنرال ايزنهاور والقادة الامريكيون .

وبالنسبة للجنرال باتون ، فانها اعطته الفرصة لاستخدام مهارته الفنية في قابليته للحركة العالية . انها بداية لنهاية الحرب في الغرب .

بعد سقوط (فاليز) ، قصرت (الأسرار فوق العادة) الحرب وذلك بتزويد جميع قادة الحلفاء تفاصيل عن النقاط الضعيفة وعن موارد العدو المتضائلة بحيث يستطيعون التقدم إلى الأمام في الأراضي الالمانية باسرع ما يمكن وحسبما تتيحها لهم المخاطر الطبيعية ، وكان هذا التقدم مهماً جداً بسبب تقدم الجيوش الروسية ، ولولا (الأسرار فوق العادة) لكنا نلاقي الروس على نهر الراين بدلاً من ملاقاتنا لهم على نهر الالبة Elbe وعند ذاك كانوا يتمركزون في هذه المناطق .

إنني لا أعرف كل التفاصيل عن نجاحات (الأسرار فوق العادة) في جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي ، لكنني أستطيع أن أقول ، بأن (الأسرار فوق العادة) قد لعبت الدور الأول في استراتيجية الجنرال ماك آرثر ونيميتز .

وفي (كاميلا) كان الجنرال (سليم) يحصل على كل ما يحتاج لمعرفته من لندن ، وواشنطن واستراليا . وان (الأسرار فوق العادة) قد زودت الجنرال (سليم) واللواء البحري (مونتاباتن) بكل المعلومات التي بموجبها خاضا المعارك في (امفال) و(كوهيما) ، تلك المعارك التي كانت نقطة التحول في الحرب ، وربما كانت الطريقة التي استخدمها اللواء البحري (نيمتيز) بمهارة فائقة في معركة (ميدواي) وهي آخر معركة بحرية ، حيث لم تلتق السفن الكبيرة الواحدة مع الاخرى ابداً والتي كانت تدور كلياً بين الطائرات ، هي من اعظم الانتصارات البحرية لمحللي الرموز .

وربما يأتي يوم تذكر فيه اعمال (الأسرار فوق العادة) بكثرة في ذلك النصف من الكرة الأرضية وعن معارك الغواصات في المحيط الاطلسي .

وإلى أولئك الاشخاص الذين تربوا على العقيدة ويؤمنون بأن الله تعالى نصر الحلفاء على دول الفاشية بسهولـة تقريباً ، عليهم أن يراجعـوا الأبواب الاولى من هذا الكتاب الذي سيجدون فيه اراء صائبة وعند ذاك يعلمـون أن هـذا الشيء لم يحدث تقـريباً . دعهم يحكمـون بـأنفسهم مقـدار مـا قـدمتـه (الأسرار فوق العادة) من المساعدة القريبة من المعجزة لتجعل نصرنا ممكناً .

واعتقد بأن معـظم القادة البـارزين في بريـطانيا وفي امـريكا معـاً أيدوا سوية مـع المستر شـرشل والمسـتر روزفلت اراء الجنرال ايـزنهاور القائلة بـأن (الأسرار فوق العادة) كان لها الدور الحاسم .

فهرس الكتـاب

ممنوع من النشر؟

أجل. فقد **وُئِدَت** هذه المعلومات دهراً طويلاً. وحتى العام **١٩٧٤**، كان إفشاء أي منها يودي بفاعله الى . . . دار البقاء!

من هنا عنوان الكتاب ـ الذي لا تبجح فيه: «**أسرار عسكرية فوق العادة**». لقد كتب الكثير الكثير حول الأنشطة العسكرية السرية، وعن أجهزة المخابرات و التجسس والرصد. إلا أن كل ما كتب في هذا الصدد، غالباً ما اقتصر على عمليات محدودة أو فردية، مع ما خالطه من الخيال الروائي أو المبالغة أو التمويه المقصود أو الطمس في الأمور الخطيرة أو الحساسة.

أما هذا الكتاب، فهو **الأول والوحيد** من نوعه، **عمقاً وشمولاً وموثوقية**. إنه كشف كامل للعمليات العسكرية التاريخية في الحرب العالمية الثانية، يبين مدى الدور الخطير الذي لعبته أجهزة الحلفاء في **تغيير مجرى الحرب**، حيث استطاعوا بفضل أجهزتهم استراق رسائل القيادة الألمانية السرية، وحل رموز الشيفرة الشهيرة «أنيغما» وذلك خلال دقائق من صدورها، واتخاذ الخطوات المضادة، إضافة إلى عمليات الغش والخداع والتضليل. والكتاب من الناحية التاريخية، وثيقة جامعة لأسرار تلك الحرب الهائلة التي بقيت حتى اليوم، في أغوار الظلمات.

هذه الأسرار، **لا وجود لها في أي مصدر آخر من العالم**.

وإذ نقدمها لقرائنا في العالم العربي، فذاك حرص منا على توفير المعرفات لهم، كل المعرفات.

الدار العربية للموسوعات